

قررت وزارة التربية والتعليم تدريس
هذا الكتاب وطبعه على نفقتها



المملكة العربية السعودية
وزارة التربية والتعليم
التطوير التربوي

جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي

للفيف الثاني الثاني

قسم العلوم الإدارية والاجتماعية
وقسم العلوم الشرعية والعربية

(بنين)

رئيسة لجان التعديل والتطوير

أ / هيلة بنت ناصر الجاسر

لجنة التعديل والتطوير

أ . هيلة بنت حمود الخلف
أ . سلوى بنت عبدالعزيز المرشد
أ . فاطمة بنت منيف الحسين
أ . زينب بنت مهنا المهنا
أ . تهامة بنت مهدي العميم

لجان المراجعة

د . محمد بن إبراهيم أبالخيل
د . عبدالعزيز بن راشد السندي
د . محمد بن علي السكاكر
د . عبدالله بن سليمان الصالحي
د . خالد بن فهد العودة
أ . زينب بنت علي العيدان
أ . زينب بنت علي الرقيبة
أ . بدرية بنت عبد العزيز السعيد
أ . شريفة بنت عبدالعزيز الجمعة
أ . نورة بنت عبدالرحمن الطرباق

التصميم والإخراج الفني

أ . منى بنت صالح السلطان
أ . جوزاء بنت فاضي العتيبي
أ . سلطان بن عبد الرحمن الخلف

المراجعة والتعديل النهائي

أ . عبد الرحمن بن حمد الحزيمي
أ . محمد بن صالح المشاري

يوزع مجاناً ولا يُباع

طبعة ١٤٢٧هـ - ١٤٢٨هـ

٢٠٠٦م - ٢٠٠٧م

ح) وزارة التربية والتعليم ، ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السعودية ، وزارة التربية والتعليم
التاريخ - الصف الثاني الثانوي - الرياض
١٥٢ ص - ٢١ X ٢٧ سم
ردمك : ٨٤٩٤-١٩-٩٩٦٠ (مجموعة)
٨-١٥٠-١٩-٩٩٦٠
١- التاريخ - كتب دراسية.

أ.العنوان
١٤٢٥/١٣٢٧

ديوي ٩٥٣، ٠٠٠٧١٢

رقم الإيداع : ١٤٢٥/١٣٢٧

ردمك : ٨٤٩٤-١٩-٩٩٦٠ (مجموعة)

٨-١٥٠-١٩-٩٩٦٠

لهذا الكتاب قيمة مهمّة وفائدة كبيرة فحافظ عليه واجعل
نظافته تشهد على حسن سلوكك معه...

إذا لم تحتفظ بهذا الكتاب في مكتبتك الخاصة في آخر
العام للاستفادة فاجعل مكتبة مدرستك تحتفظ به...

موقع الوزارة

www.moe.gov.sa

موقع الإدارة العامة للمناهج

www.moe.gov.sa/curriculum/index.htm

البريد الإلكتروني للإدارة العامة للمناهج

curriculum@moe.gov.sa

حقوق الطبع والنشر محفوظة

لوزارة التربية والتعليم

بالمملكة العربية السعودية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد الأمين وبعد :
فهذا كتاب جوانب من تاريخ المسلمين الحضاري والسياسي للصف الثاني الثانوي في طبعته الجديدة،
والذي يعد بمثابة نافذة تطل منها على الأحداث التاريخية للعالم الإسلامي ، كما يعد استكمالاً لما درسته
في الصف الأول الثانوي ، حيث درست تاريخ أولي العزم من الرسل، وجوانب من سيرة الرسول ﷺ،
بالإضافة إلى تاريخ الفتوحات الإسلامية وانتشار الإسلام.

وسوف تدرس في هذا الكتاب ستة أبواب على النحو التالي :

الفصل الدراسي الأول : ويشتمل على ثلاثة أبواب هي :

الباب الأول : الحضارة الإسلامية ويتناول (مفهوم الحضارة الإسلامية ومظاهرها، النظم الإسلامية).

الباب الثاني : الحياة العلمية ويتناول (نظام التربية الإسلامية، العلوم الشرعية، العلوم الكونية).

الباب الثالث : انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا.

الفصل الدراسي الثاني ويشتمل على ثلاثة أبواب هي :

الباب الأول : العدوان الداخلي على العالم الإسلامي ويتناول (الدعوات الدينية المنحرفة، والدعوات
العلمانية).

الباب الثاني : العدوان الخارجي على العالم الإسلامي ويتناول (الاستعمار، الاستشراق، التنصير، الشيوعية).

الباب الثالث : حاضر العالم الإسلامي.

وما نريد إيضاحه لك أنه بالرغم من مرور منهجه بفترات تاريخية معينة ، إلا أن هذه الفترات يجب ألا
تكون بمعزل عن بعضها ببعض ، بل لا بد من ربط تلك الأحداث بالنواحي السياسية والاجتماعية والحضارية
للعالم الإسلامي ونأمل أن نخرج من هذا كله إلى زيادة اعتزازنا بماضيينا الحضاري الحي لننتقل بعزم المؤمنين
وحماسة المصلحين وخبرة العارفين إلى إثراء إرثنا الحضاري هذا، والوصول إلى مصاف الأمم الراقية، كما
كنا سادة لمدينة العالم في الماضي .

وقد تم تعديل هذا المقرر وفق الملحوظات الواردة إلى (وزارة التربية والتعليم - التطوير التربوي) ضمن
التقارير السنوية، والتقويم النهائي للمقررات الدراسية، كما تم الاطلاع على مقررات بعض دول الخليج،
وبعض الدول العربية؛ كل ذلك سعياً وراء تكوين الجيل الإسلامي المؤمن المتسلح بسلاح العلم والمعرفة .
وأما ما تناوله هذا الكتاب من تعديل فيشمل الآتي :

١ - اختصار بعض التفاصيل الفرعية، وإعادة صياغة بعض الفقرات؛ بهدف التركيز على الحقائق
الرئيسية، مع مراعاة التقيد بعناصر المنهج وأهدافه.

٢ - وضع عناوين جانبية لكل موضوع؛ ليسهل ترتيب الأحداث زمنياً والأفكار علمياً.

- ٣- تصحيح المعلومات غير الصحيحة بعد الرجوع إلى المراجع الموثقة.
- ٤ - توثيق الآيات، وتخريج الأحاديث، وإضافة الكثير من الآيات التي تخص المواقف التاريخية المختلفة.
- ٥ - شرح العبارات والألفاظ الغامضة في الهوامش، وتوثيقها.
- ٦ - تزويد الدروس بالمعلومات الإضافية، و العبارات التوضيحية؛ بهدف إثراء معلومات الطالب دون مطالبته بها.
- ٧- تقديم توجيهات للمعلم في الهوامش متى لزم ذلك.
- ٨ - إضافة الوسائل التعليمية المتنوعة من الخرائط والمخططات، والمصورات، والجداول، والرسوم والأشكال والنصوص التي تساعد المعلم على الإيضاح، والطالب على الفهم، وتوظيفها بما يكفل تنمية مهاراته في قراءته، وتحليله، وتفسيره، واستنتاج المعلومات ذات العلاقة فيها.
- ٩- تنويع الأسئلة؛ لتحقيق المستويات المعرفية والمهارية، وتناسب اتجاهات وميول الطالب.
- ١٠ - إضافة الأنشطة بحيث تتفق مع ميول وحاجات المتعلم، واستثمار مصادر التعليم المتوفرة في البيئة.
- ١١ - تعزيز الانتماء الوطني للطالب، وإعداده للتفاعل مع قضايا وطنه وبيئته العربية والإسلامية.
- ١٢ - الاهتمام بإبراز دور الصحابة - رضي الله عنهم - في نشأة دولة المسلمين وحضارتهم الإسلامية.
- ١٣ - وضع قائمة بأسماء المراجع ذات الصلة بالمحتوى، يرجع إليها المعلم؛ لإثراء المادة العلمية.
- ولكي تتحقق الأهداف المرجوة لأبد من تظافر جهود المعلم والمنزل مع جهود الطالب.
- راجين من الله سبحانه وتعالى أن نكون قد وفقنا لتحقيق معظم متطلبات مشروع تطوير المقررات الدراسية؛ حتى تكون هذه الطبعة أكثر وضوحاً، وتنظيماً، وشمولاً من الطبقات السابقة.

والله ولي التوفيق

* المقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية :

الفصل الدراسي الأول

- الباب الأول (ما عدا الفصل الأول والنظام الإداري).

- الباب الثاني.

الفصل الدراسي الثاني

- من بداية المقرر إلى نهاية موضوع الاستعمار.

* المقرر على قسم العلوم الإدارية والاجتماعية :

■ جميع الكتاب.

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
	الفصل الدراسي الأول
	الباب الأول : الحضارة الإسلامية
	الفصل الأول :
١٤ مفهوم الحضارة الإسلامية ومصادرها
	الفصل الثاني :
٢٠ النظم الإسلامية
٢٠ أولاً : النظام السياسي
٢٨ ثانياً : النظام الإداري
٤١ ثالثاً : النظام المالي
٤٧ رابعاً : النظام القضائي
	الباب الثاني : الحياة العلمية
	الفصل الأول:
٥٦ نظام التربية الإسلامية
	الفصل الثاني :
٦٣ العلوم الشرعية
	الفصل الثالث :
٧١ العلوم الكونية
	الباب الثالث : انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا
	الفصل الأول :
٧٨ انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

الصفحة	الموضوع
	الفصل الدراسي الثاني
	الباب الأول : العدوان الداخلي على العالم الإسلامي
	الفصل الأول :
٨٦	العوامل المؤثرة في تماسك الأمم وضمحلالاتها الفصل الثاني :
	العدوان الداخلي على العالم الإسلامي في العصور الماضية
٩١	أولاً : الفرق و الطوائف : السبئية ، الخوارج ، الباطنية
٩٤	ثانياً : العصبية القبلية ، والشعبوية ، والزندقة
	الفصل الثالث :
	العدوان الداخلي على العالم الإسلامي في العصر الحديث
٩٧	أولاً : الدعوات الدينية المنحرفة : القاديانية ، البهائية
١٠٠	ثانياً : الدعوات العلمانية : القومية ، الاشتراكية والشيوعية
	الباب الثاني : موجات العدوان الخارجي على العالم الإسلامي
	الفصل الأول :
١٠٨	العدوان الصليبي والمغولي على العالم الإسلامي في العصور الماضية
١٠٩	* الحروب الصليبية وأهجمات الأوروبيين الغربيين على الشرق الإسلامي
١١٦	* الحروب الصليبية في الأندلس
١١٧	* العدوان المغولي على العالم الإسلامي
	الفصل الثاني :
١٢٣	العدوان الخارجي على العالم الإسلامي في العصر الحديث
١٢٤	* الاستعمار الصليبي في البلاد الإسلامية
١٣١	* الاستشراق
١٣٣	* التنصير
١٣٦	* الغزو الشيوعي للبلاد الإسلامية
١٤٢	الباب الثالث : حاضر العالم الإسلامي

الفصل الدراسي الأول



الباب الأول المهارة الإسلامية

الفصل الأول : مفهوم الحضارة الإسلامية
ومصادرها.

الفصل الثاني : النظم الإسلامية

أولاً : النظام السياسي.

ثانياً : النظام الإداري.

ثالثاً : النظام الاقتصادي.

رابعاً : النظام المالي.

خامساً : النظام القضائي.



مفهوم الحضارة الإسلامية ومصادرها^(١)

أولاً : مفهوم الحضارة الإسلامية :

مؤاهيم

الحضارة من حيث المدلول اللغوي: هي الحضرة والحاضرة أي : عكس البداوة.
مصطلح الحضارة الذي نستعمله اليوم بمعناه العام : يشمل كل ما يتعلق بحياة الإنسان من نظم اجتماعية، وسياسية، واقتصادية، وفكرية، وفنية.
الثقافة لغة : صقل النفس. وثقف تعني : صار حازماً، فطناً، ومهذباً. ثم استعمل هذا المصطلح للدلالة على الرقي الفكري، والأدبي والاجتماعي للأفراد والجماعات.
وكل حضارة في التاريخ غيرت في نفسها من خلال ثقافة معينة

الحضارة هي كل جهد قام به الإنسان؛ لتحسين ظروف حياته على الأرض، سواء أكان هذا الجهد مادياً محسوساً، أم معنوياً تدرك آثاره أي يتعلق بحياة الإنسان من نظم سياسية واقتصادية واجتماعية وفكرية وفنية وأن أي حضارة من الحضارات لا بد لها من أن تعتمد على إسهام عدد كبير من الأفراد في المجتمعات المختلفة، ولا بد أن يتأثر بالمجتمعات الأخرى وليس بمعزل عنها.

وتعد الحضارة الإسلامية من أعظم الحضارات التي عرفها العالم؛ بسبب الدور الذي أدته في تاريخ الإنسانية، ففيها التقت حضارات كثيرة متباعدة، ونجحت الحضارة الإسلامية في اختيار العناصر الصالحة من هذه الحضارات، ثم مزجت بينها، وأكملت نواحي النقص فيها، على أساس تعاليم القرآن الكريم، وسنة الرسول ﷺ. وجمعت الحضارة الإسلامية التراث إلى جانب الحياة القائمة، فتميزت عن غيرها من الحضارات بميزة الاستمرار، وقابلية النماء، والتكيف مع الزمن. أما الحضارات الأخرى التي عرفتها الإنسانية

قبل الإسلام أو بعده فقد عاشت في حدود زمانها، ومكانها وإنسانها، فإذا طرأت عليها الطوارئ انتهت حياتها، وتوقفت نهضتها؛ لتحل محلها حضارة أخرى .

جانبا الحضارة الإسلامية المادي والمعنوي :

- الجانب المادي :

هو ما يدرك ثماره الإنسان بحواسه كالزراعة، والصناعة، والتجارة، والعمران، وكل ما يتصل بها من دراسات ونظريات وابتكارات.

(١) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.

هو تلك الحضارة الإنسانية العالمية بكل ما في كلمة إنسانية من معنى، والتي نصت عليها تعاليم الدين الإسلامي الحنيف بكل تفاصيلها، فهي تتعامل مع الإنسان من حيث كونه إنساناً، بغض النظر عن اللون، والجنس، والوطن. وهي الحضارة التي توفر السعادة الروحية لبني البشر. إذ الحضارة المادية وحدها لا تكفي لتوفير السعادة للأفراد، إن لم تكن سبباً في تعقيد الحياة وزيادة المتاعب والقلق والاضطرابات النفسية.

ولاكتمال السعادة لا بد من إيجاد حضارة متوازنة بشقيها المادي الذي تتمثل فيه مظاهر التقدم والرخاء، والروحي الذي يجلب للمرء صفاء النفس والطمأنينة، والارتياح ونقاء السريرة، والبعد عن الخداع والكذب والرياء والأنانية.

إن هذه الحضارة المتوازنة المتكاملة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتعاليم الإسلام الحنيف وشريعته السمحة. وكل ركن من أركان الإسلام له دوره في تأسيس الحضارة الإسلامية وبنائها. **كيف؟** هذه الأركان كلها مجتمعة تكوّن حضارة روحية، تكوّن مجتمعاً صالحاً طاهراً خالياً من الدنس، أفراده يتحلون بالصدق والإخلاص، والأمانة والعفاف، والطهارة ومحاسبة النفس، وضبط نوازعها، وإيثار الحق، وعلو الهمة والكرم والسخاء، والفداء والتضحية، والتواضع والشعور بالواجب، والصبر والاستقامة، والشجاعة والقناعة، واحترام النظام والقانون.

وأي مجتمع أفضل من هذا المجتمع الذي يتحلى أفراده بكل هذه الصفات، وأي حضارة أرقى وأفضل من هذه الحضارة التي تعمل على إيجاد مثل هذا المجتمع.

إنه متى وجدت هذه الصفات بين أفراد المجتمع، استطاع وهو مطمئن البال، وهادئ الأعصاب، ومتفتح الذهن، أن يصمم، ويخترع، ويبني وينتج، ويسعى في مناكب الأرض، ويتعامل مع الآخرين بالصدق والأمانة. إن العالم المادي اليوم والذي بنى حضارته أصلاً على الجانب المادي من الحضارة الإسلامية، وطور ذلك الجانب، بحيث اخترع ما لم يكن في حساب أحد. انحدر في مهاوي الرذيلة لدرجة لم تكن في حساب أحد. وعندما برزت هذه الحضارة البراقة إلى العالم أجمع انبهرت الشعوب. لا سيما النامية منها ونحن المسلمون منهم. بذلك البريق فأعمى العيون، وصم الأذان عن كل فضيلة وعن كل مثل عليا، فابتعد الأخ عن أخيه، والقريب عن قريبه، والجار عن جاره، والمسلم عن المسلم، وطغت عليه المادية المجردة، وأصبح لا ينظر بغير هذا المنظار الضيق، ونسي الله فأنساه نفسه.

إن ما ندعو إليه الآن. وقد وصلنا إلى ما وصلنا إليه. أن نعود إلى رشدنا ونكوّن حضارة متكاملة روحياً ومادياً، فنجمع بين الدين والدنيا، وبذلك نكوّن حضارة متكاملة، ومجتمعاً متحاباً متراصاً، وأي شيء أفضل من هذه النتيجة، وأي حضارة أرقى من حضارة كهذه. وإذا ما أراد المسلمون التوصل إلى هذه النتيجة، فلا بد من تفجير مختلف القوى والإمكانات التي يتمتع بها الإسلام، والتخلص من كل عوامل التخلف.



قامت الحضارة الإسلامية على مجموعة من المصادر أهمها:

أ) الدين الإسلامي :

شع نور الإسلام في الجزيرة العربية، وعم أرجاءها كلها، فحمل لواء ذلك الدين الحنيف قادة الفتح الإسلامي ومجاهدوه بعزم وقوة وإيمان لا يتزعزع حتى إنه لم تمض فترة وجيزة لا تتجاوز القرن من الزمان إلا وعمت تعاليم هذا الدين القويم مساحة واسعة جداً من الأرض، تمتد من الصين شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً، ومن شمال البحر الأسود وسهول سيبيريا شمالاً إلى المحيط الهندي جنوباً. وكيف لا تعم هذه التعاليم السمحة تلك المساحة الشاسعة والإسلام هو دين المساواة والرحمة والتسامح والإنسانية ودين العمل.

*** استشهد من القرآن الكريم والسنة الشريفة بما يدل على تمثيل هذه الصفات في الدين الإسلامي.**

فهذه الصفات كلها وغيرها مما لا يمكن حصره، دخلت قلوب الشعوب في البلاد التي فتحها المسلمون، فاعتنقوا الإسلام عن رغبة لا عن رهبة؛ لأنه أزال عنهم كابوس الظلم الذي كانوا يئنون تحته، وساوى بين غنيهم وفقيرهم، وترك لهم حرية العمل في المجال الذي يريدونه، وأبقاهم في ديارهم آمنين مطمئنين.

*** ما ردك على من قال أن الإسلام فرض بحد السيف على الشعوب؟**

لقد استطاع الإسلام بوصفه رابطة قوية أن يحافظ على أواصر الوحدة العقلية التي انبثقت منها الحضارة الإسلامية، في البلاد التي شع نوره عليها، فاستمرت تلك الوحدة قائمة عصوراً طويلة.

إن الإسلام الحنيف عني عناية تامة بالعلم الذي هو أصل الحضارة وينبوعها الأول. فأعزه وأعلى قدره، ورفع العلماء إلى مكانة عالية. وليس أدل على ذلك من الآيات الكريمة الكثيرة التي وردت في كتابه العزيز. وكانت أول تلك الآيات ما نزل في سورة العلق أول سورة نزلت على رسول الله ﷺ .

قال تعالى: ﴿ **أَقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣)**

الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥) ﴾ [سورة العلق].

والأحاديث النبوية في مجال العلم كثيرة متعددة منها قوله ﷺ :

(إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية، وعلم ينتفع به وولد صالح يدعو له)^(١) .

(من سلك طريقاً يبتيغي فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة)^(٢) .

وكما حث الدين على العلم، حث على العمل، لقوله ﷺ :

(ما من مسلم يغرس غرساً أو يزرع زرعاً فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة)^(٣) .

(١) سنن الترمذي ، حديث ١٣٧٦ .

(٢) مسند أحمد ، حديث ٨٢٩٨ .

(٣) صحيح مسلم ، حديث ١٥٥٣ .

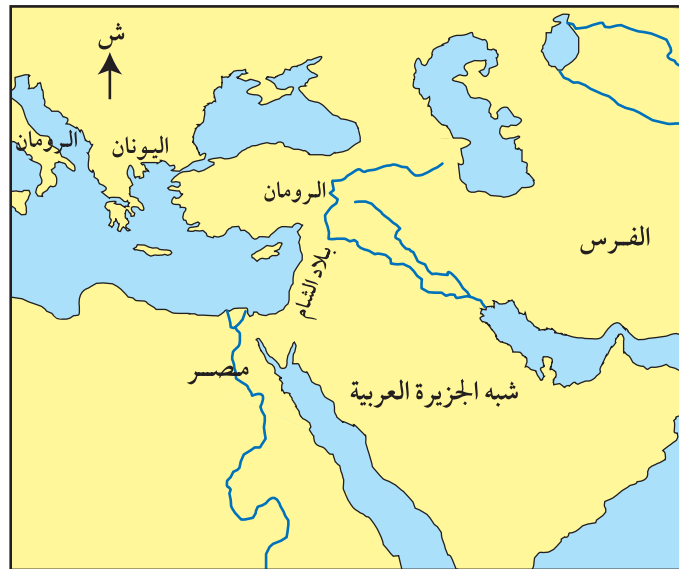
ومن هذا كله يتضح أن الحضارة الإسلامية بجميع ألوها ما هي إلا أصداء للإسلام وأن العلم والإنتاج والتعمير هي من مقتضيات الإسلام؛ لأن الإسلام دين العقائد الصحيحة والأعمال الصالحة.

ب) اللغة العربية:

أجمع الباحثون على أن اللغة العربية أغنى اللغات السامية مادة وأوسعها أفقاً. كيف لا وقد نزل القرآن الكريم بلغة الضاد، فأعلاها شأنًا وزاد في غناها وثرورها وتثبيت أركانها. ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم بآياته المحكمات يعد مثلاً فريداً في قوة البلاغة وسحر البيان. لقد استطاعت اللغة العربية بقوتها وقوة الناطقين بها أن تنتصر في جميع البلاد التي فتحها المسلمون، فحلت محل اللغات المنتشرة آنذاك مثل: اليونانية واللاتينية والسرانية والبربرية والقبطية وغيرها. وأما الدول التي اعتنقت الإسلام والتي حافظت على نفسها: مثل الفرس والأترک، فقد اتخذوا من اللغة العربية أداة للعلم والأدب. وأخذ الفرس يكتبون لغتهم بالحروف العربية. كما تم تدوين ما عرفته بلاد فارس من علوم بلغة العرب. أما الأترک الذين ضموا فيما بعد الأقطار العربية إلى دولتهم فقد استخدموا الخط العربي في كتاباتهم.

إن اللغة العربية بمفرداتها وأصالتها وغناها واشتقاقاتها وسهولتها ليس بالكثير عليها أن تصبح أداة حضارية عظيمة. فنجد كثير من الكلمات الأجنبية هي ذات أصل عربي في شتى مجالات العلوم والصناعات والفنون والتنظيم العسكري وغيره.

لقد حفظت اللغة العربية تراث الأمم القديمة كاليونان والرومان والفرس؛ لأن علوم أولئك الأقدمين قد ترجمت إلى اللغة العربية. كما أن اللغة العربية كتبت بها منجزات العرب والمسلمين في شتى المجالات. وبالتالي نقلت هذه العلوم من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية، فكانت هذه بمثابة قاعدة عريضة بُنيت عليها الحضارة الأوروبية قبيل عصر نهضتها. فقد عني الكثيرون من علماء الغرب بترجمة الكتب العربية وما احتوته من علوم ومعارف.



شكل (١) موقع الحضارات القديمة

١- الحضارة الفارسية :

تقع بلاد فارس في شمال شرقي الخليج العربي انظر الخريطة في الشكل (١) وتعد الحضارة الفارسية بمثابة المؤثر الأجنبي الأول الذي استمدت منه الحضارة الإسلامية جانباً من مقوماتها فالفرس أمة ذات حضارة عريقة نبغوا في السياسة والإدارة ومظاهر العمارة والفنون والآداب والعلوم. ولما فتحت بلاد فارس دخل الفرس في الدين الإسلامي وأقبلوا على دراسة اللغة العربية لتساعدتهم على فهم الإسلام، ولم يمض زمن حتى نبغ الكثير منهم في العلوم الدينية والدنيوية وساهموا في الحركة العلمية والتأليف في مختلف العلوم فاستفادت الحضارة الإسلامية من ذلك.

٢- الحضارة اليونانية والرومانية :

تميزت هاتان الحضارتان بمعرفتهما بالفلسفة والعلوم والفنون والآداب خاصة الرياضيات والكيمياء والفلك. وقد تأثرت الحضارة اليونانية التي انتشرت في أقطار الشرق بحضارة الرومان لا سيما في تشريع القوانين وهندسة الطرق. وجاءت حركة الترجمة التي بدأت في زمن الأمويين لتعمل على نقل هذه المعارف والعلوم إلى اللغة العربية فانكب المسلمون على دراستها فاقتبسوا منها بما يتماشى مع روح الإسلام ثم أضافوا لها ما وصلت إليه عبقريتهم وأخرجوا للعالم حضارة مزدهرة روحها الإسلام. فأقبل الناس وخاصة أهل أوروبا على جامعات المسلمين ينهلون من المعرفة العربية. فكانت الحضارة الإسلامية ثمرة تفاعل وتمازج بين الإنسان العربي والدين الإسلامي. فهي أعظم الحضارات التي كانت معروفة في ذلك الوقت وكانت أعم وأشمل من كل حضارة ظهرت قبلها.

أسئلة التقويم

- س ١ : ما مفهوم الحضارة الإسلامية ؟
- س ٢ : فرق بين جانبي الحضارة الإسلامية المادي والمعنوي .
- س ٣ : ما مصادر الحضارة الإسلامية؟ مع شرح أحد هذه المصادر .
- س ٤ : عدّد الصفات التي يجب أن يلتزم بها المجتمع المسلم لتكوين حضارة متكاملة .
- س ٥ : قيّم من وجهة نظرك العالم المادي اليوم ؟
- س ٦ : هل تتفق مع أن اللغة العربية حفظت تراث الأمم القديمة؟ وضح ذلك .
- س ٧ : ما أثر الحضارات القديمة على الحضارة الإسلامية ؟
- س ٨ : ماذا يحدث لو لم:
- أ (تطبق تعاليم الدين الإسلامي في الأمة .
- ب) تركز الحضارة الإسلامية على أركان الإسلام .

نشاط ففام

- (١) : اكتب تقريراً عن مفهوم الحضارة في اللغة والإصطلاح .
- (٢) : قم مع مجموعة من زملائك بإعداد مجلة حائطية بعنوان « الحضارة الإسلامية » على أن تشمل ما يلي :
- أ (مفهوم الحضارة الإسلامية .
- ب) جوانب الحضارة الإسلامية .
- ج) مصادر الحضارة الإسلامية .

النظم الإسلامية

خصائص النظم الإسلامية:

- بُنيت هذه النظم على تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، لذلك تميزت بالكثير من الخصائص والمميزات التالية:
- ١- إن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المعين الخالد الذي استقت منه كل النظم الإسلامية مقوماتها.
 - ٢- إن هذه النظم جاءت شاملة ومتكاملة وإنسانية فيما ترمي إليه من سعادة الفرد والمجتمع معاً؛ لأنها تناولت كل ما ينشده الإنسان في سبيل الخير والرحمة والكرامة.
 - ٣- إن هذه النظم أبدعت في تثبيت العلاقات بين أفراد المجتمع الإسلامي، فكما رتبها بين أفراد الأسرة الواحدة، نظمتها بين مختلف الأفراد والجماعات والشعوب.
 - ٤- إن هذه النظم تميزت بالرفعة والقدرة العجيبة لمقابلة الأحوال الإنسانية المتغيرة في الزمان والمكان.
 - ٥- إن هذه النظم بمرورها وشمولها وإنسانيتها ومساواتها بين الناس وتوكيدها على العناية بالعلم والمعرفة، عملت على نشر الدين الإسلامي في مختلف أرجاء العالم.

أقسام النظم الإسلامية:

- تنقسم النظم الإسلامية إلى عدة أنظمة هي:
١. النظام السياسي.
 ٢. النظام الإداري.
 ٣. النظام الاقتصادي.
 ٤. النظام المالي.
 ٥. النظام القضائي.

أولاً : النظام السياسي

تشمل دراسة النظام السياسي في الإسلام التعرف على النواحي الآتية : الخلافة، الوزارة، والإمارة.

(أ) الخلافة :

تعريف الخلافة :

هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا نيابة عن النبي ﷺ.

تدرج الخلافة في الإسلام :

لقد ترك النبي محمد ﷺ أمر الخلافة شورى بين المسلمين؛ ليختاروا من بينهم من يخلفه قال تعالى :
﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [سورة الشورى : آية (٣٨)].

إثراء

لقد دعي أبو بكر ﷺ باسم خليفة الله فأنكر أبو بكر إطلاق هذه التسمية عليه فقال (أنا لست خليفة الله ولكني خليفة رسول الله) وكذلك من الناحية اللغوية أن لفظة خليفة أو استخلاف تطلق في حق الغائب وليس في حق الحاضر لأن الخليفة هو الذي يخلف من قبله الذي غاب أما خليفة الله فلا يجوز لغوياً ودينياً لأن الله حاضر في كل زمان ومكان .

فلما انتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى اختار المسلمون أبا بكر الصديق ﷺ خليفة له لما توافر فيه من صفات القيادة الحكيمة والخلق الرفيع .

وهكذا كان أبو بكر الصديق هو أول من حمل لقب خليفة رسول الله ﷺ؛ لأنه خلفه في رئاسة الدولة الإسلامية ورعاية شؤون المسلمين الدينية والدينية، والذود عن حياض الإسلام الحنيف، ثم تلا الصديق الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ، فكان يلقب بخليفة خليفة رسول الله ﷺ. ولكي لا تتكرر لفظة خليفة لمن يتولى أمور المسلمين بعد أبي بكر، فقد رأى عمر أن يستبدل هذا اللقب بلقب أمير المؤمنين،

ثم سار على نهجه عثمان ابن عفان وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما . وأمير المؤمنين أو الخليفة يجمع بين السلطتين الدينية والدينية.

فلا يقتصر عمله على المحافظة على الدين فحسب، إنما إقامة الحدود، والدفاع عن ديار المسلمين، ونشر الأمن والطمأنينة في ربوعها، وتنمية موارد بيت مال المسلمين، وتنظيم الجيوش للجهاد في سبيل الله، وتقسيم الغنائم بين المسلمين، وإقامة الجُمع والأعياد.

* اذكر أموراً أخرى يتولاها الخليفة غير الوارد ؟

فقد تم اختيار الخلفاء الراشدين الأربعة عن طريق الشورى والانتخاب، حيث كانت تتم البيعة الأولى (الخاصة) ثم البيعة العامة في المسجد، إلا أنه عندما آلت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان ﷺ أول خلفاء الدولة الأموية، تغير نظام الشورى بتولي ابنه يزيد الحكم، وبذلك ظهر النظام الوراثي الملكي، وظل معمولاً به حتى عهد الدولة العباسية، واستمر الحال حتى بدأت الخلافة تفقد هيبتها في نهاية العصر العباسي الثاني، وبدأت الدويلات الانفصالية في الظهور، وسادت الدولة الإسلامية حالة من التفكك والتمزق، حتى سقطت بغداد على يد المغول سنة ٦٥٦هـ - ١٢٥٨م .

وجوب الخلافة :

الخلافة في الإسلام أمر واجب شرعاً وعقلاً. فالمسلمون لا بد لهم من حاكم يرعى أمورهم ويتولى إدارة شؤون دولتهم وهذا الواجب قد يكون مرجعه العقل أو الشرع أو الاثنان معاً وهذا الرأي الأخير هو ما ذهب إليه الفقهاء المسلمون .

وحيث إن تنصيب الخليفة في الإسلام أمر واجب فقد صار لزاماً على المسلمين إطاعته طالما كان ملتزماً بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ امتثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء].

شروط الخلافة:

اشترط الفقهاء المسلمون لمن يتولى هذا المنصب شروطاً منها:
أن يكون الخليفة رجلاً، مسلماً، بالغاً، عاقلاً، مستقيماً، سليم الحواس والأعضاء.

شارات الخلافة:

البردة: هي عباءة الرسول ﷺ التي كان يرتديها.
الخاتم: صنع لرسول ﷺ خاتم ونقش عليه عبارة «محمد رسول الله» وانتقل الخاتم إلى الخلفاء حتى سقط من إصبع عثمان في بئر أريس بالمدينة المنورة، فاصطنع خاتماً مثله، وحرص من جاء من بعده من الخلفاء على أن يصطنع كل منهم خاتماً يختم به كتبه (رسائله).
القضيب: وهو عود كان الرسول ﷺ يأخذه بيده، فقلده الخلفاء في حملته، فإذا ما تولى الخليفة جاءوه بالبردة والخاتم والقضيب، وظل الأمر على ذلك في الدولة الأموية والدولة العباسية.
وكان يدعى للخليفة على المنابر في المساجد، وينقش اسمه على العملة المتداولة، وتطرز ثياب خاصة له وللكبار رجاله وجنوده.

ب) الوزارة:

تعريف الوزارة:

الوزارة تعني المعاونة والمؤازرة في تحمل أعباء الحكم. وقد وردت لفظة وزير في القرآن الكريم.

* ما الآية القرآنية التي ورد فيها ذكر الوزير؟

إثراء

يقول الفقهاء أن الوزارة ظهرت في الإسلام انطلاقاً من المشاركة في تحمل المسؤولية وعدم الاستبداد، ذلك إن الإمام لا يستطيع بمفرده مباشرة كل أمور الأمة إلا باستنابة وزير أو وزراء؛ لأن ذلك أصح في تنفيذ الأمور من تفرده بها، وبذلك يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل.

تدرج نشأة الوزارة في الإسلام:

كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه أو يفوضهم في الأمور الخاصة والعامة، ويخص أبا بكر رضي الله عنه ببعض الأمور لدرجة أن العرب الذين كانوا على دراية بأحوال الفرس والروم، كانوا يسمون أبا بكر وزيراً للرسول ﷺ.

وكما لم يجر الاسم بنظام الوزارة في عهد النبي ﷺ، فإنه لم يكن معروفاً أيضاً في عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم بالرغم من أن الخليفة كان يستعين ببعض الصحابة في تنفيذ المصالح العامة. وعندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية، احتاج خلفاؤهم إلى من يستشيرونه في سياسة دولتهم ومهام أمورهم من ذوي الرأي؛ ليكونوا لهم بمثابة وزراء يتحملون الأعباء العامة، وإن لم يلقبوا بلقب وزراء. واستحدث منصب وزير مباشرة بعد انتقال الخلافة إلى بني العباس. ولعل ذلك يعود إلى تشعب أعمال الدولة واتجاهها نحو توزيع السلطات. وأول وزراء بني العباس هو حفص بن سليمان (أبو سلمة الخلال)^(١) لُقّب بوزير آل محمد، فقد استوزره أبو العباس السفاح، وفوض الأمور إليه. وقد ركن الخلفاء العباسيون إلى الوزراء، وسلموا إليهم أمور الدولة. وأشهر وزراءهم البرامكة الذين استفحل أمرهم، واتجه نظر الناس إليهم، حتى اضطر الرشيد إلى الفتك بهم. وفي أواخر عهد العباسيين تقلص نفوذ الوزراء بتقلص نفوذ الخلفاء.

نوعاً الوزارة :

انقسمت الوزارة في عهد الدولة العباسية إلى نوعين اثنين هما : وزارة التنفيذ، ووزارة التفويض.

١- وزارة التنفيذ : ينحصر عملها في تنفيذ أوامر الخليفة. ولا يتصرف فيها الوزير تصرفاً شخصياً مستقلاً. وإنما الوزير هنا هو بمثابة حلقة وصل بين الخليفة والرعية.

٢- وزارة التفويض : في هذه الوزارة يفوض الخليفة من يستوزره؛ لتدبير الأمور برأيه دون الرجوع إليه. فالوزير هنا ذو ولاية عامة. إلا أنه لا يستطيع عزل من ولاه الخليفة، أو يعهد بولاية العهد لمن يرى إنما ذلك للخليفة وليس له. ويرجع سبب ظهور وزارة التفويض إلى اتساع رقعة الدولة، وكثرة مشاغل الخليفة.

مقارنة بين وزيري التفويض والتنفيذ :

- ١- يجوز لوزير التفويض مباشرة الحكم والنظر في المظالم، وليس ذلك من حق وزير التنفيذ.
- ٢- يجوز لوزير التفويض أن يستبد برأيه في تقليد الولاية ولاياتهم، وليس لوزير التنفيذ ذلك.
- ٣- يحق لوزير التفويض أن ينفرد بتسيير الجيوش، وتدبير الحروب، ووضع الخطط العسكرية. وليس لوزير التنفيذ ذلك.
- ٤- يجوز لوزير التفويض أن يتصرف في بيت المال، ولا يجوز لوزير التنفيذ ذلك.

(١) لقب بالخلال لأن منزله كان بالكوفة قريباً من محلة الخلالين، وكان يجالسهم فنسب إليهم أو أنه له حوانيت يعمل فيها الخل أو نسبة إلى خلل السيف وهي أعمادها.

تعريف الإمارة :

تعني الإمارة أو الولاية تعيين العمال والولاة على أجزاء الدولة الإسلامية ليسهل تنظيم أمورها وإدارة شؤونها .



شكل (٢) مراكز الولايات الإسلامية

* انظر الخريطة في الشكل (٢) ثم حدد عليها أهم الولايات الإسلامية ومراكزها.

تدرج نشأة الإمارة في الإسلام :

كان من الطبيعي بعد أن اتسعت الدولة الإسلامية وكثرت مشاغل الرسول ﷺ ، أن يلجأ إلى أن ينيب عنه بعض العمال في بعض المدن والقبائل الكبيرة في كل من الحجاز واليمن . ومن هنا نشأت اللبنة الأولى للتنظيم الإداري . وكان ﷺ يتخير عماله ممن اشتهروا بالصلاح والتقوى والعلم والتفقه بالدين . **لماذا ؟**

ولما وَلِيَ أبو بكر رضي الله عنه الخلافة، أقر عمال الرسول ﷺ في أعمالهم ، ولما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قسم الدولة أقساماً إدارية كبيرة ؛ ليسهل حكمها والإشراف على مواردها، وكان يختار الولاة من أفضل القوم ديناً وخلقاً، ويتعهدهم بالنصح والإرشاد. وكان هؤلاء يستمدون سلطتهم من الخليفة الذي يجمع في يده السلطات التنفيذية والقضائية والتشريعية. وكان عمر رضي الله عنه يحاسب عماله ويقتصص منهم . كما أنه يختارهم من العرب لا تعظيماً لعرقهم أو جنسهم ولكن لمقدرتهم على فهم أصول الشريعة وتعاليمها. وأوصى عمر عماله باللين في غير ضعف وبالقوة في غير عنف.

وقد سار الخلفاء الأمويون على سياسة الخلفاء الراشدين في اختيار الولاة من العرب، فكانت دولتهم عربية خالصة. وبلغ اهتمامهم باختيار الولاة أنه كان بعضهم يسند هذا المنصب إلى أفراد البيت الأموي،

كما ازداد نفوذ الوالي في هذا العهد، فكان الحاج مثلاً يجمع الأموال بطريقته الخاصة، ولا يجد نفسه مضطراً إلى مراجعة الخليفة، وفي أغلب الأحوال كادت سلطة الولاية تطغى على سلطة الخليفة بسبب ضعف الخلفاء. أما في العهد العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ) فقد أُستُخدِمَ ولاة من غير العرب، وقد اقتصر عمل الوالي على الصلاة وقيادة الجند؛ لأن الوظائف الأخرى في الولاية كان لها موظفون من قبل الخليفة أهمها: صاحب المال، وصاحب البريد والقاضي، وبذلك استحال النظام اللامركزي الذي كان سائداً في العهد الأموي إلى نظام مركزي، وفضل الولاية البقاء في بغداد، وينبئون عنهم من يلي الأمر باسمهم في الأقاليم حتى جنح أولئك الولاية إلى الاستقلال بولاياتهم ولا سيما بعد ضعف الدولة العباسية. فاستقلت بعض الولايات عن الخلافة حتى كونت لها دولاً مستقلة عن الدولة العباسية مثل: الدولة الطولونية، والدولة الإخشيدية في مصر، والأغالبة في تونس وغيرها.

* انظر الخريطة في الشكل (٣) وحدد عليها أهم الدول التي انفصلت عن الدولة العباسية.



شكل (٣) الدول التي استقلت عن الدولة العباسية

إثراء

الإمارة في المملكة العربية السعودية: تشكل الإمارة الوحدة الإقليمية الأساسية للحكم المحلي في البلاد، وتتكون المملكة العربية السعودية من ثلاث عشرة إمارة..... ما هي؟
ويعد الأمير المعين من قبل الملك، ممثل الحكومة المركزية والحاكم الإداري في إمارته، وتقع عليه مسؤولية حفظ الأمن والنظام وتنفيذ الأحكام القضائية بعد اكتسابها صفتها النهائية، وكفالة حقوق الأفراد وحررياتهم، والعمل على تطوير المنطقة اجتماعياً واقتصادياً وعمارياً، وتنمية الخدمات العامة، وإدارة المحافظات والمراكز، ومراقبة أعمال محافظي المحافظات ورؤساء المراكز، والتأكد من كفاءتهم بالقيام بواجباتهم، والمحافظة على أموال الدولة وأملاكها، والإشراف على الأجهزة الحكومية وموظفيها في المنطقة؛ للتأكد من أدائهم لواجباتهم، كما يشرف الأمير من الناحية الإدارية على فروع الوزارات والمصالح والمؤسسات العامة في الإمارة، إلا أنه لا يملك سلطات رئاسة عليهم، فهو يتبع لوزير الداخلية، في حين تتبع الوحدات الحكومية أجهزتها المركزية في العاصمة.

أسئلة التقويم

س ١ : عدّد خصائص النظم الإسلامية .

س ٢ : عرّف كلاً من :

الخلافة - الإمارة - الوزارة .

س ٣ : أكمل الفراغات التالية :

أ) يشترط في الخليفة أمور عدة منها و..... و.....

ب) استحدث نظام وزير مباشرة بعد انتقال الخلافة إلى.....

ج) الخليفة في عهد الخلفاء الراشدين يجمع في يديه السلطات..... و..... و.....

د) اقتصر عمل الوالي في العهد العباسي الأول على..... و.....

هـ) عندما ضعفت الدولة العباسية قامت عدة دول منفصلة عنها منها:..... و.....

س ٤ : قارن بين :

أ) نظام الخلافة في العهدين الراشدي والأُموي .

ب) وزارتي التنفيذ والتفويض من حيث التعريف والمهام .

س ٥ : ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة من بين الاختيارات التالية :

أ) أول من أطلق عليه لقب أمير المؤمنين :

أبو بكر الصديق رضي الله عنه . عمر بن الخطاب رضي الله عنه . عثمان بن عفان رضي الله عنه .

ب) الذي استحدث النظام الملكي (الوراثي) الخليفة :

عبد الملك بن مروان . هارون الرشيد . معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

ج) أول وزراء بني العباس :

أبو سلمه الخلال . أبو مسلم الخرساني . الفضل بن سهل .

د) نشأت البنية الأولى للتنظيم الإداري في عهد :

الرسول صلى الله عليه وسلم . معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه . أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

س ٦ : من يكون :

أ) لقب بوزير آل محمد.....

ب) أقر عمال الرسول صلى الله عليه وسلم في أعمالهم.....

ج) قسّم الدولة الإسلامية إلى أقسام إدارية كبيرة؛ ليسهل حكمها والإشراف على مواردها.....

س ٧ : علل ما يأتي :

أ) ظهور وزارة التفويض .

ب) إنابة الرسول صلى الله عليه وسلم بعض العمال في بعض المدن والقبائل الكبرى .

ج) اختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عماله (الولاة) من العرب .

س ٨ : صف بأسلوبك ما يلي :
 أ) الإمارة في عهد الأمويين .
 ب) علامات الخلافة .

س ٩ : من خلال الخريطة التي أمامك استكمل الجدول التالي :



الولاية	مركزها	الولاية	مركزها
الحجاز		بلاد الشام	
اليمن		مصر	
الأندلس		إفريقيا	

نشأما فتاها

- ١- قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنَّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [سورة البقرة : آية (٣٠)]
 ما المقصود بالخليفة هنا ؟ وهل هي تعني الحاكم ؟
- ٢- (قُسمت المملكة العربية السعودية إلى ثلاثة عشر منطقة إدارية (إمارة) وعُيِّن على كل إمارة أمير)
 في ضوء ذلك أجب عما يلي :
 أ) في أي إمارة تقع مدينتك ؟
 ب) اكتب نبذة عن إمارتك أو منطقتك .
 ج) من هو أمير منطقتك ؟
 د) ما المقصود بمجلس المنطقة ؟ وما هي مهامه ؟
 هـ) ما أهم المشاريع التي قام بها أمير منطقتك لهذا العام ؟ يكتفى بذكر ثلاث .
 و) ما المقصود بالمجلس البلدي ؟ وما هي مهامه ؟



ستتناول في هذا الفصل دراسة النواحي الآتية للنظام الإداري في الإسلام الدواوين ، الجيش ، البحرية العسس والشرطة ، البريد ،السكة .

أ) الدواوين :

تعريف الديوان :

الديوان كلمة فارسية معربة، وأصلها بالفارسية الدفتر أو السجل، وقيل إن الكلمة عربية ومعناها الأصل الذي يرجع إليه ويعمل به، ثم أطلق لفظ ديوان على المكان الذي تحفظ فيه السجلات المتعلقة بحقوق الدولة والرعية من الأعمال والأموال ومن يقوم بها .
ويعهد بإدارة كل ديوان إلى مدير يُسمَّى الرئيس أو الصدر أو صاحب الديوان. والدواوين أشبه بالوزارات في وقتنا الحاضر.

نشأة الدواوين في الإسلام :

إن أول من أدخل نظام الدواوين في الدولة الإسلامية هو الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان ذلك بعد أن اتسعت الفتوح الإسلامية، فأنشأ ديوان الجند، وديوان الخراج (الجباية) وهو أشبه بالإدارة المالية الحالية. وعندما انتقلت الخلافة إلى بني أمية، بقيت الدواوين التي كانت قائمه في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إلا أن الحاجة أصبحت ماسة إلى دواوين جديدة تنظم إدارة الدولة المترامية الأطراف، وتتلاءم مع تطورها. ومع هذا ظلت الدواوين تمر بدور انتقالي ولم تستقر إلا في العصر العباسي.

(١) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.

نشأما

* انظر الجدول (٤) والذي يبين أهم الدواوين في هذه العهود، ثم أجب عما يليه من أسئلة.

عصر الرسول ﷺ	عصر الخلفاء الراشدين	عصر الدولة الأموية	عصر الدولة العباسية
استخدم الرسول ﷺ عدداً من الصحابة؛ لكتابة الرسائل للملوك، والأمانات والعهود وآيات القرآن الكريم.	ديوان الخراج: أنشأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه؛ لجمع الخراج والإنفاق من موارده على شؤون الدولة، وتدوين ما يرد إلى بيت المال. ديوان الجند: أنشأه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وتحدد فيه الأعطيات للعرب وللجنود من عرب وغيرهم.	ديوان البريد: مهمته توزيع المكاتبات الرسمية، وموافاة الخليفة بالأخبار والحوادث. وقد أنشأه معاوية رضى الله عنه. ديوان الخاتم: وضعه معاوية ابن أبي سفيان رضى الله عنه؛ لنسخ أوامر الخليفة وحزمها وختمها كي لا تتعرض للتزوير. ديوان الرسائل: يشرف على مراسلات الخليفة وينسق بين جميع الدواوين وقد أنشأه معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه. ديوان الصدقات: واسمه مأخوذ من آية الصدقات، ومهمته توزيع موارد الزكاة على أصحاب الحقوق على النحو الذي ورد في القرآن الكريم في الآية رقم (٦٠) من سورة التوبة.	ديوان الطراز: لباس الخليفة وحاشيته. ديوان الزمام: ابتكره الخليفة المهدي ويقوم بالموازنة بين الواردات والنفقات، والتدقيق بالحسابات والشؤون المالية. ديوان الجهبذة: واختص بأمور أهل الذمة وأحوالهم. ديوان المستغلات: «الصوافي» ويهتم الديوان بجميع أملاك الدولة. ديوان الموالي: يشرف على أحوال غير العرب. ديوان العزيز: يشرف على مجلس الخليفة، ويدير الشؤون الهامة للدولة ويشبه مجلس الوزراء اليوم. ديوان المظالم: محكمة استئناف عليا. ديوان الشرطة: الإشراف على النظام والأمن. ديوان الأكره: يشرف على القنوات والترع وشؤون الري.

شكل (٤) بعض الدواوين في الدولة الإسلامية

* ما أسماء الدواوين التي تقوم بالوظائف التالية :

الإشراف على أحوال غير العرب - الإشراف على النظام والأمن - الإشراف على لباس الخليفة.

* ما الهدف من إنشاء الدواوين ؟

تعريب الدواوين :

كانت الدواوين تكتب بلغات البلاد المفتوحة. فكان ديوان بلاد الشام يكتب بالسريانية واليونانية، وديوان مصر بالقبطية، وديوان العراق وخراسان وفارس بالفارسية، وقد ظل هذا الأمر حتى أمر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين في بلاد الشام والعراق، ثم عُربت دواوين مصر في عهد الوليد بن عبد الملك، ثم أكمل الخليفة هشام بن عبد الملك تعريب بقية الدواوين.

تدرج الجيش في الإسلام :

إن أول جيش نشأ في الإسلام كان في عهد الرسول ﷺ، وكانت مهمته الدفاع عن الإسلام والمسلمين من تحرشات الكافرين ومؤامرتهم وبخاصة مشركي قريش. وكان التطوع في ذلك الجيش اختيارياً، حيث كان يدفعه الإيمان العميق بعقيدته الإسلامية، فيقوم المقاتل بتجهيز نفسه وسلاحه ودابته، ولم يتخلف أحد عن القتال. وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين بأن يكونوا دائماً على جانب من القوة وأن يتسلحوا؛ ليرهبوا أعدائهم لقوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ
وَأَخْرَيْنَ مِنْ دُونِهِمْ لَانَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَأَنْظَلُمُونَ ﴾ [سورة الأنفال: آية (٦٠)].

وكان الرسول ﷺ يتولى بنفسه تنظيم المسلمين وإعدادهم لشؤون الجهاد ومقاتلة أعداء الله وأعدائهم. وكان النصر حليف المسلمين ما أطاعوا الله ورسوله ﷺ، ووهبوا أنفسهم رخيصة لله. فقد نصرهم الله تعالى يوم بدر وهم قلة قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نصرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [سورة آل عمران: آية (١٢٣)]. ومن عليهم بالفتح العظيم. **ماهو؟** وواصل الجيش الإسلامي انتصاراته على فلول المشركين في غزوتي حنين والطائف وغيرها من الغزوات.

لم يكن الجيش الإسلامي في عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نظامياً، بل كان يتكون من المتطوعين الذين يرغبون في الجهاد في سبيل الله، غير أن الأمر تغير في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيث تحول الجيش الإسلامي من جيش تطوعي إلى جيش نظامي، وهكذا اقترنت نشأة ديوان الجند بنشأة التجنيد النظامي في الإسلام، وبذلك أصبح الجيش الإسلامي يتكون من فئتين :

أ (**الجند النظاميين** : هم الذين اتخذوا الجندية مهنة لهم، وتفرغوا لها، فأنشأ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ديوان الجند؛ للإشراف عليهم وتسجيل أسمائهم وأوصافهم ومقدار أرزاقهم.

ب (**الجند المتطوعين** : هم الذين يلتحقون بالجيش وقت الحرب تطوعاً، ولا يتقاضون رواتب مقابل ذلك؛ لأنهم وهبوا حياتهم لله في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، ولا تسجل أسمائهم في ديوان الجند. وقد أوجد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الأمصار التي فتحها معسكرات خاصة؛ لإقامة الجنود مثل : البصرة والكوفة والفسطاط ومعسكرات دائمة؛ لراحة الجنود أثناء الطريق وبُنيت العواصم^(١)، وأقيمت الحصون في عدة أماكن؛ لصد هجمات الأعداء المفاجئة.

(١) يقصد بها سلسلة الحصون الداخلية الجنوبية بطرقها الحربية؛ لأنها تعصم الحدود وتعينها على صد غارات الروم .

ولقد أكمل الأمويون ما بدأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نظام الجنديّة، وأدخل في عهد عبد الملك بن مروان نظام التجنيد الإجباري، وكان المقاتل ينال راتباً بالإضافة إلى ما يأخذه من الغنائم، وكانوا يصطحبون معهم نساءهم إلى ميادين القتال. **لماذا؟** فبلغ الجيش الإسلامي في عهدهم مرحلة متقدمة من التنظيم والخبرة القتالية وحسن الأداء وبفضل روح الجهاد العالية والقيادات الفذة. استطاعت الدولة الأموية أن تمد رقعة الدولة الإسلامية من جبال الهملايا وأواسط آسيا شرقاً إلى بلاد الغال (فرنسا اليوم) غرباً.

* هات أمثلة للقيادات الفذة في عهد الدولة الأموية.

واتسع الجيش النظامي في عهد العباسيين على أثر دخول كثير من الناس في الإسلام، حتى صار يُعد بمئات الآلاف من الجند. وكان الجند يتسلمون رواتبهم بصورة منتظمة. وإلى جانب الجيش النظامي كان هناك طائفة أخرى من الجنود المتطوعة. لذلك أُقيمت لهم الرُّبُط التي امتلأت بالمتطوعين، ومن ثم تطور الرباط ليصبح مركزاً للعبادة، وقد استعان العباسيون بالفرس في العصر العباسي الأول، كما استعانوا بالجنود الأتراك أيام المعتصم لإقصاء الفرس عن السلطة وتخفيف سطوتهم.

وقد اهتم العباسيون ببناء الحصون والقلاع، وبناء العواصم والثغور وتحصينهما، كما كان المسلمون يغزون أراضي الروم في أوقات معينة من السنة في الصيف والشتاء وهو ما عُرف بالصوائف والشواتي.

* ما أسباب دخول كثير من الناس في الإسلام؟

* ما المدينة التي أنشأها المعتصم لجنوده؟

تعبئة الجيش الإسلامي :

كان العرب في جاهليتهم يحاربون بطريقة الكرّ والفرّ من غير أن يتبعوا في ذلك نظاماً معيناً، فلما جاء الإسلام ابتدأ التنظيم في جيوش المسلمين. تمثيلاً مع قوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بُنَيْنٌ مَّرْصُومٌ** ﴾ [سورة الصف: آية (٤)].

إثراء

لقد عرف الجيش المسلم نظام الاستطلاع والاستخبارات؛ لجلب المعلومات عن استعدادات وتحركات العدو وعُرف هؤلاء بالعيون (الكشافة)، وعرفوا أيضاً كلمة السر بأنواعها، وكان يرافق الجيش دائماً مشاة ميدانية متنقلة للعناية بالجرحي، كما عرفوا الحرب النفسية.

وقد رتب النبي صلى الله عليه وسلم جيش المسلمين متبعاً نظام الصفوف المترابطة، مثل صفوف الصلاة كيوم بدر بأن جعلهم صفوفاً على النحو التالي: الرماحة، الرماة، الساقة، ولما اتسعت الفتوحات، والتقت جيوش المسلمين بجيوش الفرس والروم - وهي جيوش تسير في حروبها وفق خطط ونظم معروفة - عدل المسلمون تعبئة جيوشهم بما يتفق مع طرائق أعدائهم، وأصبح تنظيم الجيش يتبع نظام التعبئة أي تقسيم الجيش إلى كتائب وتنقسم إلى:

١ - المقدمة: وهي التي تبدأ المناوشات مع العدو، وتتعرف على

مواضعه ومسالكه.

٢- الجناحان : (اليمين واليسار) .

٣- الوسط : وتكون تحت إمرة قائد الجيش، وتسمى قلب الجيش.

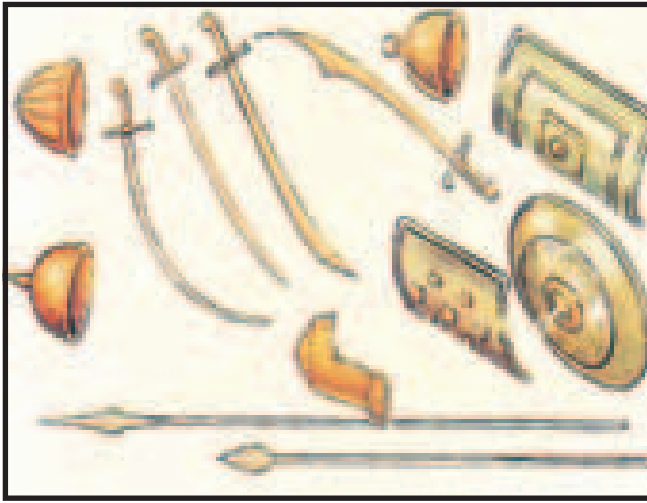
٤- الساقة : الذين يكونون في مؤخرة الجيش، وكل فرقة من هذه الفرق مقسمة إلى كراديس ولها أمير يآتمر بأمر القائد العام للجيش. وكان المسلمون يهتمون بأمر الفرسان لما لهم من شأن عظيم في القتال، وظل هذا النظام معمولاً به في عهد الدولة الأموية (في المشرق وفي الأندلس)، وكذلك في عهد الدولة العباسية مع تعديل بما يوافق تطور الحروب وخطط الأعداء.

أسلحة الجيش :

كانت الأسلحة في صدر الإسلام تنقسم إلى قسمين هما :

١- الأسلحة الفردية :

ومنها أسلحة هجومية كالسيوف والحراب والرماح والسهام والأقواس انظر الصورة في الشكل (٥).



شكل (٥) بعض الأسلحة الفردية

وكان لجند المسلمين مهارة فائقة في استعمالها لحدة أبصارهم، وحاجتهم إليها في الصيد، ولأهمية الرماية فقد حث الرسول ﷺ عليها فقال : (اركبوا وارموا فإن ترموا أحب إلي من أن تركبوا)^(١) وقال ﷺ (ارموا بني إسماعيل فإن أباكم كان رامياً)^(٢). وقال ﷺ وهو قائم على المنبر (أعدوا ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي)^(٣) أما الأسلحة الدفاعية فمنها الخوذة والبيضة والتروس بنوعها المسبل والجوشن.

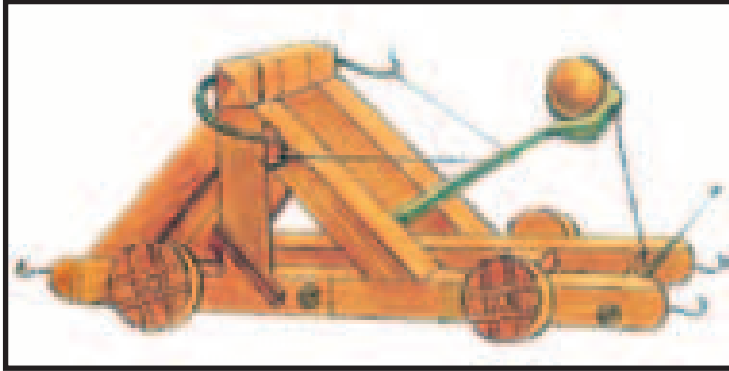
(١) رواه أبو داود ٣/٣١ حديث رقم ٢٥١٣ .

(٢) رواه البخاري ٣/١٢٩٢ حديث رقم ٣٣١٦ .

(٣) رواه مسلم ١٩١٧ .

٢. الأسلحة الجماعية :

وهي التي استخدمها الجيش الإسلامي في حصار المدن واقتحام الأسوار، وتحتاج إلى عدة رجال حملها وتشغيلها أثناء القتال مثل :



شكل (٦) : المنجنيق

المنجنيق : وهي آلة لقذف الحجارة أو النار أو اللهب انظر الصورة في الشكل (٦).

الدبابة : وهو برج من الخشب الصلب المغلف باللّبود والجلود المنقوعة في الخل ؛ كي لا تحترق وهي متحركة، وتركب على عجلة مستديرة ؛ ليسهل تحريكها وتستخدم لتسلق الأسوار.

إثراء

يستخدم الجنود المنجنيق عادة في الهجوم أو الدفاع عن المدن المحصنة بالأسوار. كان الجنود في بعض الأحيان يستخدمون الأشجار الصغيرة كمنجنيق فيقومون بثني الأشجار إلى الخلف وشحنها بجيوب تحتوي مواد قاذفة ثم يتركون الأشجار ترتد إلى الأمام فتطلق المواد التي تحملها. واستخدم المنجنيق في الحرب الحديثة لإطلاق الطائرات من على ظهر حاملة الطائرات.

الحسك الشائك : وهو من قطع الحديد لها عدة شعب يبقى منها سن مرتفع كيفما وقعت على الأرض وهي تطرح حول المعسكرات ؛ لعرقلة خيل العدو كالأسلاك الشائكة حالياً.

الكبش : وهي آلة لنقب الأسوار وفتح الثغرات فيها. تشبه الدبابة إلا أن رأسها في مقدمته مثل رأس الكبش. المكاحل والمدافع : وهي أنابيب ترسل فيها المقذوفات بفعل ضغط البارود المشتعل.

إثراء

لقد نقل المسلمون من بلاد الصين المادة الأساسية التي تدخل في صناعة البارود وهي ملح البوتاسيوم وبفضل التحسينات التي أدخلها المسلمون عليه وتخليصه من شوائبه استطاعوا إنتاج البارود.

- * من أول من استخدم المنجنيق، وفي أي موقعة ؟
- * ما الأسلحة الحديثة الآن الفردية والجماعية ؟
- * ما الفرق بين الدبابة في العهد الإسلامي والآن ؟

ج (الأسطول الإسلامي^(١) :

* ما هدف المسلمين من إنشاء الأسطول البحري ؟

* سم الخليفة الذي تأسس الأسطول الإسلامي في عهده ؟

لم يكن للعرب قبل الإسلام إلا معرفة محدودة للغاية بشؤون البحر ؛ لبداوتهم أساساً وعدم تعودهم ركوب البحر وممارستهم أحواله .

(١) كلمة معربة تعني مجموعة من السفن تعد للحرب أو للنقل .

تدرج نشأة الأسطول البحري الإسلامي :

كانت أول حملة بحرية إسلامية في عهد عمر رضي الله عنه ، والتي قادها العلاء بن الحضرمي (والي البحرين) ضد فارس سنة ١٧ هـ، دون أن يحصل على موافقة سابقة من الخليفة. وقد غضب الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لهذا؛ لأنه كان يكره للمسلمين ركوب البحر. غير أنه عندما دخلت كل من بلاد الشام ومصر تحت لواء الدولة الإسلامية، أصبح لها سواحل طويلة، لذلك ظهرت الحاجة إلى تأمين هذه السواحل من غارات السفن البيزنطية. ونظراً لقلّة خبرة المسلمين بالبحر ومعارضة الخليفة لهم ركوبه، فقد لجأوا إلى إصلاح الحصون الساحلية القديمة التي كان العدو يستعملها من قبل، كما أنشأوا مناور، أي أماكن يراقب منها العدو، وكانت تتخذ المواقيد لطلب الإمداد إذا حدث هجوم مفاجئ، وكان معاوية بن أبي سفيان والي الشام قد ألحّ على الخليفة عمر بن الخطاب في أن يأذن له بغزو بلاد الروم بحراً لقربها منه، لكن عمر رضي الله عنه رفض طلبه، ولم يزل معاوية يلح على الخليفة، حتى تحقق طلبه في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه . إلا أنه أمره بألا يحمل أحداً على ركوب البحر كرهاً، بل يجعل الأمر اختيارياً، فشرع معاوية في بناء كثير من السفن. وأتقن تسليحها وبمساعدة والي مصر عبد الله بن أبي السرح قاموا ببناء الأسطول الإسلامي في الموانئ الشامية والمصرية في أحواض خاصة.



شكل (٧) : أحواض بناء الأسطول الإسلامي

انظر الخريطة في الشكل (٧) فساعد هذا على اتساع رقعة الدولة الإسلامية، كما ساعد على الدفاع عنها وإلقاء الهزيمة بأعدائها كما حدث في موقعة ذات الصواري في البحر المتوسط.

- * في عهد من حدثت معركة ذات الصواري ؟
- * من هو قائدها ؟
- * ما النتائج المترتبة عليها ؟

ولما انتقلت الخلافة إلى معاوية، أُولع بإنشاء السفن الحربية، حتى كان أسطوله مؤلفاً من ١٧٠٠ سفينة. وفي عهد الوليد بن عبد الملك بلغ الأسطول الإسلامي أوج مجده. فتحت الأندلس والسند ومعظم جزر البحر المتوسط الغربي.

* من القادة الذين فتحوا بلاد الأندلس والسند؟

ولما انتقلت الخلافة للعباسيين ازدادوا قوة في البحر فبنوا السفن وفتحوا جزر البحر المتوسط كما غزوا سواحل الهند.

* ما جزر البحر المتوسط؟

استمر نمو البحرية الإسلامية بشكل مطرد حتى أصبحت في العهد المملوكي والعثماني قوة يخشى بأسها، واستطاعت الدفاع عن المقدسات الإسلامية ضد البرتغاليين ورد اعتداءاتهم عن البلاد الإسلامية، كما استطاعت الدولة العثمانية نشر الإسلام في أوروبا وتطهير البحر المتوسط من أساطيل الدول النصرانية.

أنواع السفن البحرية :

كانت المراكب البحرية أنواعاً مختلفة، وقد تم بناؤها في دور صناعة السفن في كل من سواحل مصر وتونس والأندلس وصقلية وغيرها. ومن أهمها :

- ١ - الشونة، أو الشواني : وهي سفن كبيرة كان المسلمون يقيمون فيها أبراجاً وقلاعاً للدفاع والهجوم، ويجدف لها بثلاثة وأربعين ومئة مجداف، وتحتوي على أهراء لخنز القمح، وصهاريج لخنز الماء العذب.
- ٢ - الطراد، أو الطرادات : وهي من السفن الصغيرة على هيئة البراميل، وكانت تستعمل في مطاردة العدو لسرعته.
- ٣ - الحملات : وهي التي تحمل الذخيرة للأسطول .
- ٤ - الحراقة : سفن هجومية مزودة بأسلحة ترمي النفط المشتعل تستخدم في حرق سفن العدو.
- ٥ - القراقير : تحمل الزاد والعتاد.

معدات السفن :

كانت السفن البحرية تجهز بمعدات مساعدة للملاحة كالبوصلية التي تستعمل في توجيه السفينة الوجهة المطلوبة، والإسطرلاب الذي يعين على تحديد دوائر عرض الميناء، وإلى جانب الأدوات الفلكية، كان الرابنة يستخدمون الخرائط، والصور، وسجلات الإرشادات البحرية، كذلك كانت تجهز بالأسلحة اللازمة للدفاع والهجوم ومنها:

- ١ - التوابيت : هي عبارة عن صناديق مفتوحة من أعلاها وتكون في أعلى الصواري ويصعد إليها الرجال ويرمون العدو بالحجارة وهم مستورون بالصناديق.

- ٢ - الكلايب : هي خطاطيف من حديد، يلقونها على إحدى سفن العدو فيوقفون سيرها ثم يجذبونها إليهم ويقتحمونها.
- ٣ - المكاحل (المدافع) : هي أنابيب ترسل فيها المقذوفات بفعل البارود المشتعل وقد استخدمها المسلمون براً وبحراً بعدما عرفوا البارود قبل أن تعرفه أوروبا بنصف قرن .
- ٤ - المنجنيق : هي آلة لرمي الأحجار والنار وغيرها على العدو.
- ٥ - النار الإغريقية : وهي عبارة عن مزيج من الكبريت وبعض الدهون على شكل سائل تلقى مشتعلة على سفن العدو، وقد جعل المسلمون فرقة خاصة لاستخدامها عرفوا باسم النفاطين.

إنداء

١- لقد عرف رجال العسس في بلاد الأندلس بالدرابين لأن بلاد الأندلس كانت لها دروب أو أبواب تغلق في أول الليل بواسطة هؤلاء الدرابين وكل واحد منهم معه سلاحه وكلب وسراج وأنه مازالت متبعة حالياً في أسبانيا بغلق أبواب البيوت والعمارات من الساعة العاشرة ليلاً بواسطة درابين يعرفون باسم سيرنيوس .

٢- ذكر الفقهاء شروطاً قالوا يجب توفرها فيمن يلي الشرطة وهي : يجب أن يكون صاحب الشرطة حليماً مهيباً دائم الصمت، طويل الفكر بعيد الغور، وأن يكون غليظاً في أهل الريب وأن يكون نظره شرراً، قليل التبسم وغير ملتفت إلى الشفاعات .

هم رجال يتولون أمر السهر على الناس ليلاً (أي حراس الليل) إذا كان الناس يتولون حراسة أنفسهم نهائياً يرجع تأسيسها إلى زمن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما حيث ذكر بعض المؤرخين أن عبد الله بن مسعود كان أميراً على العسس في عهد أبي بكر رضي الله عنه أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فكان يتولى هو بنفسه العسس، وكان يصطحب معه مولاه وربما اصطحب معه عبد الرحمن بن عوف .

هـ) الشرطة :

هم الجند الذين يعتمد عليهم الخليفة، أو الوالي في حفظ الأمن والنظام، والقبض على الجناة والمفسدين والضرب على أيدي المريبين والمذنبين وتأديبهم. وتطبيق الأحكام وتنفيذ أوامر القضاة وما يتصل بذلك مما يكفل سلامة الناس، وأمنهم على أنفسهم وأموالهم .

ويذكر السيوطي أن أول من شرط الشرطة في الإسلام عمرو بن العاص رضي الله عنه لما وُلِّيَ إمارة مصر. وفي عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه نظمت الشرطة لحراسة المدينة ولقب رئيسها بصاحب الشرطة وكان يختار من علية القوم وهو أشبه بمدير الأمن اليوم .
والشرطة في الأصل تابعة للقضاء لأن المراد بها تنفيذ أحكام القضاة، ثم ما لبثت أن استقلت وانفصلت عن القضاء، وأصبح لصاحب الشرطة حق النظر في الجرائم وإقامة الحدود في عهد هشام بن عبد الملك والذي أنشأ نظاماً سماه (نظام الأحداث) .

و) السجون :

كان السجين في صدر الإسلام يقاطع ويحبس في داره ويقوم خصمه على حراسته وأول من أوجد السجون في الإسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خصص داراً في مكة المكرمة؛ لتكون سجناً ثم أسس السجون في مراكز الولايات الهامة وأنفق على المساجين منذ خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ كان ينفق على السجين من قبل ذويه، أو المتصدقين عليه، ونظمت السجون في عهد عمر بن عبد العزيز فأوجد ديواناً خاصاً يشرف على السجون، وأمر بإعطاء المسجونين كسوة للصيف وكسوة للشتاء، وأمر بعدم تقييد المساجين وخاصة عند إقامة الصلاة،

وجعل للنساء سجناً خاص بهن وفصل بين فئات المسجونين على حسب الجرم الذي قاموا به، وكان صاحب الشرطة يشرف على إدارة السجون بسجل منتظم، ويتفقد ما يدخل على المساجين من طعام أو لباس ونحوه، والسماح بالزيارة إن لم يكن جرمه خطيراً كما يحدث اليوم .

*** على ماذا يدل موقف عمر بن عبد العزيز من المساجين ؟**

ي (البريد :

تعريف البريد : هو أن تجهز خيل مضمرة لعدة أماكن، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها وقد تعب فرسه، ركب غيره فرساً مستريحاً، وكذلك يفعل في المكان الآخر حتى يصل بسرعة.

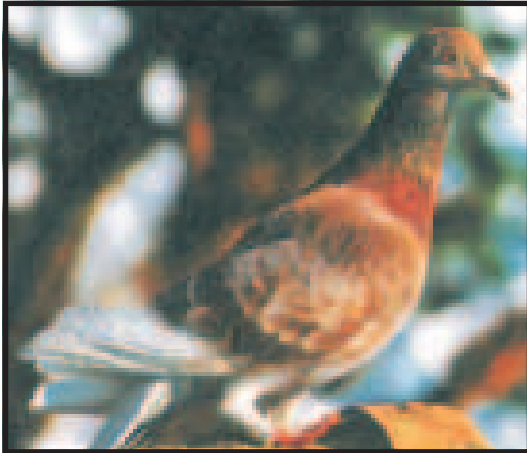
تدرج تطور البريد :

إثراء

حرص عبد الملك بن مروان على البريد فكان يقول لحاجبه قد وليتك بأبي إلا عن ثلاث صاحب الطعام فإنه يفسد بالتأخير والآذان بالصلاة فإنه داع إلى الله والبريد فإنه في تأخيره فساد القاصية .

إن مهمة البريد هو نقل الاخبار والرسائل بين الولايات ومركز الدولة، وقد كانت المراسلات في صدر الإسلام منظمة وسريعة حيث استطاع الخلفاء الراشدون وهم في عاصمتهم الاطلاع على جميع أحداث الأمصار، لصغر مساحة الدولة الإسلامية. ومع اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد الأمويين احتاجوا إلى استخدام البريد على نطاق واسع، فنظموه تنظيمًا دقيقاً وأول من وضع نظام البريد في الإسلام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه .

وفي عهد الخليفة عبد الملك أدخلت على البريد تحسينات كثيرة الأهمية لتأمين المواصلات والأخبار بين الخليفة والولاية. وبلغ من اهتمامه بالبريد أن أوصى حاجبه ألا يمنع صاحب البريد من الدخول عليه في الليل أو في النهار ؛



شكل (٨) : صورة حمام زاجل

لأن عدم المبادرة إلى دخوله ساعة قد يفسد أعمال الولاية سنة ويؤخر مصالح الرعية. وقد أصبح البريد في العصر العباسي شبيهاً بإدارة المخابرات في وزارة الدفاع الآن، وكان المشرف على هذه الإدارة يسمى صاحب البريد. فمن مهامه مراقبة الولاية وما يدور في المجتمع وإعلام الوالي، ويتجسس على الأعداء، وقد أنشئ له ديوان كبير وأوجد له محطات على طول الطريق؛ لاستبدال الدواب والموظف ناقل البريد على مسافة كل فرسخين^(١) .

(١) الفرسخ الواحد : ٥ كم و ٥٤٤ م .

إثراء

ومما ذكر عن سرعة الحمام الزاجل في أداء مهمته عندما حُملت بشرى انتصار المسلمين في موقعة الزلاقة حيث حمله يوسف بن تاشفين معه للقيام بمخابرة سريعة فطارت من موقع الزلاقة إلى إشبيلية في وقت قصير فاحتفل بالنصر في إشبيلية قبل أن يغادر الجيش أرض المعركة .

١- النقل البري الذي يحمل على الدواب (الجمال والخيول) ويتألف من دابة فأكثر. ثم بلغ نظام البريد في عهد بني بويه شأنًا عظيمًا من الدقة والسرعة، حتى كانت الدولة تنقل البريد أثناء الحرب بالجمازات^(١).

٢- البريد الجوي (الحمام الزاجل) **انظر الصورة في الشكل (٨)**

لم يكتف المسلمون بما وصل إليه نظام البريد البري، ولكنهم خطوا خطوات واسعة في تنظيمه وسرعة وصوله، واستعملوا في ذلك الحمام الزاجل. وكان يُكتب المطلوب بصيغة مقتضبة كالتي تستعمل في البرقيات في وقتنا الحاضر. وكانت الرسالة تشد تحت جناح الطائر

أو في ذيله ويكتب منها صورتان ترسلان مع طائرين يطلقان في أوقات متباعدة قليلاً، حتى إذا ضل أحدهما أو قتل أمكن الاعتماد على وصول الآخر. وقد جرت العادة ألا يطلق الحمام في الجو الممطر، ولا قبل تغذيته الغذاء الكافي. وقد اعتنى بهذا النوع من البريد خلفاء بني العباس كالحليفة المهدي (١٥٨-١٦٩هـ). وقد استخدم المسلمون في المراسلة طريقة أسرع من الحمام الزاجل وهي بناء المنائر كالأبراج العالية، على المرتفعات ونقل الإشارات عليها بإشعال النار، فينتقل الخبر بها من منارة إلى أخرى، حتى تصل المكان المطلوب كما اتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي في العصر الأموي المنائر بينه وبين قزوين، واستخدم الدخان نهراً وليلاً؛ لتبادل الرسائل مع جيش قتيبة بن مسلم الباهلي.

(١) محامل أشبه بالعربات التي تجرها الخيل السريعة.

أسئلة التقويم

- س ١ : عرّف كلاً من : الديوان ، العسس ، البريد .
- س ٢ : من أول من أرسى قواعد الجيش الإسلامي ولماذا ؟
- س ٣ : ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة من الاختيارات التالية :
- أ) إن أول جيش نشأ في الإسلام كان في عهد :
- الرسول ﷺ . معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه . عمر بن الخطاب رضى الله عنه .
- ب) أول من أدخل نظام الدواوين في الدولة الإسلامية :
- معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه . عمر بن الخطاب رضى الله عنه . عبد الملك بن مروان .
- ج) استحدث الخليفة المهدي ديوان :
- المظالم الزمام . الشرطة .
- د) تم تعريب الدواوين في عهد :
- الخلفاء الراشدين . الدولة الأموية . الدولة العباسية .
- هـ) أول من جعل الجند فئة نظامية :
- عبد الملك بن مروان . عمر بن الخطاب رضى الله عنه . معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه .
- و) أول من شرط الشرطة في الإسلام :
- عمر بن الخطاب رضى الله عنه . عمرو بن العاص رضى الله عنه . عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه .
- ز) أوجد ديوان يشرف على السجون في عهد الخليفة :
- المهدي . الوليد بن عبد الملك . عمر بن عبد العزيز .
- س ٤ : عدّد بعض الأسلحة الفردية والجماعية ؟
- س ٥ : عدّد أنواع السفن البحرية وما وظيفة كل منها ؟
- س ٦ : اكتب الاسم الدال على كل عبارة من العبارات الآتية :
- أ) أول من استحدث نظام التجنيد الإجباري في الجيش الإسلامي . ()
- ب) الخليفة الذي سمح لمعاوية بن أبي سفيان بإنشاء أسطول بحري . ()
- ج) والي البحرين الذي قام بأول محاولة بحرية لفتح مناطق جديدة . ()
- د) آلة لقذف الحجارة أو النار استخدمها المسلمون في فتوحاتهم . ()
- هـ) سفن صغيرة تستعمل لمطاردة العدو . ()
- و) سفن تحمل الذخيرة للأسطول . ()
- ز) وضع نظام الأحداث . ()
- ح) أول معركة بحرية في الإسلام . ()
- ط) اهتموا ببناء الحصون والقلاع والعواصم والشعور . ()

س٧ : علل ما يأتي :

أ) تعدد الدواوين في الدولة الإسلامية.

ب) الشرطة تابعة للقضاء.

س٨ : ابرز دور كل من :

أ) عبد الملك بن مروان في تعريب الدواوين .

ب) عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الجيش النظامي .

ج) معاوية رضي الله عنه في إنشاء أسطول بحري .

س٩ : صنف الدواوين التالية بحسب ظهورها في العهود الإسلامية المختلفة:

الزمام - الجند - البريد - الرسائل - العزيز .

س١٠ : ما الوظيفة التي يقوم بها كل من :

المقدمة في الجيش :

الكبش كأداة حربية :

الكلايب :

الشرطة :

الإشارات الضوئية :

س١١ : قارن بين : الجند النظاميين - الجند المتطوعين .

س١٢ : ماذا يمكن أن يحدث لو لم :

يوجد ديوان الجند .

تعرب الدواوين .

يقام نظام الشرطة .

س١٣ : صل بين الفقرات في العمود (أ) بما يناسبها في فقرات العمود (ب) :

(أ)	(ب)
ديوان المستغلات	الإشراف على القنوات والترع وشؤون الري .
ديوان الطراز	يشرف على مراسلات الخليفة وإيصال أوامره إلى عمال .
ديوان الجهبذة	يجمع الإيرادات المتنوعة التي تؤول إلى الدولة من أملاك غير منقولة .
ديوان الأكرة	تشرف على المعامل التي تنتج لباس الخليفة .
ديوان الزمام	التدقيق بالحسابات والشؤون المالية .
ديوان المظالم	النظر في مصالح أهل الذمة .

س١٤ : صف بأسلوبك ما يلي :

أ) أول حملة بحرية في الإسلام .

ب) معدات السفن .

ج) السجون .



أنشأت الدولة الإسلامية بيت مال لحفظ أموال المسلمين يتولى مسؤولية الواردات والنفقات (المصروفات). وهو أشبه بوزارة المالية في العصر الحالي. تتمثل مهمة بيت المال في تحقيق التوازن بين موارد الدولة ومصروفاتها.

أ) تاريخ بيت المال:

يرتكز النظام المالي في عصر الرسول ﷺ على قواعد رئيسة هي الزكاة والغنيمة والجزية والفيء، ولم يختلف هذا النظام في عهد أبي بكر رضي الله عنه، ولم يكن هناك بيت مال إذ كانت الأموال تجمع وتصرف في الحال على مستحقيها. لكن الأحوال تغيرت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه. فعندما اتسعت رقعة الدولة الإسلامية وشملت مساحات واسعة جداً من البقاع، كان لابد من نظام تداربه هذه الدولة الواسعة، ولا بد من وضع قواعد ثابتة للاستقرار، فأنشأ عمر رضي الله عنه بيت مال المسلمين وديواناً له وعيّن عبد الله بن الأرقم أميناً له. وجعل لكل ولاية أميناً لبيت المال، له اختصاصات مستقلة عن عمل الوالي والقاضي، ورتب لكل بيت مال حرساً خاصاً لحراسته. واستمر النظام متبعاً في الدولة الإسلامية من حيث الموارد ونفقاته.

أمثلة عن وضع بيت المال :

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

أنشأ عمر بن الخطاب رضي الله عنه (بيت المال)، وقرر أن يكون الخراج مالاً أو غلة. وهو أول من فرض العطاء للناس جميعاً حتى الأطفال. وعلى الرغم من أن (بيت المال) في عهده كان يضم كثيراً من الأموال (هل تعرف السبب؟) إلا أن عمر رضي الله عنه مكث زماناً لا يأكل من مال بيت المال شيئاً حتى دخلت عليه في ذلك خصاصة^(١)، فأرسل إلى أصحاب الرسول ﷺ فاستشارهم وقال لهم : شغلت نفسي في هذا الأمر، فما يصلح لي منه ، فقال علي رضي الله عنه : غداء وعشاء. فأخذ عمر رضي الله عنه بذلك .

* على ماذا يدل موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟

في عهد الوليد بن عبد الملك : كان الخليفة عبد الملك بن مروان هو أول من عربّ الدواوين والسكّة في الدولة الإسلامية. وذلك عندما استعرت نار العداوة بينه وبين أباطرة دولة الروم. وعندما ظهر في العرب ومواليهم مهرة في الكتابة والحسابات نتيجة لرقي الحضارة. تم تعريب دواوين فارس والشام في عهده.

وقد ترك عبد الملك بن مروان لابنه دولة مستقرة موحدة، كما ترك بيت المال عامراً بالأموال. ولما تولى الخلافة الوليد بن عبد الملك سنة ٨٦ هـ استغل تلك الأموال لمصلحة الأمة الإسلامية في ميادين التعمير والإنشاءات والفتوحات. وقد حذا الوليد حذو والده في سياسة التعريب، فتم في عهده تعريب ديوان الخراج في مصر.

* هات أمثلة للإصلاحات التي قام بها الوليد بن عبد الملك.

* ما الفتوحات التي تحققت في عهد الوليد بن عبد الملك؟

(١) الحاجة والفقير .

في عهد المنصور العباسي : لما قام الخليفة المنصور بتنظيم الإدارة في الدولة الإسلامية، عين الوزراء المختصين بشؤون المال وهم : صاحب الأعمال المخزنية، وكان لهذا اختصاصات وسلطات واسعة في السهر على تحصيل الأموال العامة وإنفاقها، وفي رقابة العمال المشرفين، وفي محاسبتهم والقبض عليهم . وكان لهم وكلاء في سائر المدن الكبرى يسمون بالمشرفين وكان للمشرفين : خازن على المال، وخازن على الطعام يتولى الإشراف على حركة الواردات والصادرات من المخازن العامة وإليها . أما متولي المستخلص فهو المشرف على أموال الخليفة والمحافظ عليها، والمحصل لما يتعلق بها من مختلف أبواب الدخل، وهي حقوق الخليفة وأنصبته الشرعية في الغنائم وغيرها . وكان المنصور حريصاً على أموال المسلمين، بالأخص في خدمة المصلحة العامة للمسلمين .

ب (موارد ومصارف بيت مال المسلمين :

موارد بيت المال :

أهم واردات بيت المال هي : الزكاة، والخراج، والجزية والغنيمة، والفيء، والعشور، وموارد أخرى كريع المناجم والمواريث الحشرية .
الزكاة : فريضة فرضها الله على المسلمين وهي أحد أركان الإسلام الخمسة وتسمى أيضاً الصدقة تؤخذ من أغنيائهم وتعطى لفقرائهم .

قال تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [سورة التوبة : آية (١٠٣)] .

* فيم تفرض الزكاة ؟

* استشهد من التاريخ على وجوب إيتاء الزكاة .

الخراج : مقدار معين من المال أو الحاصلات يُفرض على الأراضي التي فتحها المسلمون وتركوها لأهلها الأصليين غير المسلمين ليقوموا بزراعتها .
والأصل في هذه الأراضي أن يوزع أربعة أخصاسها على المجاهدين إلا أن الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأى بعد مشاورة الصحابة أن تبقى الأراضي ملك للدولة الإسلامية ويؤدوا عنها الخراج ليكون مورداً للمسلمين؛ حتى لا تشغل المسلمين عن الجهاد بزراعة الأراضي المفتوحة . ويختلف مقدار الخراج حسب خصوبة التربة وجودة المحاصيل ونوعية المحصول وتدفع سنوياً ولا يسقط باعتناق الإسلام ويتم استنباط أحكامه بالاجتهاد لا بنص من القرآن .

الجزية : هي مبلغ معين من المال يدفعه أهل الذمة مقابل حماية المسلمين لهم وعدم مشاركتهم في الجيش الإسلامي، وتسقط بالإسلام، وقد ثبتت بنص القرآن .

بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ

دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [سورة التوبة: آية (٢٩)].

وتفرض على كل قادر على القتال ولا تفرض على النساء والصبيان والشيوخ ولا على أصحاب العاهات والأمراض. ففي حال فقر الذمي وعجزه عن العمل فإنه يصرف له من بيت مال المسلمين، كما فعل عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما رأى ذمياً مكفوفاً على باب المدينة فأجرى له رزقاً مستمراً.

* ما الفرق بين الجزية والخراج؟

الغنيمة:

هي ما يغنمه المسلمون ويأخذونه من الأعداء في الحرب. وحين تجمع الغنائم يقسمها الإمام خمسة أسهم أربعة أخماس للمقاتلين وخمس للرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل.

الضياء:

هو كل مال كسبه المسلمون عفواً دون قتال. ويقسم خمسة أخماس ويكون خمسه الأول مقسوماً إلى خمسة أسهم كالغنيمة فالسهم الأول منها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والأسهم الأربعة الباقية لذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل عملاً بقوله تعالى:

﴿مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة الحشر: آية (٧)].

العشور:

يرجع نظام العشور إلى عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث أمر بالسماح للكفار بالتجارة بشرط أن يدفعوا عن كل عشرة دراهم درهماً واحداً، وكانت العشور تؤخذ في الإسلام على أنها ضرائب على بضائع التجار غير المسلمين الذين يفدون إلى أراضي الدولة الإسلامية لبيع بضائعهم وهي أشبه بالضرائب الجمركية في الوقت الحاضر، وكانت أحياناً تقل أو تزيد حسب الظروف تبعاً لرأي الإمام، كما له أن يدفع ذلك عنه نهائياً إذا

رأى مصلحة فيه بعد مشورة أولي العلم، والعشر يؤخذ مرة في العام حتى لو تكرر قدوم التاجر خلال السنة.

الركاز:

يشير الفقهاء في بعض تفصيلاتهم إلى ما يسمى بالمعدن أو الركاز. وهما مال وجد تحت الأرض، سواء أكان مما أوجده الله في الأرض من معادن أو غيرها أو كان كنزاً تركه بعض الناس.

إثراء

كان السبب في وضع العشر أن الفاروق رضي الله عنه لقي كتاباً من أبي موسى الأشعري قال فيه أن تجاراً من قبلنا من المسلمين يأتون أرض الحرب فيأخذون منهم العشر فرد عليه الفاروق رضوان الله عليه قائلاً خذ أنت منهم كما يأخذون من تجار المسلمين، وأخذ من أهل الذمة نصف العشر ومن المسلمين ربع العشر إذا بلغ ثمن السلعة مائتي درهم فأكثر.

وفيه يقول الحسن البصري : (ما كان من ركاز في أرض الحرب ففيه الخمس . وما كان في أرض السلم ففيه الزكاة وهو ربع العشر) .

الموارث الحشرية :

الأموال التي لا وارث لها بعد وفاة صاحبها أي (موارث من لا وارث له). فكان يضم كل ما كان يملكه الشخص من هذا النوع إلى بيت مال المسلمين.

مصارف بيت المال :

مصارف بيت المال متنوعة إلا أنه بالإمكان تصنيفها إلى ثلاثة بنود :

البند الأول :

موارده من الخراج والجزية والعشور. وهذه الأموال كانت تصرف في المصالح العامة مثل رواتب الخلفاء والولاة والقضاة، والجند وبناء القناطر وإقامة الجسور وسد الثغور وحفر الترعة، وإصلاح الأنهار وغير ذلك.

البند الثاني :

وموارده من الزكاة التي تؤخذ من المسلمين وفق التشريع الإسلامي. وكان هذا البند ينفق وفق الآية الكريمة:

﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُوبِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [سورة التوبة: آية (٦٠)].

البند الثالث :

وموارده من خمس الغنائم وينفق في الأوجه التي ذكرت في قوله تعالى :

﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِّن شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا عَلَىٰ يَوْمِ الْفُرْقَانِ يَوْمَ التَّقَىٰ أَجْمَعِينَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [سورة الأنفال: آية (٤١)].

أسئلة التقويم

س ١: اذكر ما تعرفه عن تاريخ بيت المال.

س ٢: ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة من بين الاختيارات التالية :
 أ) الذي جعل لكل ولاية أميناً لبيت المال هو :

أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . عبد الله بن الأرقم .

ب) يؤخذ من أهل الذمة لبيت مال المسلمين في الدولة الإسلامية :

الفيء . الجزية . الغنيمة .

ج) الكنز الذي تُرك من بعض الناس يعد من موارد :

العشور . الموارث الحشرية . الركاز .

د) الخراج يستنبط أحكامه من :

القرآن الكريم . السنة . الاجتهاد .

هـ) أول من عرّب الدواوين في الدولة الإسلامية الخليفة الأموي :

معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . عبد الملك بن مروان . الوليد بن عبد الملك .

و) يُسمى الذي يشرف على أموال الخليفة والمحافظة عليها :

المشرف . صاحب الأعمال المخزنية . المستخلص .

س ٣: بم تفسر :

أ) إنشاء الدولة الإسلامية بيت مال للمسلمين .

ب) فرض الجزية على غير المسلمين في الدولة الإسلامية .

ج) اتجاه الوليد بن عبد الملك إلى الإصلاحات .

س ٤: اكتب بأسلوبك عما يأتي :

العشور، الفيء، الخراج .

س ٥: عدد مصاريف بيت المال. وما أوجه صرفها ؟

س ٦: أعد كتابة العبارات التالية بعد تصويب ما بها من أخطاء :

أ) يرتكز النظام المالي في عصر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على قواعد رئيسة هي : الزكاة والغنيمة والعشور والفيء .

ب) تتمثل مهمة بيت المال في تحقيق التعاون بين موارد الدولة ومصروفاتها .

ج) إن ما يصرف على المصالح العامة مثل الرواتب والبناء والإصلاح يكون مورده من الخراج .

د) تم في عهد عبد الملك بن مروان تعريب ديوان الخراج في مصر .

س ٧ : ضع بين القوسين على يمين كل عبارة من العمود (أ) الحرف الدال على ما يناسبها من العمود (ب) :

(ب)

(أ)

() فريضة فرضها الله على المسلمين وتسمى أيضاً صدقة. أ- غنيمة.

() ما يؤخذ من الأعداء في الحرب. ب- الركاز.

() مال كسبه المسلمون عفواً دون قتال. ج- الزكاة.

() مال وجد تحت الأرض. د- الفيء.

() مواريث من لا وارث له. هـ- العشور.

و- مواريث حشرية.

س ٨ : ما الفرق بين كل من :

أ- الجزية والخراج.

ب- الغنيمة والفيء.

س ٩ : (كان بيت مال المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ممتلئ بالأموال ومع ذلك لم يأخذ منه

بالرغم من الحاجة والفقر إلا بعد استشارة الصحابة وأخذ ما يكفيه منه). في ضوء ذلك أجب عما يأتي :

أ) علل : كثرة الأموال في بيت مال المسلمين في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

ب) على ماذا يدل موقف عمر بن الخطاب رضي الله عنه ؟ وما رأيك فيه؟

ج) ما طرق حفظ المال الشخصي؟

د) هل الزكاة والصدقة تنقص المال أم تزيده؟ وكيف؟

نشأمة فتاوى

حرصت الدولة الإسلامية على إنشاء بيت مال المسلمين لحفظ أموال المسلمين، ويختص بالواردات

والمصروفات في ضوء ذلك وضح ما يأتي :

أ) ماذا يمثل بيت المال حالياً؟

ب) ارجع إلى مكتبة المدرسة واكتب تقريراً توضح فيه أثر الأموال في درجة رقي الدولة الإسلامية.

ج) هل تحقق أثر المال في رقي المملكة العربية السعودية؟ وضح ذلك.



مكانة القضاء ونشأته

تعريف القضاء :

هو الفصل بين الناس في الخصومات طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية المستمدة من الكتاب والسنة والإجماع والقياس .

أسس القضاء :

العدل والمساواة أسس نظام القضاء الإسلامي . فالله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بأن يكونوا قوامين بالقسط وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْا أَوْ تَعْرَضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [سورة النساء : آية (١٣٥)] .

مكانة القضاء :

القضاء هو أحد الأركان الأساسية الثلاثة في نظام كل دولة . أما الركبان الآخران فهما السلطان التشريعية والتنفيذية . ومنذ قديم الزمان والقضاء يتبوأ مكانة رفيعة في المجتمع توجب احترام أحكامه . وقد اعتبرت صفة الحكم في الإسلام من صفات الله تعالى فهو - تبارك اسمه - أحكم الحاكمين . وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تؤكد هذا المفهوم . فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِ ؕ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ ؕ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [سورة الأنعام : آية (٥٧)] .

وقد شرف الله تعالى رسوله الكريم وخاتم أنبيائه ﷺ بصفة الحكم فقال تعالى مخاطباً إياه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُن لِّلْخَائِبِينَ خَصِيمًا ﴾ [سورة النساء : آية (١٠٥)] . وفي الحديث الشريف : (إن المقسطين عند الله على منابر من نور على يمين الرحمن) (١) .

(١) رواه مسلم ٣/١٤٥٨ حديث ١٨٢٧ .

القضاء في الجاهلية :

عرف العرب في جاهليتهم نظام القضاء. وكانوا يُسمون القضاء حكومة والقاضي حاكماً. وكان شيخ القبيلة هو الذي يحكم بين من يختصمون لديه.

غير أن نظام القضاء في الجاهلية كان فيه عيوب كثيرة، ولذلك فهو يختلف عن نظام القضاء الإسلامي في جملة أمور جوهرية أبرزها اثنان :

الأول : لم يستند القضاء في الجاهلية إلى قانون مكتوب وإنما كان يعتمد على العرف وما يتطلبه العدل والحكمة.

أما في الإسلام، فإن القضاء يعتمد على الكتاب والسنة والقياس والإجماع.

الثاني : لم يكن حكم القاضي في الجاهلية ملزماً . فكثيراً ما كان يرفض أحد المتخاصمين حكم القاضي. أما في

الإسلام، فإن الحكم واجب الاتباع من قبل جميع الأطراف المتخاصمة. والله سبحانه وتعالى يقول في كتابه العزيز :

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [سورة النساء : آية (٦٥)].

ومن هذه الآية الكريمة تبدو القناعة التامة والرضاء المطلق بالحكم الإسلامي والالتزام به.

القضاء في الإسلام :

فرض من فروض الكفاية بمعنى أنه إذا قام به مَنْ يكفي من المسلمين سقط الإثم عن الباقيين وإذا لم يقيم به أحد أثم الجميع؛ لأن أمر الناس لا يستقيم بدونه فكان واجباً عليهم كالجهاد. ومن سمات القضاء الإسلامي العدل والمساواة والرحمة.

في عهد الرسول ﷺ :

يرتبط نشأة نظام القضاء في الإسلام بهجرة الرسول ﷺ إلى يثرب. فقد أرسى ﷺ أصول نظام القضاء الإسلامي حين عقد معاهدة بين المسلمين من مهاجرين وأنصار مع يهود المدينة وغيرهم من المشركين، ومما جاء في تلك المعاهدة : (وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو شجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله).

فكان رسول الله ﷺ قاضياً، كما كان للشريعة مُبلغاً. وكان ﷺ يحكم بين الناس بما يوحي إليه رب العالمين من الذكر الحكيم. وكان المتخاصمان يحضران إلى الرسول ﷺ مختارين فيسمع كلام كل منهما، وكان من طرق الإثبات عنده : البينة، واليمين، وشهادة الشهود، والأشياء المكتوبة والفراسة.

مفاهيم

البينة : في الشرع هي اسم لما يبين الحق ويظهره. وهذا يعني أن المدعي ملزم بإظهار ما يبين صحة دعواه .

وكان ﷺ يقول: (البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه)^(١)، فإذا أظهر صدقه بإحدى الطرق، حكم له . كما كان ﷺ لا يحابي أحداً من المتخاصمين. فقد أثر عنه أنه قال : (إذا جلس بين يدك الخصمان، فلا تقضين حتى تسمع الآخر كما سمعت من الأول،

فإنه أحرى أن يتبين لك القضاء)^(٢) وروى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال : (إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن اجتهد فأخطأ فله أجر)^(٣)

ولم يؤثر عن النبي ﷺ أنه عين في بلد من البلدان رجلاً اختص بالقضاء بين المسلمين. بل كان ﷺ يعهد إلى بعض الولاة؛ ليكون القضاء جزءاً من أعمالهم. كما أذن ﷺ لنفر من أصحابه بالقضاء بين الناس بالكتاب والسنة والاجتهاد، وقد أذن أيضاً لبعض أصحابه بالفتوى بين الناس. وبلغ عدد من اشتهروا بالفتوى من الصحابة في عهد الرسول ﷺ (١٣١) رجلاً وامرأة. منهم : عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، وأم المؤمنين عائشة، وعبد الله بن مسعود، وزيد بن ثابت، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس رضوان الله تعالى عليهم أجمعين.

في عهد الخلفاء الراشدين :

ولما ولي أبو بكر الصديق رضي الله عنه الخلافة، أسند القضاء إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لم يتلق بلقب القاضي. فظل سنة وقيل سنتين لا يختلف إليه أحد ولا يأتيه مختصمان، لما عرف عنه من الحزم والشدة في الحق. غير أن اتساع رقعة الدولة الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه واختلاط المسلمين العرب بغيرهم من الأمم، استدعى إدخال نظام تشريعي لفض المسائل أو المشكلات التي تنشأ بين الأفراد المسلمين من العرب وغيرهم. وكان هذا النظام يقوم على أساس تعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في فض القضايا طبقاً لأحكام الشريعة الإسلامية، وقد وضع قواعد القضاء ومنها العلم بأحكام الشريعة والتقوى والصلابة في الحق ومنح القضاة استقلالية كاملة بعيدة عن تسلط الولاة.

وهكذا، فإن عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أول من عين القضاة في الولايات الإسلامية. أي فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية؛ لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وعدم قدرة الخليفة والولاة الجمع بين السلطتين، وكان القضاة يعينون من قبل الخليفة أو الوالي إذا كانت ولاية عامة، بمعنى أن تكون له الولاية على الخراج والصلاة معاً. فولى الفاروق أبا الدرداء قضاء المدينة، وولى شريح بن الحارث الكندي قضاء الكوفة. كما ولي أبا موسى الأشعري قضاء البصرة، وولى عثمان بن قيس بن أبي العاص قضاء مصر. أما قضاء بلاد الشام فقد جعل له تنظيمًا قضائياً مستقلاً.

وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه اتخذ داره للقضاء بعد أن كان في المسجد، وفي زمن خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان القضاة يرجعون إليه إذا التبس عليهم شيء؛ لعلمه وفقهه، ولم يكن هناك حاجة إلى تدوين الأحكام في سجلات؛ لأنها تنفذ فوراً بإشراف القاضي.

(١) رواه الترمذي ٦٢٦/٣ حديث ١٣٤٢.

(٢) رواه أبو داود ٣/٣٠١ حديث ٣٥٨٢.

(٣) السنن الكبرى ٣/٤٦١ حديث ٥٩٢٠.

وثيقة

اقرأ النص، ثم أجب عما يليه من أسئلة :

سن عمر رضي الله عنه للقضاة كتاباً يسيرون على هديه في أحكامهم. ويعد هذا الكتاب أساس علم المرافعات في القضاء الإسلامي وبعث بهذا الكتاب إلى أبي موسى الأشعري وإلى غيره من القضاة وهذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم. من عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس (أبي موسى الأشعري)، سلام عليك. أما بعد، فالقضاء فريضة محكمة، وسنة متبعة فافهم إذا أدلي إليك، فإنه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له بين الناس فساو بينهم في وجهك ومجلسك وعدلك حتى لا يطمع شريف في حيفك ولا يياس ضعيف من عدلك، البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصلح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً أو حرم حلالاً، ولا يمنعك قضاء قضيت به بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه لرشدك أن ترجع إلي الحق. فإن الحق قديم، ومراجع الحق خير من التمادي في الباطل. الفهم الفهم فيما تلجلج في صدرك، مما ليس في كتاب ولا سنة، ثم اعرف الأمثال والأشياء وقس الأمور بنظائرها، واجعل للمدعي حقاً غائباً أو بيّنة أمدا ينتهي إليه، فإن أحضر بيّنة أخذ بحقه، وإلا وجهت القضاء عليه، فإن ذلك أجلى للعمى وأبلغ للعذر. المسلمون عدول بعضهم على بعض إلا مجلوداً في حد أو مجرباً في شهادة زور أو ظنيماً (متهما) في ولاء أو قرابة، فإن الله سبحانه تولى منكم السرائر ودرأ عنكم بالبينات، وإياك والقلق والضجر والتأذي للناس، والتنكر للخصوم في مواطن الحق التي يوجب الله بها الأجر ويحسن بها الزجر. فإنه من يصلح نيته فيما بينه وبين الله ولو على نفسه. يكفه الله ما بينه وبين الناس. ومن زين للناس بما يعلم الله منه غير ذلك شئاً الله».

(أ) على أي ولاية تولى عبد الله بن قيس القضاء ؟

(ب) حث عمر بن الخطاب رضي الله عنه قاضيه على تحري المساواة في القضاء . استخرج من النص ما يدل ذلك .

(ج) إذا أخطأ القاضي في قضائه فماذا يلزمه ؟

(د) ذكر النص عدة آداب يجب أن يتصف بها القاضي . ما هي ؟

(هـ) كيف يتم صلاح النية ؟

في العهدين الأموي والعباسي :

ولما اتسعت الدولة الإسلامية في العهدين الأموي والعباسي، اتسع النظام القضائي من حيث التشكيل والاختصاصات؛ من أجل تطبيق العدالة بين مختلف أفراد المجتمع، وإدخال الطمأنينة إلى نفوسهم في ظل تعاليم الدين الإسلامي الحنيف. ولتحقيق هذه الأغراض أصبح النظام القضائي في العهدين الأموي والعباسي يتكون من : القاضي، المحتسب، قاضي المظالم. فأما القاضي فكانت مهامه في فض المنازعات المرتبطة بالأموال الدينية بوجه عام. أما وظيفة المحتسب فهي النظر بالقضايا المتعلقة بالنظام العام وأحياناً في الجنايات التي يحتاج الفصل فيها إلى السرعة.

إثراء

اتسعت سلطة القاضي في الدولة الإسلامية تدريجياً فأصبح ينظر بالإضافة إلى المنازعات المدنية الأمور الإدارية مثل الأوقاف وقد يجمع القاضي بين القضاء والشرطة والمظالم والحسبة وبيت المال. وقد خصص هارون الرشيد زياً خاصاً للقضاة وأحاطهم بمظاهر التكريم والإجلال كما استحدث منصب (قاضي القضاة) وكان بمثابة (وزير العدل) يعين القضاة ويعزلهم ويراقب أعمالهم وأحكامهم.

أما وظيفة قاضي المظالم فهي الفصل فيما استعصى من الأحكام على القاضي أو المحتسب.

هذا وقد أوجد في العصر العباسي ما يسمى (كبير القضاة) أي رئيس القضاة. ومركزه العاصمة وهو يُولي من قبله قضاة ينوبون عنه في الأقاليم والأمصار. وأول من لقب بهذا اللقب القاضي أبو يوسف صاحب كتاب الخراج. وكان ذلك في عهد الخليفة هارون الرشيد، وفي الأندلس كان يطلق على رئيس القضاة لقب قاضي الجماعة، ومركزه قرطبة.

قاضي المظالم (صاحب المظالم):

إن سلطة قاضي المظالم أعلى من سلطة القاضي في ردع الخصوم ومنع التسلط ولم ينتدب للمظالم في العهد الراشدي أحد؛ لأن الخلفاء كانوا يتولون ذلك بأنفسهم، وقد خصص بعض الخلفاء فيما بعد يوماً للمظالم كعبد الملك ابن مروان وعمر بن عبد العزيز في العهد الأموي وهارون الرشيد وابنه المأمون في العهد العباسي. فكانت المظالم ترفع للخليفة؛ ليقوم بدراستها مع مجموعة من الفقهاء والعلماء والقضاة المحيطين بمجلسه. فمهمة قاضي المظالم تتمثل في القضاء الإداري كمحكمة الاستئناف في الوقت الحاضر ومن أبرز اختصاصاته النظر في:

- ١- تعدي الولاية على الرعية والنظر في سيرتهم لرفع الظلم عن الرعية.
- ٢- أعمال رجال الدولة والمنازعات التي عجز القاضي عن فصلها.
- ٣- الأحكام التي لا يقتنع الخصوم بعديتها.
- ٤- تصفح أعمال كتاب الدواوين لأنهم هم أمناء المسلمين على أموالهم.

المحتسب:

الحسبة:

مشتقة من (حسبك) بمعنى أكف لأنه يمنع الناس من الغش وارتكاب المحظورات (أي أنكر عليه قبيح عمله) وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: ﴿وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران: آية (١٠٤)].

ومن يقوم بهذه المهمة يُسمى محتسباً، وكان الرسول ﷺ أول محتسب إذ نهى عن الغش حين قال: (من غشنا فليس منا)^(١). فقد كان ﷺ يكشف الغش ويوبخ الغشاشين ويزجرهم وسار الخلفاء على نهجه عليه السلام حيث كانوا يسيرون في الأسواق ويراقبون المكايل والموازين ويرشدون الناس إلى السلوك الحسن، ثم تطورت الحسبة حيث أصبح لها نظام خاص بها ومهام تقوم بها وعُرفت بهذا الاسم في العهد العباسي.

مهام المحتسب:

- ١- مراعاة الأحكام الشرعية والسهر على إقامة الحدود على مستحقيها.
- ٢- مراقبة الأسواق وما فيها من غش وتدليس ومراقبة الأسعار ومنع التجار من رفعها وجني الأرباح غير المشروعة.
- ٣- النظر في تعديات الجيران على بعضهم البعض وتجاوز حد الجوار.
- ٤- الحكم في الدعاوى المتعلقة بالغش والتدليس.
- ٥- منع معلمي الكتاتيب من ضرب الصبيان، ومنع

أصحاب الدواب من تحميلها مالا تطيق حمله، ومنع أصحاب السفن من زيادة حمولتها حتى لا تغرق.

(١) رواه مسلم ٩٩/١ حديث ١٠١.

إثراء

للحسبة دار تسمى دار الحسبة يقيم فيها المحتسب ويصرف فيها أمور وظيفته ويمكن للمحتسب أن يدعو الباعة إلى دار الحسبة ويكلفهم بإحضار موازينهم ومكايلهم لقياسها ومعايرتها وكان مجلس الحسبة يعقد أحياناً في المسجد ويستعين المحتسب بعدد من الرجال يسمون الأعوان، ويجب أن تتوفر فيهم شروط النزاهة والأمانة والعفة ويمكن له إذا دعا الأمر أن يستعين برجال الشرطة.

وثيقة

القضاء في المملكة العربية السعودية :

تستمد كل مبادئ التشريع القضائي الجنائي والمدني في المملكة العربية السعودية من مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. وتتكون مؤسسات القضاء الشرعي من :

مجلس القضاء الأعلى : وهو أعلى سلطة قضائية شرعية في البلاد، ويقوم بمهام متعددة منها : مراجعة أحكام الحدود والقصاص والإشراف على المحاكم وإبداء الرأي في المسائل الشرعية والقضائية.

هيئات التميز : وهي هيئات قضائية متخصصة في تدقيق الأحكام الشرعية المهمة الصادرة من المحاكم التي تتألف من قاض أو أكثر وتختص بالنظر في المنازعات والجرائم والمحاكم الجزئية أو المستعجلة، وتتألف من قاض أو أكثر وتنظر في قضايا الجرح وحد السكر والحقوق المالية وكتابات العدل وهي ليست دوائر قضائية بالمعنى المعروف بل أجهزة مساعدة للقضاء تقوم بإصدار صكوك الملكية العقارية والوكالات العامة والمبيعات وشهادات الضمان وتحرير الوصايا والهبات والرهونات وغيرها. كما توجد تشكيلات للقضاء الإداري يأتي في مقدمتها :

ديوان المظالم : وهو بمثابة هيئة قضاء إداري مركزي ترتبط مباشرة بالملك، وتنظر في قضايا الرشوة والتزوير والنزاعات التي تنشأ بين المؤسسات المحلية من جهة وبين الأجهزة الحكومية حول تفسير بنود عقود المشاريع الحكومية المنفذة، ويتمتع الديوان بجميع الضمانات والاختصاصات والصلاحيات التي يتمتع بها القضاء الشرعي وبالتالي فإن أحكامه بائنة ونهائية إلى جانب ذلك توجد لجان إدارية ذات اختصاص قضائي كلجان القضاء التجاري ولجان تسوية الخلافات العالمية واللجان الجمركية.

أسئلة التقويم

س ١: أكمل الفراغات التالية :

- أ) طرق الإثبات عند الرسول ﷺ لتبرئة أحد المتخاصمين.....و.....و.....
 ب) تميز قضاء عمر بن الخطاب رضى الله عنه ب.....و..... في الحق لذلك لم يأت مختصمان .
 ج) وظيفة قاضي المظالم الفصل فيما استعصى من أحكام على.....و.....
 د) يعد القضاء أحد الأركان الأساسية الثلاثة في نظام كل دولة والركنان الآخران هما.....و.....

س ٢: ما المقصود بكل من : القضاء - الحسبة.

س ٣: أبرز مكانة القضاء في الإسلام مع الاستشهاد.

س ٤: ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة من بين الخيارات التالية :

- أ) حكم القيام بالقضاء في الإسلام هو : جائز . فرض كفاية . مستحب .
 ب) بلغ عدد من اشتهر بالفتوى من الصحابة في عهد الرسول ﷺ ١٣١ رجلاً وامرأة والمرأة هي :
 عائشة رضي الله عنها . حفصة بنت عمر رضي الله عنها . صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها .
 ج) أسند أبو بكر الصديق رضى الله عنه القضاء إلى :
 علي بن أبي طالب رضى الله عنه . عمر بن الخطاب رضى الله عنه . عثمان بن عفان رضى الله عنه .
 د) أول محتسب في الإسلام هو :
 الرسول ﷺ . عمر بن الخطاب رضى الله عنه . معاوية بن أبي سفيان رضى الله عنه .
 هـ) أوجد ما يُسمّى (كبير القضاء) أي رئيس القضاة في العهد :
 الراشدي . الأموي . العباسي .

س ٥: قارن بين كل من :

- أ) القضاء في الجاهلية والقضاء في الإسلام .
 ب) قاضي المظالم والمحتسب من حيث النشأة والمهام التي يقوم بها كل منهما .

س ٦: فسر ما يأتي :

- أ) قول الرسول ﷺ (البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه) .
 ب) قول الرسول ﷺ (إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر) .
 ج) تعيين قضاة ينوبون عن الخليفة في عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

س٧ : اكتب بأسلوبك ما تعرفه عن :

أ) الآداب التي يجب أن يتصف بها القاضي .

ب) الأسس التي اعتمدا عليها القضاء الإسلامي . مدعماً إجابتك بالأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية .

س٨ : ماذا يحدث لو لم :

أ) يتم نظام القضاء .

ب) يحاسب قاضي المظالم تعدي الولاية على الرعية .

الباب الثاني الحياة العلمية

الفصل الأول : نظام التربية الإسلامية.

الفصل الثاني : العلوم الشرعية.

الفصل الثالث : العلوم الكونية.



تمهيد :

العلم والإيمان هما أساس الحضارة الإسلامية والعلم في الإسلام يعد وسيلة إلى القرب من الله تعالى، كما أنه وسيلة إلى بلوغ السعادة في الدنيا والدار الآخرة. وقد ارتبط العلم بالإيمان في الإسلام منذ أن بزغ نور هذا الدين الحنيف في غار حراء قبل أربعة عشر قرناً. من هنا نستطيع أن نلتمس الحكمة الإلهية في التوكيد على القراءة باعتبارها وسيلة للعلم والمعرفة وبناء الحضارة في أول ما نزل من القرآن الكريم من آيات وهو قوله جل شأنه :

﴿ أَقْرَأْ بِسُورَتِكَ الَّتِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾
عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [سورة العلق]

والإسلام يدعو إلى التفكير والتأمل في حكمة الله وتدبيره. لذلك فهو يحض على استعمال العقل واعتماد اليقين أساساً بدلاً من الظن الذي لا يغني عن الحق شيئاً ذلك إن الإنسان قابل للتعلم. فبالعلم ميز الله تعالى أبا البشر آدم عليه السلام عن الملائكة وبالإيمان والعلم النافع والعمل الصحيح تفتح أمام المسلم السعادة في الدارين. وهكذا يصبح الإسلام بحق دين العلم والمعرفة والرقي الحضاري؛ بل إن الإسلام قد جعل طلب العلم فريضة أو جهاداً في سبيل الله تعالى.

* استشهد من القرآن الكريم والحديث الشريف على منزلة العلم والعلماء في الإسلام.

تصنيف المسلمين للعلوم :

قسم العلماء المسلمون العلوم من حيث أهميتها إلى قسمين رئيسيين هما : فروض العين وفروض الكفاية.

١- فروض العين :

وهي العلوم التي يجب على كل مسلم معرفتها مثل علوم الدين التي لا يستقيم توحيد المسلم لربه وأداء عبادته بدونها وعلى رأسها القرآن الكريم والعلوم المتصلة به كالتفسير والحديث والفقه والأصول.

٢- فروض الكفاية :

وهي العلوم التي يحتاج إليها في تسيير أمور الدنيا مثل علوم الحساب والطب والصناعات، ويمكن أن يتعلمها البعض دون الآخر. أما الخط والتذهيب وما إلى ذلك فقد عدوها من العلوم المفيدة في الحياة الاجتماعية الراقية. وأما السحر والشعوذة وما إلى ذلك فقد حرمها الشرع الإسلامي.

مفاهيم

التربية الإسلامية : هي إحداث تغيير في سلوك الفرد في الاتجاه المرغوب فيه من وجهة نظر الإسلام.



كان للمسلمين في جميع أنحاء دولتهم المترامية الأطراف نظام تعليمي واحد ساعد على تحقيق الوحدة الروحية والعقلية بين شتى الأجناس والشعوب التي تألفت منها الدولة الإسلامية. وكان من مظاهر ذلك النظام الفريد- الذي عُني بتربية الإنسان المسلم عقلاً وجسماً وخلقاً- ظهور مؤسسات تعليمية متعددة نشأت في أزمنة مختلفة بتأثير ظروف خاصة أملتھا طبيعة الحياة الإسلامية آنذاك. كما كان من مظاهر ذلك النظام ظهور مربين أفاذا سبقوا علماء التربية في العصر الحديث إلى كثير من حقائق التربية وأصولها الأولى.

كانت حلقات التعليم الإسلامي تجري في أماكن مختلفة، منها المساجد، والكتاتيب، والمكتبات (خزائن الكتب)، والمدارس.

أ) المسجد :

يعتبر المسجد من أقدم معاهد التربية الإسلامية. ففي مسجد المدينة المنورة كان الرسول ﷺ يعلم الناس أمور دينهم وديانهم. فالمسجد لم يكن إذاً، مكاناً للصلاة فحسب، بل كان أيضاً معهداً للتعليم، وداراً للقضاء واستقبال الوفود، وساحة تتجمع فيها جموع المجاهدين في سبيل الله. ولما كان المسجد هو المدرسة الأولى في الإسلام، فقد صار من المألوف أن نجد عامة الناس الذين يرغبون في تعليم أولادهم يبعثون بهم إلى المساجد حيث كانت تعقد حلقات لتعليم القرآن الكريم والحديث الشريف، وعلى ذلك فإن أقدم المعلمين في الإسلام هم القراء. ولم يكن التدريس في المسجد قاصراً على المواد الدينية، بل يشمل أيضاً الدراسات اللغوية والأدبية والفلك والحساب، وأحياناً كان يدرّس الطب كذلك. وكانت أبواب المساجد والجوامع التي تلقى فيها العلوم المختلفة مفتوحة للجميع؛ ذلك أن الدخول لتلقي العلم في الجامع أو المسجد كان كالدخل لأداء الصلاة. أي أنه لم يكن مقيداً بقيود. فلكل فرد الحق في الاستماع لأي درس من الدروس مادامت لديه الرغبة في العلم والقدرة على الفهم.

وكان الأستاذ يختار له مكاناً معيناً في جانب من صحن الجامع حيث يجلس إليه طلابه على بساط أو حصير، على شكل حلقة يتصدرها الأستاذ، وتختلف سعة الحلقة باختلاف مهارة العالم وشهرته. وقد يكون بالجامع الواحد عدة حلقات للدرس وعدد من الأساتذة. فمن الأساتذة من خُصص له راتب معين من الأوقاف المخصصة للجامع، ومنهم من لم يتقبل شيئاً ابتغاء ثواب الله، بينما عمل على كسب قوته بمزاولة مهنة أخرى إلى جانب التدريس، حيث يُعدّ من أكبر الفضائل عندهم ألا يتلقى الأستاذ أجراً على قيامه بالتدريس، أما الطلاب فلم يدفعوا أجراً في الدراسات العامة في المسجد، بل كانوا في حالات كثيرة يتلقون الهبات والعطايا من الدولة والأوقاف الخاصة بالمسجد. وكان لكثير من المساجد خزائن للكتب، فكانت مكتبات المساجد غنية بما يهدى إليها من كتب مختلفة.

* ما أشهر المساجد والجوامع الإسلامية؟

مفاهيم

الكتّاب أو الكتاتيب : مكان لتعليم الصبيان قال ابن منظور كتاب ومكتب والجمع كتاتيب ومكاتب وهو موضع لتعليم الصغار.

وتُعدُّ من أقدم معاهد التربية الإسلامية أيضاً. وقد ظهرت خلال الفتوحات الإسلامية في عهد أبي بكر وعمر رضي الله عنهما. فقد شعر المسلمون بحاجاتهم إلى التوسع في نشر الدين وتحفيظ أبنائهم القرآن الكريم في أماكن متخصصة بذلك. وقد انتشر الكتّاب مع انتشار الإسلام في الأمصار، وأصبح بناء الكتاتيب لتعليم أبناء المسلمين القرآن الكريم والكتابة والدين عملاً من أجل الأعمال وأكرمها عند الله، يتنافس فيها المتنافسون من عباد الله المخلصين. وكان الكتّاب عاملاً للجميع يتعلم فيه الغني إلى جانب الفقير، نجد في القرى الصغيرة النائية، كما نجد في المدن الكبيرة العامرة؛ لأنه أصبح بسبب صلته بالدين من ضروريات الحياة الدنيا والآخرة.

ج) خزائن الكتب (المكتبات) :

لقد كان من عناية المسلمين بالعلم والمعرفة في عهود مدينتهم الزاهرة أن شغفوا بالكتب، وإنشاء الخزائن لها على نحو لم يكن معروفاً في تاريخ الأمم من قبل. ولم تكن هواية المسلمين في اقتناء الكتب وقفاً على فئة معينة منهم كالحكام والعلماء والأغنياء، بل إن ذلك شمل خاصتهم وعامتهم على حد سواء. وتحدث المستشرقة الألمانية المعاصرة الدكتورة (زيغريد هونكه) عن هذا الأمر في كتابها النفيس (شمس العرب تسطع على الغرب) فتقول ما نصه : «إن متوسط ما كانت تحويه مكتبة خاصة لعربي في القرن العاشر الميلادي كان أكثر مما تحويه كل مكتبات الغرب مجتمعة».

وقد عني الخلفاء المسلمون منذ فجر العهد الأموي بإنشاء الخزائن التي تضم الكتب والسجلات، كما عنوا بالحصول على كتب العلم القديمة؛ لتكون مرجعاً لهم ولأولادهم. وكانوا يزودون المساجد الجامعة في كل إقليم بالخزائن التي تضم المصاحف وكتب العلم. وكان هذا أيضاً شأن كثير من العلماء الذين كانوا يوقفون كتبهم وأوراقهم ومخطوطاتهم على خزائن المساجد ودور العلم، يتقربون بذلك إلى الله ويرجون نشر العلم ومعونة أصحابه. بيد أن النمو الحقيقي للمكتبات أو خزائن الكتب إنما كان في عهد الدولة العباسية. ومما ساعد على ذلك اتساع حركة الترجمة والتأليف في العصر العباسي الأول وتقدم صناعة الورق وظهور كثير من الوراقين الذين يقومون بنسخ الكتب. واتخذ الأدباء والعلماء أماكن يجتمعون فيها للتزود من العلم. فكثرت المكتبات التي تزخر بالكتب الدينية والعلمية والأدبية وغيرها. وصار لكل مدينة مكتبة عامة أو خزانة للكتب فيها قاعات للمطالعة والنسخ. وأحصي في بغداد وحدها في سنة ٢٧٩هـ أكثر من مئة خزانة عامة للكتب. أما في قرطبة بالأندلس فقد اجتمعت فيها سبعون داراً للكتب.

ويمكن تقسيم المكتبات التي ظهرت في العالم الإسلامي إلى ثلاثة أقسام :
مكتبات عامة، ومكتبات خاصة، ومكتبات بين العامة والخاصة.

المكتبات العامة: أنشئت بالمساجد؛ لتكون في متناول الدارسين. وقد كانت هذه المكتبات كثيرة جداً بحيث كان من الصعب أن تجد مسجداً أو مدرسة دون أن تكون مزودة بمجموعة من الكتب يرجع إليها طلاب العلم والباحثون. ومن أشهر هذه المكتبات بيت الحكمة التي أسسها أبو جعفر المنصور، ووسعها هارون الرشيد وبلغت ذورتها في عهد المأمون الذي كان من شدة اهتمامه بالعلم وأهله وجمع الكتب وترجمتها أنه كان يتحف ملوك عصره بالهدايا النفيسة طالباً منهم أن يعطوه ما في خزائهم من كتب الحكمة والفلسفة^(١). وقد كانت مكتبة (بيت الحكمة) أول مكتبة عامة ذات شأن في العالم الإسلامي، بل إنها كانت أول جامعة إسلامية اجتمع فيها العلماء والباحثون ولجأ إليها الطلاب، وظلت مقراً للنشاط الفكري وخزانة عظيمة للكتب حتى عام ٦٥٦ هـ، فأصابها ما حل بالبلاد من خراب ودمار على أيدي الغزاة المغول.

أما في مصر فإن أشهر المكتبات العامة كانت (دار الحكمة) بالقاهرة التي أنشأها الحاكم بأمر الله العبيدي سنة ٣٩٥ هـ، وكان يريد أن يحو من الأذهان ما علق بها عن مجد بيت الحكمة ببغداد، وكان بدار الحكمة بالقاهرة ثمان عشرة قاعة للمطالعة، حُمِلت إليها الكتب من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها يقرؤون وينسخون، وجلس فيها القراء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والأطباء، وأقيم لها خزان وبوابون، وأجريت الأرزاق لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره، وحضرها الناس على اختلاف طبقاتهم: إما لقراءة الكتب، أو للنسخ، أو للتعليم. وكان بها كل ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والمحابر والورق.

المكتبات التي بين العامة والخاصة: هي مكتبات أنشأها الخلفاء والملوك تقريباً للعلم وتظاهراً على أنهم من أهله وجعلوا دخولها مباحاً لطبقة خاصة من الناس.

أشهر هذه المكتبات: (مكتبة الحكم الثاني) (٣٥٠-٣٦٦ هـ) في الأندلس فقد كان هذا الخليفة الأموي عزيز العلم واسع الإطلاع ذا ولع شديد بالكتب. وقد ضمت مكتبة الحكم الثاني بقصره بقرطبة بين خزائنها ٤٠٠،٠٠٠ مجلد. ويلاحظ أنه غالباً ما حُوِّلت المكتبات بين العامة والخاصة إلى مكتبات عامة، كما حصل في مكتبة الخليفة العباسي الناصر لدين الله حيث نقل جزءاً كبيراً من كتبها إلى (المدرسة النظامية) ببغداد.

المكتبات الخاصة: وهي التي أنشأها العلماء والأدباء والأغنياء، لاستعمالهم الخاص، وقد كانت كثيرة جداً ومنتشرة. ومن الصعب أن تجد عالماً أو أديباً دون أن تكون له مكتبة يرجع إليها في دراسته واطلاعه. ومن أشهر هذه المكتبات (مكتبة الفتح بن خاقان) وزير المتوكل العباسي.

وكان لمعظم المكتبات وخاصة العامة منها وراقون يقومون بنسخ الكتب، بل قلما خلت مكتبة ذات شأن من ناسخ أو نُسخ يعملون بها. وقد عرفت المكتبات الإسلامية نظام الإعارة. بل إن طالب العلم كان يجد في داخل خزائن الكتب كل ما يحتاج إليه من أدوات الكتابة، من ورق وحبر وأقلام بالمجان، بل كان في بعض المكتبات مساكن لطلاب العلم وفيها طعام لهم ونفقة، وكان في بعضها، كمكتبة الخلفاء العبيديين بمصر، معلمون يتولون التدريس فيها، لذلك نجد أن خزائن الكتب أو المكتبات الإسلامية في العصور الإسلامية الأولى كانت بمثابة معاهد لنشر العلم والثقافة في المجتمع.

(١) كلمة يونانية تتكون من مقطعين فيلو ومعناها (حب) وسوفيا ومعناها (الحكمة) فالكلمة تعني حب الحكمة أما معناها الاصطلاحي كما كان يستخدمه اليونان فهو العمليات الفكرية والمعادلات العقلية التي يراد بها التوصل إلى الحق والإهداء إلى الصواب.

د) المدارس :

كان أول ظهور للمدارس في الدولة الإسلامية في منتصف القرن الرابع الهجري، وكانت أول مدرسة بُنيت هي (المدرسة البيهقية) بنيسابور من أرض فارس. وقد وجدت مدارس عديدة في بلاد خراسان وما وراء النهر خلال ذلك القرن، وكانت تلك المدارس تقوم بتدريس مذهب واحد من المذاهب الفقهية الأربعة. غير أن بداية ازدهار المدارس وانتشارها على نطاق واسع في أرجاء العالم الإسلامي، يرتبط بقدوم السلاجقة إلى العراق ودخولهم بغداد سنة ٤٤٧هـ، وإخراج البويهيين الفرس من البلاد، فقد أنشأ الوزير السلجوقي والعالم الفاضل نظام الملك (المدرسة النظامية) ببغداد سنة ٤٥٧هـ، لتدريس الفقه وفق المذاهب الأربعة لأهل السنة وهذا يعني بداية تدخل الدولة في شؤون التعليم وتوجيه الناس عقدياً لما فيه صلاح دينهم ودنياهم. بل إن ظهور المدرسة يمثل أهم محاولة جدية في الإسلام لتنظيم الدراسة واستمرارها بتوفير وسائل التفرغ لها، إذ جعلت للمدرسين مرتبات ثابتة، وزود الطلاب في حالات كثيرة بالمسكن والمأكل، مما ساعد على إيجاد نظام ثابت وتقاليد مرعية للدرس والإدارة، وعمل على الاستقرار والنمو في تلك المعاهد.

وعلى غرار المدرسة النظامية ببغداد، قامت مدارس نظامية في بلدان المشرق الإسلامي في كل من بلخ ونيسابور، ومرو وهرارة وأصبهان والبصرة وآمل (بطبرستان) والموصل.

أما في مصر فلم يبن بها مدارس إلا بعد زوال الدولة العبيدية وقيام الدولة الأيوبية التي انتشرت المدارس في عهدها انتشاراً كبيراً، واستمر هذا الانتشار في عهد المماليك، كما كثرت المدارس في ذلك العهد في سورية، وعلى الرغم من أن المدارس قد عُنت بصفة خاصة بدراسة الفقه، إلا أن العلوم الطبيعية والطبية قد وجدت طريقها إلى مناهج كثير من المدارس، وبخاصة حين كان يلحق بالمدرسة مارستان لممارسة الطب نظرياً وعملياً. وعلى هذا الأساس يمكن تشبيه تلك المدارس الإسلامية بجامعة العصر الحاضر. بل إن كثيراً من التقاليد الجامعية المعاصرة قد استمد أصوله من تراث مدارسنا وأصالة حضارتنا الإسلامية.

ثانياً : خصائص التربية الإسلامية :

يمكن إيجاز خصائص التربية الإسلامية فيما يلي :

أ) التعليم للجميع (العمل بمبدأ المساواة في الفرص التعليمية) :

فقد أتاح نظام التربية الإسلامية فرص التعليم لجميع المسلمين دون اعتبار لحالتهم المالية أو مركزهم الاجتماعي. وقد نجم عن تطبيق المسلمين لمبدأ تكافؤ الفرص التعليمية، لهذا المبدأ الذي لم تعرفه أوروبا إلا منذ عقود قليلة ظهور حشد من العلماء الأفاضل من بين أسر فقيرة معدمة أمثال الإمام الشافعي والإمام البخاري والخليل بن أحمد والضحاك بن مزاحم وغيرهم.

ب) تعدد المعاهد التعليمية وكثرتها :

فقد أدت الحركة التعليمية المزدهرة في العالم الإسلامي إلى ظهور فيض من المعاهد التربوية من أنواع شتى.

فالكتابيات تجاوز انتشارها إلى القرى النائية. وكانت هذه تمثل المرحلة الأولية في التعليم. أما حلقات العلم في المساجد والمدارس فكانت عامرة بالدارسين من كل مكان. وفي الوقت الذي كانت هذه الحلقات تعنى أساساً بالدراسات الدينية، كانت المناظرات الفلسفية تجد طريقها إلى دور الحكمة ودور العلم ، وبالمثل أيضاً، فبينما كان من أعمال المارستانات إجراء البحوث الطبية والصيدلانية فإن المراصد الفلكية، كانت تهتم عادة بالدراسات الفلكية والطبيعية، وقد انتظمت البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أذناها بسلسلة فخمة من المعاهد التعليمية التي أمدت المجتمع الإسلامي الكبير بمختلف الكفايات العلمية.

ج) السمو الأخلاقي :

أدرك المسلمون قيمة التنشئة الأخلاقية الرصينة في وحدة الأمة وتماسكها. واعتبروا الدين هو المنبع الثري الذي تُستمد منه كل مكارم الأخلاق، وتبوأ العلماء مكانه رفيعة في المجتمع الإسلامي؛ لأنهم ورثة الأنبياء في العلم وفي سمو الخلق. وقد أدت هذه النزعة الأخلاقية في التربية الإسلامية إلى حماسة شديدة في تحصيل العلم والتفرغ له والرحلة من أجله مهما نأت المسافات وقست الأحوال ، وتلك النزعة المثالية الرائعة هي سر عظمة الأمة الإسلامية، وتماسكها وقوتها، ووحدتها الروحية.

د) أصالة الأساليب التعليمية :

- أسهم المسلمون كثيراً في تطوير طرائق التعليم وأساليبه. فمن ذلك مثلاً :
- 1- مراعاة مبدأ الفروق الفردية في التعليم فقد ترك للطلاب أن يختار المنهج الدراسي والمعلم الذي يريده.
 - 2- اتباع مبدأ التدرج في التعليم من السهل إلى الصعب ومن المحسوس إلى المجرد ومن الكل إلى الجزء.
 - 3- تطبيق مبدأ الأسلوب الفردي في التعليم بمعنى أن كل طالب يتعلم بالطريقة التي تناسب قدراته واستعداده.
 - 4- تقدير قيمة اللعب في التربية والمقصود باللعب هنا هو التمرينات الرياضية والنشاط.
 - 5- تطبيق مبدأ التكرار لما في ذلك من أثر في ترسيخ المعرفة في الذهن.

هـ) العناية بعلوم الدين واللغة العربية :

لما كان الغرض الأسمى للتربية الإسلامية هو تنشئة الفرد المسلم وفقاً لأحكام الشريعة الإسلامية؛ لذلك فإن المحور الذي كان يدور عليه التعليم في الكتابيات هو حفظ القرآن الكريم وما يتصل به من معرفة للنحو واللغة والأدب، وما يتصل بالتعاليم الدينية من عبادات كالصلاة وسائر الفروض الأخرى. كما كانت علوم الدين من تفسير وفقه وحديث، وعلوم اللغة العربية وآدابها من نحو وصرف وعروض وبلاغة هي أساس الدراسات في المساجد والمدارس ، بل إن المدارس لم تؤسس ، كما ذكرنا إلا لتدريس علوم الدين، وبالذات الفقه ، وهذا يعني أن الطلاب المسلمين في الماضي كانوا على معرفة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولغة القرآن الكريم وأحكام دينهم أكثر بكثير مما هو عليه الحال في الحاضر ، بل إن اللغة العربية كانت لغة الكتابة والتخاطب بين علماء المسلمين.

أسئلة التقويم

س ١ : عرف ما يلي :

(أ) علوم فرض العين
(ب) علوم فرض الكفاية.

س ٢ : أكمل الفراغات التالية :

(أ) قسمت المكتبات التي ظهرت في العالم الإسلامي إلى ثلاثة أقسام هي: و..... و.....

(ب) كان أول ظهور للمدارس في الإسلام في القرن

(ج) حقق المسلمون مبدأ..... مما أدى إلى ظهور علماء من أسر فقيرة.

(د) كان الغرض من التربية الإسلامية هو تنشئة الفرد وفقاً.....

(هـ) كانت هي لغة التخاطب بين علماء المسلمين .

س ٣ : علل ما يأتي :

(أ) بدأ النمو الحقيقي للمكتبات في العهد العباسي.

(ب) إنشاء مكتبة دار الحكمة.

س ٤ : عدد وظائف المساجد؟

س ٥ : من أكون :

(أ) أنشأت المدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٥٧ هـ. ()

(ب) أنشأت مكتبة خاصة وأنا وزير للمتوكل العباسي. ()

س ٦ : املأ الجدول فيما يلي :

اسم المكتبة	مؤسسها	موقعها	نوعها
بيت الحكمة			
دار الحكمة			
مكتبة الحكم الثاني			

س ٧ : اكتب ما تعرفه عن الكتابيب.

س ٨ : اهتم المسلمون كثيراً في تطوير طرائق التربية والتعليم وأساليبه. اذكر هذه الأساليب التعليمية.

تمهيد :

قسم المسلمون العلوم إلى قسمين رئيسين هما : العلوم الشرعية، (النقلية) والعلوم العقلية، (الحكمية). أما العلوم الشرعية فهي العلوم التي تتصل بمباحثها بالدين الإسلامي وبها يتميز المسلمون عما سواهم من الأمم الأخرى. فالعلوم الشرعية، هي علوم مختصة بالأمة الإسلامية، أو هي علوم إسلامية صرفة، وقد يضاف إلى العلوم الشرعية (النقلية) علم النحو وعلم اللغة والبيان والأدب وذلك لما لهذه العلوم اللسانية من أهمية في معرفة الإسلام بالإضافة إلى التاريخ.

وأما العلوم العقلية فهي العلوم التي أخذها المسلمون من غيرهم من الأمم الأخرى وكانوا يطلقون عليها أحياناً علم العجم أو العلوم القديمة وعلوم الأوائل وتشمل هذه العلوم : الفلسفة والهندسة والطب والكيمياء والتاريخ والجغرافيا. وتصنف العلوم الشرعية إلى ثلاثة أنواع رئيسة هي : ١- العلوم القرآنية. ٢- علوم السنة. ٣- العلوم الفقهية.

أولاً : العلوم القرآنية :

أ (علوم القرآن :

تعريفه :

هو العلم الذي يتألف من مباحث متعلقة بالقرآن الكريم من حيث نزول، وترتيبه، وجمعه، وكتابته، وقراءته، وتفسيره، وإعجازه، وناسخه، ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك .

نشأة مصطلح علوم القرآن وتطوره :

بدأت الدراسات القرآنية بالظهور منذ القرن الثاني الهجري الذي نشطت فيه الحركة العلمية بين المسلمين تأليفاً وتدويناً واتسع مجالها حتى شملت كل أنواع المعارف والعلوم. فمن أوائل من كتبوا في تفسير القرآن الكريم مقاتل بن سليمان (المتوفى سنة ١٥٠هـ) ثم نهج نهجهم بعد ذلك جماعة من العلماء وضعوا تفسيراً متكاملًا للقرآن وفق ترتيب آياته، واشتهر منهم ابن جرير الطبري (المتوفى سنة ٣١٠هـ). ومن أوائل من ألف في أسباب النزول علي بن المديني، شيخ الإمام البخاري، وألف ابن قتبية الدينوري كتاب تأويل مشكل القرآن. ويلاحظ أن طريقة أولئك المؤلفين تميزت بالاستيعاب والاستقصاء حيث يعمد أصحابها إلى الإحاطة بجزئيات القرآن من الناحية التي كتبوا فيها بقدر ما تسمح به طاقاتهم البشرية، فمن يكتب في غريب القرآن،

مثلاً، يذكر كل مفرد من مفردات القرآن الكريم التي فيها غرابة وإبهام ، ومن يكتب في مجاز القرآن الكريم يقتفي أثر كل لفظ فيه مجازياً كان نوعه في القرآن، ومن يكتب في أمثال القرآن يتحدث عن كل مثل ضربه الله تعالى في القرآن. وهكذا سائر أنواع علوم القرآن الكريم ، ولا ريب أن تلك الجهود الجبارة لا يتهيأ لإنسان أن يحيط بها ولو أفنى عمره واستنفذ وسعه ، لهذا تطلع العلماء إلى علم جديد يكون كالفهرس لكل تلك العلوم والدليل عليها والمتحدث عنها ، فكان هذا العلم هو ما اصطلح عليه باسم علوم القرآن ، ويعد كتاب علي بن سعيد الحوفي المسمى (البرهان في علوم القرآن) الأول من نوعه في هذا المضمار، أي في مصطلح (علوم القرآن). فقد جمع الحوفي شتات علوم القرآن ونسقتها ورتبها في مؤلف واحد يقع في ثلاثين مجلداً مخطوطاً (نصفه محفوظ بدار الكتب المصرية ونصفه مفقود) عرض فيه للتفسير، والإعراب، والوقف، والابتداء، والقراءات، والأحكام، وغيرها. وعلى هذا فإن نشوء (علوم القرآن) كعلم، أو فن جديد إنما كان في القرن الثاني الهجري بداية التدوين العلمي.

ب (علم القراءات :

تعريفه : هو مذهب يذهب إليه إمام من أئمة القراء مخالفاً به غيره في النطق بالقرآن الكريم، مع اتفاق الروايات والطرق عنه، سواء أكانت هذه المخالفة في نطق الحروف أم في نطق هيئاتها وهي ثابتة بأسانيداً إلى رسول الله ﷺ.

نشأته : يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى عهد الصحابة رضوان الله عليهم. فمنهم من أخذ القرآن عن رسول الله ﷺ بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد. فمنشأ القراءات، اختلاف في اللهجات وكيفية النطق بها وطرق الأداء من : تفخيم، وترقيق، وإمالة، وإدغام، ومد، وقصر، وتشديد، وتخفيف، إلى آخره، وجميعها ثابتة بأسانيداً إلى رسول الله ﷺ . وقد اشتهرت سبع قراءات في مختلف الولايات الإسلامية وهي قراءة تنسب إلى الأئمة السبعة وهم : نافع بن عبد الرحمن، وأبو عمرو بن العلاء، وعاصم بن أبي النجود، وحمزة ، وعلي الكسائي، وابن عامر، وابن كثير.

ج (علم التفسير :

تعريفه : هو علم يبحث فيه عن أحوال كتاب الله من جهة نزوله، وسنده، وأدائه، وألفاظه، ومعانيه المتعلقة بالألفاظ والمتعلقة بالأحكام.

نشأته وتطوره : روت عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لم يكن يفسر شيئاً من القرآن إلا آيات تعد علمهن إياه جبريل.

فكان النبي ﷺ يفهم القرآن جملة وتفصيلاً. وكان الصحابة رضي الله عنهم يفهمون القرآن كذلك؛ لأنه نزل بلغتهم. فلما كان عصر الفتوح واتسعت رقعة الدولة ودخل جمع غفير من العجم في الإسلام دعت الحاجة إلى فهم آيات القرآن الكريم ، فنهض بهذه المهمة بعض كبار الصحابة من أمثال علي بن أبي طالب ، وعبد الله

بن عباس، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعري، وأنس بن مالك وغيرهم. وصاروا يفسرون القرآن اعتماداً على ما سمعوه من رسول الله ﷺ، أو بحسب ما وصل إليه فهمهم ويعتبر هؤلاء الصحابة مؤسسي مدرسة التفسير في الإسلام.

وقد ظل التفسير في عصر الصحابة والتابعين محتفظاً بطابع التلقي والرواية. ولكن في عصر التابعين تضخم التفسير بالإسرائيليات والنصرانيات؛ لكثرة من دخل منهم في الإسلام وميل النفوس لسماع التفاصيل عما يشير إليه القرآن من أحداث يهودية ونصرانية.

أشهر كتب التفسير :

بدأ تدوين التفسير في القرن الثاني الهجري، ويمكن أن نصنف كتب التفسير إلى نوعين رئيسين هما :
التفسير بالمأثور، التفسير بالرأي .

١. التفسير بالمأثور :

تعريفه :

وهو تفسير القرآن بالقرآن، أو بالسنة، لأنها جاءت مبينة له، أو بما روي عن الصحابة لأنهم أعلم الناس بكتاب الله، أو بما قاله كبار التابعين لأنهم تلقوا ذلك غالباً عن الصحابة.
وهذا النوع من التفسير هو الذي يجب اتباعه والأخذ به؛ لأنه طريق المعرفة الصحيحة من أشهر كتب التفسير بالمأثور : (تفسير جامع البيان في تفسير القرآن) للطبري.

٢. التفسير بالرأي :

تعريفه :

وهو ما يعتمد فيه المفسر في بيان المعنى على فهمه الخاص واستنباطه بالرأي المجرد.
وتفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل لا يجوز تعاطيه لقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴾ [سورة الإسراء: آية (٣٦)].

ولقول رسوله الكريم ﷺ : (من قال في القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

ومن أشهر كتب التفسير بالرأي : كتاب (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي.

(١) رواه الترمذي ١٩٩/٥، حديث ٢٩٥١.

تعريفها:

يراد بالسنة أو الحديث، وهما كلمتان مترادفتان، كل ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.

أهمية الحديث ومكانته :

للحديث النبوي قيمة كبرى في الدين تلي رتبة القرآن الكريم. فكثير من آيات القرآن مجملة أو مطلقة أو عامة، فجاء قول رسول الله ﷺ أو عمله فيبينها أو قيدها أو خصصها. فالقرآن، مثلاً لم يبين تفاصيل الصلاة، إنما أمر بها مجملة. وفعل النبي ﷺ أو ضح أوقاتها وكيفيتها.

تدوين الحديث :

بدأت كتابة الحديث في عهد النبي ﷺ ومن قبل بعض الصحابة. غير أن ذلك التدوين : كان يجري على نطاق ضيق للغاية. فقد أثر عن النبي ﷺ قوله : (لا تكتبوا عني، ومن كتب عني غير القرآن فليمححه، وحدثوا عني ولا حرج ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

ثم أذن الرسول ﷺ إذناً عاماً حين نزل أكثر الوحي وحفظه الكثيرون وأمن اختلاطه بسواه فقال عليه السلام: (قيدوا العلم بالكتاب)^(٢). وحُفِظَ عنه صلوات الله عليه المنع من كتابة أحاديثه بوجه عام، لأن كلامه كان

موجهاً إلى عامة أصحابه، وفيهم الثقة والأوثق، والصالح والأصلح، والضابط والأشد ضبطاً، والحافظ والأمتن حفظاً. وأذن في الوقت نفسه لبعض أفراد إذناً خاصاً بالكتابة، وقد ترك عدد من الصحابة صحفاً ضاع معظمها، ومن أشهرها صحيفة أبي هريرة رضي الله عنه التي وصلت إلينا كاملة شاملة كما رواها ودونها عنه تلميذه التابعي همام ابن منبه، و جاءت برمتها في مسند الإمام أحمد وتعداد هذه الصحيفة ١٣٨ حديثاً.

وقد ظهرت محاولة لتدوين السنة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ أشار عليه عدد من الصحابة بذلك. فلبث شهراً يستخير الله في ذلك، ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له، فقال : (إني كنت قد ذكرت لكم من كتاب السنن ما قد علمتم. ثم تذكرت، فإذا أناس من أهل الكتاب قبلكم، قد كتبوا مع كتاب الله كتباً، فأكبوا عليها،

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٢٩٨، حديث ٣٠٠٤.

(٢) المستدرک من الصحيحین ١/ ١٨٨، حديث ٣٦٠.

إثراء

تعرف صحيفة أبي هريرة باسم (الصحيفة الصحيحة)، وقد عثر عليها في مخطوطتين متماثلتين في برلين ودمشق. ومن صحف الحديث المدونة في عهد النبوة : صحيفة سعد بن عباد الأنصاري، وصحيفة جابر بن عبد الله، وصحيفة عبد الله بن عمرو ابن العاص المعروفة باسم (الصحيفة الصادقة) والتي اشتملت على ألف حديث كما يقول ابن الأثير.

وتركوا كتاب الله، وإنني والله لا ألبس كتاب الله بشيء أبداً). وهكذا ترك عمر كتابة السنن. غير أن كتابة السنن دخلت طور التنفيذ الفعلي بعد عهد الخلفاء الراشدين وبالذات في جيل التابعين، وكان ذلك في عهد الخليفة عمر بن عبد العزيز، الذي خشى اندراس السنّة، وبخاصة بعد أن تسرب الوضع إليها بتأثير عوامل مختلفة لعل من أخطرها الخلافات السياسية بين الجماعات الإسلامية كتلك التي كانت بين العلويين والأمويين، فأمر عمر بن عبد العزيز بجمعها على أيدي كبار علماء التابعين، وأمر المسؤولين في مختلف أقاليم الدولة الإسلامية بالاعتناء بالحديث الشريف وتشجيع العلماء على عقد حلقات دراسية في المساجد. وكان أول من استجاب لدعوة عمر بن عبد العزيز في تدوين الحديث عالم الحجاز والشام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري المدني الذي دون له كتاباً في ذلك، فغدا عمر يبعث إلى كل أرض من ديار الإسلام بدفتر من دفاتر الحديث للزهري الذي كان يفخر بعمله قائلاً: (لم يدون هذا العلم أحد قبل تدويني) فالمحاولة الرسمية لتدوين الحديث إنما كانت في عهد عمر بن عبد العزيز.

ثالثاً العلوم الفقهية:

تعريف الفقه: يراد بالفقه مجموعة الأحكام المشروعة في الإسلام التي تعلم مشروعيتها بطريق النص الصريح في القرآن، أو بيان الرسول ﷺ وسنته، أو بطريقة إجماع المسلمين، أو باستنباط الفقهاء المجتهدين سابقاً ولاحقاً من دلائل نصوص القرآن والسنة وقواعد الشريعة ومقاصدها.

تعريف أصول الفقه: هي القواعد التي يتوصل بها لاستنباط الأحكام الشرعية من الأدلة.

الأحكام الشرعية أو الفقهية سبعة أقسام:

العبادات (من صلاة وزكاة وصيام وحج وجهاد)، والمعاملات (كالبيع والشراء والإجازة والقروض والربا)، والأسرة، أو الأحوال الشخصية (كالنكاح والطلاق والنفقة والميراث والنسب). والعقوبات (لمعاقبة المجرمين وحفظ الأمن الداخلي).

والأحكام السلطانية أو السياسية الشرعية (الأحكام المتعلقة بسلطان الحاكم على الرعية وبال حقوق والواجبات المتقابلة بينهما)، والسير، أو نظام السلم والحرب، والاصطلاح القانوني المعاصر لتلك الحقوق الدولية، والآداب (الأحكام المتعلقة بالأخلاق والحشمة والمحاسن والمساوىء).

مصادر الفقه:

عدّ العلماء مصادر الفقه، أي منابعه التي يستقي منها، أربعة هي:

- ١- الكتاب: وهو كتاب الله تعالى وقرآنه الذي نزل على رسوله محمد ﷺ وهو الأصل في التشريع الإسلامي.
- ٢- السنة: هي، كما تقدم ذكره، كل ما جاء منقولاً عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير.
- ٣- الإجماع: هو اتفاق المجتهدين في أي عصر على حكم شرعي.
- ٤- القياس: هو إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحاد العلة بينهما.

نشأة المذاهب الفقهية الأربعة :

كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً عظيماً وسريعاً، وامتزاج الحضارات العريضة التي كانت سائدة في بلاد العراق والشام ومصر وفارس بحضارة الإسلام الطالعة أن عرضت للناس وقائع جديدة تستدعي وضع بعض التشريعات في المعاملات والحلال والحرام. وكان لابد للفقهاء من الاجتهاد ، فتبع ذلك ظهور مدارس أو مذاهب فقهية.

العوامل التي ساعدت على تكوين المذاهب الفقهية :

- ١- اتساع الدولة الإسلامية وكثرة عدد الداخلين في الإسلام.
- ٢- تدوين القرآن (كاملاً في عهد عثمان) والسنة (بداية عهد عمر بن عبد العزيز).
- ٣- جمع فقه الصحابة وفتاوى التابعين.
- ٤- تصنيف طائفة غير قليلة من العلوم تقوي ملكة الاجتهاد والقياس والاستنباط، كعلوم اللغة العربية وتفسير القرآن وآداب المناظرة والكلام.
- ٥- تشجيع الخلفاء للحركة الفقهية ومؤازرة للعلماء وعنايتهم بمجالس البحث، والنظر، ورغبة الكثيرين منهم في الجدل.

١- المذهب الحنفي :

ينسب هذا المذهب إلى إمامه أبي حنيفة النعمان بن ثابت، وهو فارسي الأصل ويسمى الإمام الأعظم. ولد بالكوفة سنة ٨٠هـ في عهد عبد الملك بن مروان وكان إمام العراقيين. وقد انتقلت زعامة أهل الرأي إليه واستقرت عليه. فقد وطد طريقة الاستحسان، واشتهر بقوة الحججة وسرعة الجواب المفحم وعبقرية الفهم والاستنباط. لقد كان أبو حنيفة - رحمه الله - واسع الاجتهاد ، فقد خرج على الناس بمذهب جديد فيه حرية للعقل بكثرة استعمال الرأي والقياس، وبما تبع ذلك من كثرة الفروع ورجوعها إلى أصول، وبمقدرة فائقة في الاستنباط، وبشجاعة في مواجهة المسائل حتى الفرضية منها والإفتاء فيها، وتعرف وجوه الحيل في المسائل، وبتقريب الفقه إلى الأذهان. توفي في بغداد عام ١٥٠هـ.

٢- المذهب المالكي :

وينسب إلى إمامه مالك بن أنس الأصبحي وكان عالم المدينة وإمام الحجازيين. ولد - رحمه الله - بالمدينة سنة ٩٣هـ وعاش حياته فيها. ويعد مذهبه وسطاً معتدلاً بين أهل الرأي والحديث؛ لكثرة إسناده إلى الحديث إذ كانت روايته قد انتشرت ولا سيما في مدينة الرسول ﷺ على أن مالكا يُعد إلى جانب ذلك من أهل الرأي ، ومذهبه وأصوله إلى الرأي أقرب نسبياً. وقد استفاد من مركزه في المدينة، الاتصال الدائم بعلماء الآفاق كلها في موسم الحج توفي الإمام مالك بن أنس سنة ١٧٩هـ.

٣. المذهب الشافعي :

ينسب إلى إمامه محمد بن إدريس الشافعي القرشي . وقد ولد رحمه الله بغزة سنة ١٥٠ هـ، وتربى يتيمًا، ورحل إلى العراق والحجاز، فأخذ عن أصحاب أبي حنيفة وعن مالك، ثم استقر في مصر سنة ١٩٩ هـ، حيث أسس مذهبه الجديد وللشافعي مذهبان : قديم وجديد ، فما وضعه بالعراق من الأحكام هو مذهبه القديم، وما استقر عليه في مصر هو مذهبه الجديد ، ومع توسط الشافعي بين المغالين في الرأي والمنصرفين عنه، كان الشافعي يميل ميلاً صريحاً إلى تأييد أهل الحديث ، وقد أنكر على شيخه مالك طريقة الاستحسان .

ويتلخص مذهب الإمام الشافعي في إثارة الرجوع إلى النصوص من آيات وأحاديث ، فيعمل بظاهر القرآن ما لم يقدّم دليل على إخراجها عن ظاهره، ثم بالسنة ولو كانت خبراً واحداً غير مشهور ، فإن لم يكن في المسألة قرآن ولا سنة فلا بأس بالإجماع ، ولكن الإجماع ليس مقيداً بعمل أهل المدينة ، ويؤخذ في هذا المذهب أيضاً بالقياس من غير توسع ولا بد أن يكون لهذا القياس أصل من الكتاب أو السنة . توفي الشافعي سنة ٢٠٤ هـ .

٤. المذهب الحنبلي :

وينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل الشيباني تلميذ الإمام الشافعي . ولد رحمه الله ببغداد سنة ١٦٤ هـ . وتنقل في البلاد وأكثر الرحلة في طلب الحديث حتى انفرد في معرفة الصحابة والتابعين وكان يكره الفتوى في المسألة التي يرد فيها أثر، وعُرف بالحديث أكثر مما عرف بالفقه وقيل أنه كان يحفظ ألف ألف حديث وهو زعيم أهل السنة والجماعة في ذلك الوقت . أما الأصول التي يعتمد عليها في فقهه هي : الكتاب، والسنة، وفتوى الصحابة، والاستصلاح (الاستحسان) والقياس وهو أضعف الأدلة عنده . توفي الإمام أحمد سنة ٢٤١ هـ وقد خرجت بغداد عن بكرة أبيها تشيع جنازته .

أسئلة التقويم

س ١ : أكمل الفراغات فيما يلي :

- أ) تصنف كتب التفسير إلى نوعين رئيسيين هما : و.....
ب) يسمى الإمام الإمام الأعظم.
ج) ولد الإمام مالك بن أنس في سنة ٩٣ هـ.
د) يعد زعيم أهل السنة والجماعة.

س ٢ : اكتب ما تعرفه عن نشأة علم القراءات.

س ٣ : ضع إشارة (✓) أمام العبارة الصحيحة وإشارة (X) أمام العبارة الخطأ مع تصحيح الخطأ :

- أ) يعد كتاب (البرهان في علوم القرآن) لعلي الحوفي الأول من نوعه في مجال علوم القرآن. ()
ب) يرجع عهد القراء الذين أقاموا الناس على طرائقهم في التلاوة إلى العهد العباسي. ()
ج) من أشهر كتب التفسير بالرأي كتاب (تفسير جامع البيان في تفسير القرآن) لفخرالدين الرازي. ()
د) للإمام الشافعي مذهبان قديم وضعه في العراق وجديد وضعه في مصر. ()

س ٤ : عدد العوامل التي ساعدت على تكوين المذاهب الفقهية.

س ٥ : اذكر المصطلح التاريخي للعبارات التالية :

- أ) العلوم التي أخذها المسلمون عن غيرهم من الأمم الأخرى. ()
ب) كل ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير. ()
ج) اتفاق المجتهدين في أي عصر على حكم شرعي. ()
د) إلحاق أمر بآخر في الحكم الشرعي لاتحاد العلة بينهما. ()

س ٦ : علل ما يأتي :

- أ) بداية الدراسات القرآنية بالظهور منذ القرن الثاني الهجري.
ب) تدوين الحديث رسمياً في عهد عمر بن عبد العزيز.

العلوم الكونية

لم يقف الإبداع الحضاري للمسلمين في العصور الوسطى عند حد العلوم الشرعية التي تمثل نقلة بعيدة المدى في مجالات التنظيم الاجتماعي والضمير الإنساني، بل تعداها إلى سائر المعارف والعلوم الكونية التي كانت معروفة في ذلك الزمان.

وسنحاول في هذا الفصل أن نتلمس جوانب تلك النهضة العلمية الكبرى التي قاد لواءها وحمل مشعلها جمع غفير من علماء المسلمين الأفاضل في شتى ميادين العلوم الطبيعية والرياضية والحياتية.

أولاً: حركة الترجمة :

تعريف الترجمة :

هي نقل العلوم من لغاتها الأصلية إلى اللغة العربية. بدأت حركة الترجمة بصورة محددة في العصر الأموي، ويُعد خالد بن يزيد بن معاوية الذي كان مولعاً بالعلوم وخاصة الكيمياء، أول من اهتم من العرب بالترجمة، حيث شجع على ترجمة كتب الكيمياء إلى العربية. وقد بلغت حركت الترجمة قمة مجدها في العصر العباسي الأول بسبب دعم وتشجيع الخلفاء والأمراء والوزراء العباسيين لها، مما أدى إلى إثراء المكتبة العربية بمختلف العلوم والمعارف التي نُقلت من اليونانية والفارسية والهندية إلى اللغة العربية. ولم يكتفِ العلماء المسلمون بمجرد الترجمة والنقل، بل عملوا على تهذيب ما وقع تحت أيديهم من كتب وعلوم تلك الأمم، وطوعوها لأوضاعهم الحضارية، والاستفادة منها عملياً.

ثانياً : مآثر المسلمين في العلوم الكونية :

أ) في العلوم الرياضية والفلكية :

نبغ المسلمون في جميع فروع الرياضيات والفلك وكانوا رياضيين وفلكيين من الطراز الأول. أخضعوا علوم الإغريق للتجربة، وصححوا ما فيها من أخطاء، ثم أضافوا إليها إضافات كثيرة. وزاوجوا بين علوم الهندس والإغريق فأتجوا مباحث جديدة وفتحوا آفاقاً جديدة في الفلك بقياساتهم وأرصادهم ونظرياتهم. وفيما يلي خلاصة لأبرز مآثر المسلمين في العلوم الرياضية والفلكية :

في الرياضيات :

- ١- تهذيب (نظام الترقيم) المنقول عن الهنود وتكوين سلسلتين منه، عُرفت إحداهما بالأرقام الهندية وهي المستعملة في الأقطار الإسلامية والعربية وفيها استعملت النقطة لتدل على الصفر. وعُرفت الأخرى بالأرقام الغبارية وفيها استعملت الدائرة لتدل على الصفر. وقد انتشرت هذه الأرقام في الغرب والأندلس، ومنها دخلت إلى أوروبا، ويسمىها الغربيون الأرقام العربية (Arabic numerals).
- ٢- ابتكار طريقة الإحصاء العشري، واستعمال الصفر لنفس الغاية التي نستعملها الآن. فحل هذا النظام في العد العشري محل النظام اللاتيني الذي كان يشتمل على عدد من الأرقام بقدر حروف الهجاء. والعالم الرياضي المسلم الذي ابتكر استعمال الكسر العشري هو غياث الدين الكاشي.
- ٣- حل المعادلات الجبرية من الدرجة الثانية.
- ٤- تأسيس علم الجبر الذي ابتكره الخوارزمي.
- ٥- نقل كتاب الأصول في الهندسية لإقليدس إلى العربية، وتأليف كتاب آخر على نسقه.
- ٦- قياس السطوح الكروية والمستوية، وقد برع في هذا أولاد موسى بن شاعر الثلاثة محمد وأحمد والحسن في عصر المأمون.
- ٧- استخدام الجيوب بدل الأوتار وحل بعض المعادلات التكعيبية بطرق هندسية والتمهيد (وبالذات ثابت ابن قرة الحراني الذي يعتبر بحق أعظم المهندسين الرياضيين المسلمين) لعلم التفاضل والتكامل. بل إن ثابتاً هذا كان من بين الذين اشتغلوا بالهندسة التحليلية وأجادوا فيها.
- ٨- فصل المثلثات عن الفلك وجعله علماً مستقلاً. ولولا ذلك لما كان بالمستطاع تحقيق العديد من الاختراعات والاكتشافات.

في الفلك :



شكل (٩) صورة للإسطرلاب العربي

- ١- قياس زاوية الكسوف والخسوف.
- ٢- تقدير حجم الأرض.
- ٣- دراسة ظاهرة الاعتدالين والانقلابين.
- ٤- تطوير أدوات الرصد لدراسة الأجرام السماوية.
- ٥- تصحيح طول السنة الشمسية^(١).
- ٦- اختراع الخطار (البندول). وهو من اختراع كمال الدين بن يونس المصري.
- ٧- إثبات دوران الأرض. وقد دل على ذلك أبو الريحان البيروني (الذي وُصف بأنه ألمع علماء زمانه في الرياضيات) عن طريق جذب جميع الأجسام نحو مركز الأرض.
- ٨- عمل الأزياج (الجدول الفلكية) والإسطرلابات انظر الصورة في الشكل (٩).

(١) حددها البتاني بـ ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٦ دقيقة و ٣٢ ثانية. (وكان بطليموس وأبرخس قد حسابها ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٥٥ دقيقة و ١٢ ثانية).

ب (في العلوم الطبيعية:

في الكيمياء :



شكل (١٠) صورة الأنيق

- ١- اختراع الأنيق : وهو جهاز كان يستعمل قديماً في تقطير السوائل والزيوت الطيارة.
انظر الصورة في الشكل (١٠)
- ٢- التفريق بين الأحماض والقلويات واكتشاف العلاقة بينهما.
- ٣- أول من أعطى الكيمياء هذا الاسم.
- ٤- تطبيق الكيمياء في مجال الطب.
- ٥- صنع الماء الملكي لإذابة الذهب.
- ٦- ابتكار طرق محسنة للتبخير والترشيح والتصعيد والانصهار والتقطير والتبلور. ويعود ذلك للعالم المسلم (جابر بن حيان) أبو الكيمياء.
- ٧- تركيب نوع من الصبغة اللامعة من المرقشيتا المذهب؛ ليحل محل الصبغة المصنوعة من الذهب الخالص والمرتفعة الثمن (أبو بكر الرازي).
- ٨- تأسيس علم الكيمياء على الأساليب العلمية الحديثة (أبو بكر الرازي).

في الفيزياء :

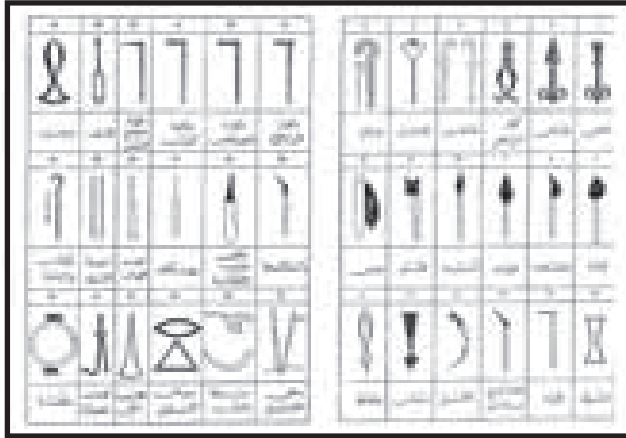
- ١- دراسة البصريات والصوت والضوء.
- ٢- استعمال المرايا المقعرة والمحدبة.
- ٣- اكتشاف أن العين ترى الأشياء عن طريق الأشعة الساقطة عليها والمنعكسة إلى العين خلافاً لنظرية الإغريق القائلة أن العين ترسل أشعة إلى الأشياء فتراها بها.
- ٤- اكتشاف نظرية الغرفة المظلمة التي يدخل الضوء فيها من ثقب صغير فتعكس المناظر الداخلة على الحائط المقابل مقلوبة. وقد بُنيت على هذه النظرية فكرة آلة التصوير فيما بعد ويلاحظ أن جميع هذه المآثر تعود لشيخ علماء البصريات المسلم (الحسن بن الهيثم).

ج (في الطب والأحياء:

في الطب والجراحة :

- ١- معرفة أعراض المرض.
- ٢- التفريق من حيث التحليل التشخيصي بين مرضي الحصبة والجدري.
- ٣- إدخال المركبات الكيميائية في العلاجات الطبية.

- ٤- معرفة الدورة المرضية لكل من الحصبة والجدري.
- ٥- بناء المستشفيات والمصحات (دور النظافة) وتزويدها بكل وسائل الراحة وبما يتفق مع المبادئ الحديثة في الصحة العامة.
- ٦- إجراء الفحص اليومي على المرضى بالمستشفيات وتدوين خلاصة الفحص على لوحة سرير المريض.
- ٧- استخدام التخدير في العمليات الجراحية وطرق التعقيم.
- ٨- ابتكار نظام الحميات أو الأغذية الخاصة بالمرضى.
- ٩- وضع قواعد في طب العيون.



شكل (١١) بعض الآلات الجراحية

١٠- صنع آلات جراحية مختلفة الأنواع كالمقاشط (لتنظيف الأسنان) والكلايب (لخلع الأسنان) والحقن المعدنية (لاستخراج حصاة المثانة) والمشارط (لشق الجلد). انظر الصورة في الشكل (١١).

١١- اكتشاف الدورة الدموية (ابن النفيس). ويعود الفضل في تقدم علم الطب عند المسلمين إلى عدد من العلماء من أبرزهم أبو بكر الرازي صاحب كتاب (الحاوي) وابن سينا وكتابه (القانون في الطب)، وعلي بن عيسى في طب العيون ومؤلفه القيم (التذكرة)، وأبو القاسم الزهراوي وكتابه المشهور (التصريف لمن عجز عن التأليف).

في الصيدلة :

- ١- أول من أسس علم الصيدلة على أساليب علمية منظمة.
- ٢- أول من أدخل استعمال السكر في الصيدلية فحلت الأشربة الحلوة للمرضى محل الأشربة المرة.
- ٣- استخدام العقاقير والأدوية وتطويرها.

في علم النبات والحيوان :

- ١- تصنيف النباتات وبيان أنواعها واستعمالاتها المختلفة وبخاصة في المجالات الطبية وصناعة العقاقير.
- ٢- مراقبة سلوك الحيوانات وأفعالها وأنواعها. وقد اشتهر في هذا بصفة خاصة الجاحظ في كتابه (الحيوان). أما الكتاب الذي يعد من أنفس الكتب النباتية فهو (الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) لابن البيطار أعظم نباتي ظهر في العصور الإسلامية الأولى إطلافاً.

إثره

الصيدلة علم يبحث في العقاقير وخصائصها وتركيب الأدوية وما يتعلق بها، ويتصل اتصالاً وثيقاً بعلمي النبات والحيوان إذ أن معظم الأدوية ذات أصل نباتي أو حيواني، كما يرتبط ارتباطاً وثيقاً بعلم الكيمياء، لأن الأدوية تحتاج إلى معالجة ودراية بالمعادلات والقوانين الكيميائية.

علم التاريخ :

هو العلم الذي يبحث في الوقائع الماضية وأوقاتها وأساليبها ومظاهر الحضارة وازدهارها وأسباب انهيارها، ويعين على معرفة الماضي ليفيد في معرفة الحاضر ويستشرق آفاق المستقبل. وقد اهتم المسلمون بعلم التاريخ؛ لارتباطه بتفسير القرآن الكريم والسنة النبوية وغزوات الرسول ﷺ، والفتوحات والحوادث التي شهدتها الدولة الإسلامية في بدايتها. فلما ظهرت حركة تدوين العلوم كان تدوين التاريخ في مقدمتها بدءاً بالسيرة النبوية والغزوات وكان ذلك في أواخر القرن الثاني الهجري، وقد راعى المؤرخون المسلمون دقة الروايات التاريخية وإسنادها إلى أوثق الرواة. ومن أشهر المؤرخين الذين برزوا في العصر العباسي نتيجة لازدهار حركة النقل والترجمة محمد بن إسحاق صاحب (كتاب سيرة الرسول)، وابن هشام صاحب كتاب (سيرة ابن هشام) والبلاذري صاحب كتاب (فتوح البلدان) ومحمد بن جرير الطبري مؤلف كتاب (الأمم والملوك) وابن الأثير صاحب كتاب (الكامل في التاريخ).

علم الجغرافيا :

الجغرافيا كلمة يونانية تعني وصف الأرض بما فيها من ظاهرات طبيعية وبشرية. اهتم المسلمون بعلم الجغرافيا وتطور على أيديهم للأسباب التالية:

- 1- إتساع رقعة الدولة الإسلامية وحاجة الدولة إلى معرفة البلاد لضبط شؤونها.
- 2- الرحلات وكانت متنوعة منها السفر لأداء فريضة الحج ومنها الرحلات التجارية و الرحلات في طلب العلم.
- 3- اهتمام المسلمين بالجغرافية الفلكية؛ لتحديد اتجاه القبلة في البلاد المختلفة، ومعرفة بداية الأشهر القمرية، وأوقات الصلاة، كما كان السفر البحري من العوامل الدافعة إلى الاهتمام بالجغرافية الفلكية، حيث كان يعتمد عليها في معرفة مواقع النجوم.
- 4- ترجمة كتب الجغرافيا اليونانية و الرومانية والهندية مما ساعد على زيادة معرفة العرب الجغرافية. ومن أشهر الجغرافيين ابن خرداذبه صاحب كتاب (المسالك والممالك)، واليعقوبي صاحب كتاب (البلدان)، وياقوت الحموي صاحب كتاب (معجم البلدان)، والمقدسي وكتابه (أحسن التقاسم في معرفة الأقاليم)، والإدريسي صاحب كتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق).

أسئلة التقويم

س ١ : عرف كلاً من :

الترجمة - علم التاريخ - علم الجغرافيا.

س ٢ : ضع إشارة (✓) نهاية العبارة الصحيحة وإشارة (X) نهاية العبارة الخطأ مع تصحيح الخطأ :

أ) يعد عبد الملك بن مروان أول من اهتم من العرب بالترجمة. ()

ب) أسس الخوارزمي علم الجبر. ()

ج) اخترع البيروني الخطار (البندول). ()

د) يُسمى أبو بكر الرازي أبو الكيمياء. ()

س ٣ : عدد مآثر المسلمين في مجال الفيزياء.

س ٤ : انسب الكتب التالية إلى مؤلفيها :

أ) كتاب « الحاوي ».

ب) كتاب « القانون في الطب ».

ج) كتاب « التذكرة ».

د) كتاب « التصريف لمن عجز عن التأليف ».

هـ) كتاب « الحيوان ».

س ٥ : علل ما يأتي :

أ) ازدهار الترجمة في العصر العباسي.

ب) اهتمام المسلمين بعلم التاريخ.

س ٦ : اذكر الأسباب التي أدت إلى اهتمام المسلمين بعلم الجغرافيا وتطويره.

س ٧ : اذكر ثلاثة من مآثر المسلمين في مجال الطب والجراحة.

الباب الثالث

انتقال الحضارة الإسلامية
إلى أوروبا



انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا^(١)

قبل أن نأتي إلى انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا، نلخص بسطور قليلة الوضع الحضاري في أوروبا إبان العصور الإسلامية الأولى التي كانت الحضارة الإسلامية خلالها على أرفع مستوى عرفته البشرية.

أوضاع أوروبا في العصور الإسلامية من حيث :

أ) التعليم :

كانت أوروبا في العصور الإسلامية الأولى (٤٧٦ م - ١٤٥٣ م)، والتي يُعرف الجزء الأول منها بالعصور المظلمة، تغطيها في ذلك الجزء المظلم من تاريخها سحابة كثيفة من التأخر الحضاري. فالبلاد تئن تحت كابوس ثقيل من الجهل والتأخر والانحطاط الأدبي والعلمي والفني لا سيما وأن الكنيسة النصرانية سيطرت على التعليم ووجهته إلى الواجهة التي تريدها هي، بحيث تجعل أفراد المجتمع لا يفقهون شيئاً من علوم الدنيا، بل حصرتهم في إطار من دراسات بعيدة كل البعد عن الدراسات الإنسانية؛ ليقفوا تحت سيطرتها ونفوذها. ولقد كَفَّرت الكنيسة، كل من حاول أن يحد عن الخط التعليمي الذي رسمته.

ب) الجانب المادي من الحضارة :

كانت معظم أوروبا تكسوها الأحرار والمستنقعات، وتنتشر فيها الأمراض والأوبئة، فلا طرق معبدة، ولا مزارع مثمرة، ولا مساكن مريحة، ولا أي شيء من معالم الرقي الحضاري. لقد بقي الوضع في أوروبا على هذا النحو من التأخر، أوائل القرن الخامس الهجري عندما بهرت عيون الأوروبيين معالم الحضارة الإسلامية فاستيقظوا من سباتهم وأخذوا يغتربون من معين تلك الحضارة بنهم وتعطش. والآن نستعرض كيف انتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا عندما أخذت المدينة الإسلامية تشق طريقها إلى غرب أوروبا عبر ثلاثة جسور أو معابر رئيسة. وهذه الجسور هي : إسبانيا والتي كان تأثيرها في نشر الحضارة الإسلامية في فرنسا، وصقلية والتي كان تأثيرها في نشر الحضارة الإسلامية بإيطاليا واضحاً، والشرق الأدنى والحروب الصليبية وتأثيرها في ألمانيا وفرنسا. انظر الخريطة في الشكل (١٢).

(١) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.



شكل (١٢) : مراكز انتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا

وفيما يلي موجز لتوضيح دور هذه الجسور في الاتصال الحضاري بين العالم الإسلامي والغرب الأوروبي.

١. الأندلس (أسبانيا حالياً)

لم تكن الأندلس (أسبانيا) بأفضل من باقي الدول الأوروبية في المجال الحضاري بل الكل كان يعيش في جهل وتأخر وفوضى بسبب النزاع الاجتماعي والانحلال الداخلي والخلافات الطائفية والحروب على السلطة. ولما فتح المسلمون هذا القطر في مستهل القرن الثاني الهجري (القرن الثامن الميلادي) نقلوها إلى مرحلة من الاستقرار والبناء. فأحيوا الأرض بعد موتها، وعمروا المدن الخربة، ونشّطوا التجارة الكاسدة، وأنعشوا الصناعة المتأخرة حتى أصبحت عاصمتها قرطبة - عاصمة الأندلس في ظل الخلافة الأموية - أغنى الأقطار الأوروبية وأكثرها ازدحاماً بالسكان. ثم انصرف المسلمون إلى العناية بالعلوم والآداب والفنون فابتكروا وزادوا وجددوا أشياء كثيرة مما جعل من مناهل العلم في الأندلس مورداً عذباً لأوروبا.

لقد بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها بالأندلس وذلك في القرن الرابع الهجري (النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد) عندما أصبحت قرطبة من أعظم مدن العالم المتحضر وقد بلغ سكانها آنذاك مليون نسمة. وقد حق لهؤلاء السكان أن يفخروا بأنهم يستطيعون المشي في شوارعها ليلاً على ضوء المصابيح العامة في حين ظلت لندن سبعة قرون لا يوجد في طرقها مصباح عام واحد يضيء ليلاً، لقد استمر نور الحضارة الإسلامية ساطعاً في الأندلس في مختلف مجالاته حتى امتد ليضيء غرب أوروبا في القرنين السادس والسابع الهجري (الثاني عشر والثالث عشر الميلادي) وما بعدهما.

لقد ساعدت على انتشار النهضة سياسة التسامح تجاه أهل الذمة في أقطار الدولة الإسلامية، ومن بينها الأندلس، التي أقبل أهلها الأسبان على استخدام اللغة العربية التي فضلوها على اللاتينية. كما تتلمذ الكثير منهم على الأساتذة المسلمين؛ وبذلك كون هؤلاء مدرسة استطاع أعضاؤها الطلبة القيام بدور السفراء بين الحضارة الإسلامية وأهل غرب أوروبا، لا سيما فرنسا، الذين كانوا في لهف للاستفادة من تلك الحضارة الزاخرة بضروب العلم والمعرفة ومختلف الفنون والصناعات. ولقد قال أحد الكتاب النصارى من الذين عاشوا في القرن التاسع الميلادي: (إن النصارى كانوا يدرسون كتب فقهاء المسلمين ليتعلموا الأسلوب العربي البليغ ، وإن المتعلمين منهم أقبلوا على كتب العرب في نهم وشغف وأخذوا يجمعونها بمكتبات كبيرة تكلفهم الأموال الطائلة. ولقد ازداد تدفق سيل الطلبة على جامعات الأندلس لا سيما بعد أن أخذت بعض المدن تسقط في أيدي الإسبان ، وقد نشطت حركة الترجمة عن اللغة العربية نشاطاً كبيراً حتى إنه في عام ١١٣٠م بدأ مكتب للترجمة في طليطلة بنقل الكتب العربية إلى اللاتينية تحت رعاية أحد الأساقفة. ومن بين ما ترجم مؤلفات الرازي وأبي القاسم وابن سينا وابن رشد وغيرهم. كما ترجم عن العربية كثير من مؤلفات اليونانيين أمثال جالينوس وبقرات وأفلاطون وأرسطو وإقليدس وغيرهم. ولقد اهتم بعض حكام الأندلس الإسبان بالثقافة العربية الإسلامية مثل الفونس الخامس ملك قشتالة وليون. وقد استمرت حركة الترجمة هذه حتى (القرن الخامس عشر الميلادي). كما استمرت ترجمات الكتب العربية تدرس في الجامعات الأوروبية طوال ستة قرون.

٢- صقلية :

وهي التي تشكل الجسر الثاني الذي انتقلت منها الحضارة الإسلامية إلى جنوب ثم وسط أوروبا، فإنه عندما ثبت المسلمون أقدامهم في تلك الجزيرة إبان القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، اهتموا بالزراعة فحفروا الترع والقنوات وأنشأوا المجاري، وأدخلوا زراعة القطن وقصب السكر واستغلوا ثروة الجزيرة المعدنية فاستخرجوا الفضة والحديد والنحاس والكبريت، وأدخلوا إليها صناعة الحرير. أما التجارة فقد اتسعت بعد أن كانت متدنية جداً قبل مجيء المسلمين إلى تلك الجزيرة. ومع أن المباني الإسلامية الباقية في الجزيرة قليلة إلا أنها تشهد بروعة البناء وجماله. إن الحضارة الإسلامية في الجزيرة لم تنته بانتهاء الحكم الإسلامي لها لكنها وجدت في ملوك النورمان خير مشجع لها؛ لأنهم أدركوا ولمسوا تقدم عرب ومسلمي صقلية في العلوم والفنون والصناعات وأن التشجيع لهؤلاء يعود عليهم بفوائد عظيمة ، ومن الأمثلة على هذا التشجيع ما قام به روجر الأول ملك صقلية النورماني من العناية بالمسلمين وحمائهم ، ولم يقتصر على هذا فحسب بل كتب مراسيمه باللغة العربية إلى جانب اللاتينية واليونانية ، وكذلك كتب على أحد وجوه النقود بالعربية والآخر باليونانية واللاتينية واشتملت بعض تلك النقود على رمز الإسلام والآخر على رمز النصارى. ومن الحكام المشجعين كذلك روجر الثاني الذي استعان بالعلماء المسلمين. كما درس وليم الثاني اللغة

العربية ورجع إلى مستشاريه المسلمين في كثير من شؤونه ، واتخذ ملوك النورمان بصقلية لأنفسهم حراساً من العرب، كما أن الشعر العربي كان يمارس في بلاط ملوك صقلية النورمان .
وقد اعتنى فردريك الثاني (القرن الثاني عشر الميلادي) بكتب وعلوم المسلمين وأحاط نفسه بمظاهر شرقية إسلامية وجمع حوله العلماء كما شجع ترجمة الكتب العربية .
ومن صقلية انتقلت الحضارة الإسلامية إلى إيطاليا التي سبقت بتأثير المسلمين باقي الدول الأوروبية في الحضارة .

٣. الشرق والحروب الصليبية :

كان لبلاد الشام والشرق شأن كبير في نقل مظاهر الحضارة الإسلامية إلى الغرب الأوروبي في العصور الإسلامية الأولى وذلك عن طريق الحروب الصليبية التي نشأ عنها صلات سياسية وحضارية وتجارية بين المشرق الإسلامي والمغرب النصراني . ولو أنه يحسن ألا نغالي في أهمية هذه الحروب كمدخل للحضارة الإسلامية إلى أوروبا؛ لأن الصليبيين جاؤا للحرب والمنافع الاستعمارية، كما أن مدة وجودهم في المشرق العربي كانت غير مستقرة لمباشرة النشاط الفكري والحضاري ، ولم تتح لهم كذلك فرصة الاتصال بالمسلمين كالفرصة التي أتاحت لسكان كل من الأندلس وصقلية الاتصال بهم .

نعم إن الصليبيين أقاموا وحدات لهم في بلاد الشام لكنها كانت بمثابة قلاع عسكرية متناثرة في وسط محيط من المسلمين ، ومع كل هذا فإنه لا بد من وجود اتصالات حضارية وثقافية بين المسلمين والصليبيين . فمن الناحية اللغوية دخلت كلمات ومصطلحات عربية في اللغات الأوروبية . كما أن الحروب الصليبية أثرت في تطوير فن الحرب عند الأوروبيين لا سيما فيما يتعلق ببناء القلاع والحصون واستخدام آلات الحصار والدروع وألعاب المبارزة واستخدام الإشارات العسكرية (الرنوك) ، كان كل ذلك نتيجة لاتصال الصليبيين بمسلمي بلاد الشام ولا ننسى أن الاتصال التجاري بين المشرق الإسلامي ، وأوروبا في فترة الحروب الصليبية وما بعدها، أدخل الكثير من السلع الشرقية والنباتات والعادات والنظم الإسلامية إلى أوروبا .

وللوقوف على منابع الحضارة الإسلامية فإن كثيراً من علماء وفناني أوروبا قد طافوا بالبلاد الإسلامية مشرقها ومغربها؛ للتعرف عن كثب على ما قام به المسلمون في مختلف أوجه الحضارة .

أسئلة التقويم

- س ١ : قيّم أوروبا من حيث التعليم في العصور الإسلامية الأولى .
- س ٢ : وضح الجانب المادي من الحضارة في أوروبا في العصور الإسلامية الأولى .
- س ٣ : كيف انتقلت الحضارة الإسلامية إلى أوروبا؟
- س ٤ : بين الفرق بين أوضاع أسبانيا قبل الفتح الإسلامي وبعده .
- س ٥ : أعط دليلاً على أن الحضارة الإسلامية في صقلية لم تنته بانتهاء الحكم الإسلامي لها .
- س ٦ : هل كان هناك اتصالات حضارية وثقافية بين المسلمين والصليبيين؟ دعم إجابتك بالأمثلة .

نشاط فتراحي

قم مع مجموعة من زملائك برسم خريطة توضح المعابر الرئيسية لانتقال الحضارة الإسلامية إلى أوروبا .

الفصل الدراسي الثاني



الباب الأول الجهوزان الوافلا علا العالم الإسلامي

الفصل الأول : العوامل المؤثرة في تماسك
الأمم واطمحلالاتها.

الفصل الثاني : العذوان الءاخلى على
العالم الإسلامي في العصور
الماضية.

أولاً : الفرق والطوائف : السبئية ، الخوارج ، الباطنية .
ثانياً : العصبية القبلية ، والشعبوية ، والزندقة .

الفصل الثالث : العذوان الءاخلى على العالم
الإسلامى فى العصر الءاءىث .

أولاً : الءعوات الءىنية المنءرفة : القاءىانية ، البهائية .
ثانياً : الءعوات العلمانية : القومية ، الاشرائية
والشيعوية .



العوامل المؤثرة في تماسك الأمم واضمحلالها

أولاً: وحدة العقيدة :

تعد رابطة العقيدة أقوى روابط تماسك الجماعات والأمم إطلاقاً؛ لأنها تعمل على جعل شعور أفراد الأمة الواحدة وسلوكها متماثلاً متجانساً، وكلما تأصلت وحدة العقيدة في نفوس أبناء الأمة، ذابت الأهواء والغايات الفردية الضيقة في سبيل غايةٍ أسمى هي صالح الأمة.

العقائد نوعان : سماوية وبشرية

فالعقائد السماوية : تبني وحدة الأمة على أساس رابطة الإيمان بالله. فالإسلام يقيم وحدته العقدية على أساس الإيمان بالله رباً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، كما يقيم وحدته الاجتماعية على أساس العدل بين المسلمين فيما يوجب لهم من حقوق، ولا يمايز بينهم في الفضل والقرب من الله سبحانه وتعالى إلا بالتقوى، فأفضلهم أتقاهم لله وأخلصهم في عبادته وأكثرهم تقرباً له. قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات آية (١٣)].

أما **العقائد البشرية (الوضعية) :** التي هي من وضع البشر، فقد تؤدي أحياناً إلى تماسك المجتمع، ولكن هذا التماسك لا يستند إلى أسس راسخة البنيان، فلا يلبث أن ينهار بعد زمن من تجربته. كما سيأتي الحديث عنه في انهيار النظام الشيوعي في روسيا، والنازي في ألمانيا، والفاشي في إيطاليا.

ثانياً: متانة الأخلاق :

الرابطة الخلقية من أهم عوامل التماسك الاجتماعي الحقيقي في الأمم، فبالأخلاق الكريمة والأفعال الحميدة يتماسك بنيان الأمة، وتتوثق عراه، فالأخلاق قوام حياة كل أمة، فإن استقامت أخلاقها صلحت أحوالها، وقد أوجز الرسول ﷺ طبيعة رسالته بقوله: **(إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق)** (١). فكان عصر الرسول ﷺ وخلفائه الراشدين من بعده رضوان الله عليهم أجمعين هو أزهى عصور حضارتنا الإسلامية، ويعد المجتمع الذي تولى رسول الله ﷺ تربية أفرادها بنفسه هو مثلنا الأعلى. كما قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [سورة الأحزاب: آية (٢١)].

(١) مسند أحمد برقم (٢/ ٣٨١ ح ٨٩٣٩).

حيث قام ذلك المجتمع على حياة الزهد، والاستقامة، والصدق، والتقوى. وحين خضعت الأمة لمثل زائفة في سلوكها، تصدع بناؤها، وتحللت روابطها الخلقية والاجتماعية، وهذا ما حصل في الماضي للأمم التي مالت إلى تمجيد القوة المادية، والشهوات الحسية، فضحّت بالفضائل الخلقية الرفيعة، ودبّ الفساد الروحي في مرافق حياتها فتصدعت قاعدة بناؤها، وساد الانحطاط آدابها، وعلومها، وفنونها وتعطلت قوى الابتكار في أفرادها؛ فخدمت مشاعرهم وعواطفهم الإنسانية.

ثالثاً: الوحدة السياسية :



إن الأمة التي يخضع أفرادها لدولةٍ ترعى مصالحهم، وتوفّر لهم الأمن والاستقرار في ظل تطبيق تعاليم الدين الحنيف هي أمة متماسكةٌ سياسياً. ويساعد ذلك التماسك على ثبات شخصيتها الحضارية، وجعلها قوة للبناء لفترةٍ طويلةٍ. قال تعالى: ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [سورة النور: آية (٥٥)].

أما حين تفقد الأمة وحدتها السياسية فإن ذلك يكون إيذاناً بدنو أجلها وانحطاطها. وفي تاريخنا الإسلامي شواهد كثيرة توضح تأثير عوامل التفكك والانحلال في ضياع الوحدة السياسية للعالم الإسلامي واقتطاع أجزاء حيوية من بلادهم، ومن أمثلة ذلك: انهيار الوجود الإسلامي في الأندلس، وكارثة الغزو المغولي، وانهيار الخلافة العباسية ومأساة فلسطين. وسنوضح بعض هذه الأمثلة بالتفصيل.

رابعاً: الوحدة الحضارية :



الأمة التي تقيم صرح حياتها على أسس من الإيمان والعلم هي أمة متماسكة متحضرة، وقد تجلّى هذا التماسك الحضاري للمجتمع الإنساني فيما حدث للأمة الإسلامية التي أقامت حضارة زاهرة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً في سمو القيم والمبادئ حين انطلقت في ثقافتها من القرآن الكريم والسنة النبوية حيث أن ربط العلم بالإيمان قد جاء في أول آية نزلت على محمد بن عبد الله ﷺ حين أمر أن يقرأ قوله تعالى: ﴿ أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾ ﴿ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ ﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾ ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾

[سورة العلق: آية (١-٥)].

أما حين تبعد الأمة عن هذا المعين الثري، فإنها تصاب بالتخلف والركود، أو التحجر الحضاري، وتبتلى بأفتي الكسل والجمود، فيعترها شلل يعطل نواحي حياتها الاجتماعية والخلقية والفكرية، عندئذ يعجز أفرادها عن بذل

جهد حقيقي من أجل الإصلاح والتقدم، فيقبلون على الحضارة غير المهتدية بهدي الله تعالى، ويأخذون بمظاهرها الخارجية متوهمين أنها لبُّ الحضارة وجوهرها.

فالحضارة الغربية- مثلاً- رغم ما بلغته في عصرنا الحديث من الغاية في الفن والصناعة، إلا أنها بتخليها عن المثل الأخلاقية لم تعرف شيئاً من الخير للإنسانية فيما وراء عالمها الذي لا يمكن فهمه إلا بلغة المادة؛ ففقدت بذلك معنى الروح لتجد نفسها على حافة الهاوية. إنها حضارة في طريقها إلى التحلل والزوال؛ لما تشتمل عليه من ضروب التناقض والتعارض مع الفطرة الإنسانية.

عوامل الضعف والانحلال في كيان الأمة الإسلامية :

لقد كان المسلمون قوةً حضاريةً فعّالة في العصور الإسلامية الأولى حين وثّقوا صلّتهم بربهم، وسلّكوا نهجه القويم، فعمرّوا الأرض، ونشروا العدل، وأقاموا وحدة اجتماعية شاملة نظامها منهج القرآن الكريم، ولسانها لغته تحت خلافةٍ واحدةٍ تحكّم معظم أرجاء العالم المعروف آنذاك. ورغم أن تلك الحضارة الزاهرة نقلت شيئاً عن الحضارات الماضية، لكنها تغلبت عليها جميعاً بقوة إيمانها، ومثانة نظامها فعربتها، واستطاعت أن تحمّلها لغتها ودينها بما فيها من روعةٍ وحيويةٍ وجمالٍ، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعاً من غير أن يؤثر ذلك في وحدتها الاجتماعية والسياسية. ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة، وتتعظم وتنتشر شيئاً فشيئاً حتى مزقت هذا الكيان. ومن أهم عوامل الضعف والانحلال (١):

١- الخلافات السياسية بين المسلمين بالتنازع على الرئاسة والجاه، وظهور العصبية فيما بينهم غافلين عن تحذير الله سبحانه وتعالى لهم من ذلك في قوله: ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنزَعُوا عَوَافِئَهُمْ فَتَشْتَرُوا أَلْسِنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا بِهَذَا يَصْرِفُونَ ﴾ [سورة الأنفال: آية (٤٦)].

٢- الخلافات الدينية والمذهبية، والانصراف عن الدين بصفته عقيدة وعمل إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول ﷺ، والجدل الذي نهى عنه الإسلام أشد النهي حيث قال ﷺ: (ما ضل قوم بعد هدي كانوا عليه إلا أوتوا الجدل) (٢). ثم تلا هذه الآية: ﴿ وَقَالُوا أَأَلْهَتُنَا خَيْرًا مِمَّا ضَرَبُوهُ لَكَ إِجْدَالًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [سورة الزخرف: آية رقم (٥٨)].

٣- الانغماس في ألوان من الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات، مع أنهم يقرؤون قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ [سورة الإسراء: آية (١٦)].

(١) يضرب المعلم مثلاً عن كل عامل بالرجوع إلى المراجع.

(٢) سنن الترمذي (٥/٣٧٨-٣٢٥٣، وفي مسند أحمد، حديث (٢٢٢٥٨).

٤ - تأثر المسلمين بأخلاق خصومهم، والانخداع بدسائسهم، والاندفاع في تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، مع النهي الشديد عن التشبه بهم.

كما جاء الأمر الصريح للمؤمنين بمخالفتهم، والمحافظة على شخصيتهم الحضارية الإسلامية المتميزة

في قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يُرَدُّوكُمْ عَلَىٰ

أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: آية (١٤٩)].

٥ - إهمال العلوم (العلوم التطبيقية) لا سيما فيما يتعلق بالصناعة، وإضاعة الوقت في الفلسفات النظرية

العقيمة التي لا تغني ولا تسمن من جوع.

٦ - الغرور بسلطانهم، والانخداع بقوتهم، وإهمال النظر في التطور الاجتماعي للأمم غيرهم حتى سبقتهم في

الاستعداد والأهبة، وأخذتهم على حين غرة، وقد أمرهم دينهم باليقظة، وحذَّهم من مغبة الغفلة، واعتبر الغافلين

كالأنعام بل هم أضل سبيلاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ

لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ

الْغَافِلُونَ﴾ [سورة الأعراف آية (١٧٩)].

أسئلة التقويم

- س ١ - عدّد عوامل الضعف والانحلال في كيان الأمة. مع ضرب أمثلة.
- س ٢ - أعط أمثلة من واقعك يتم فيها تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية، ثم بيّن آثار ذلك على الفرد والمجتمع.
- س ٣ - علّل : تعد رابطة العقيدة أقوى روابط تماسك الجماعات والأمم إطلاقاً.
- س ٤ - (العقائد السماوية تقوم على أسس ثابتة راسخة البنيان). كيف ذلك؟ ثم بيّن بأمثلة آثار النوع الثاني من العقائد.
- س ٥ - صغ بأسلوبك كيف تقيم الأمة صرح حياتها الحضارية.

نشاط قرائي

- ١ - عرّف زملائك عبر الإذاعة المدرسية بأهداف التعليم في المملكة العربية السعودية، ثم ابرز أهم النقاط التي يتضح فيها تطبيق تعاليم الدين الإسلامي وإيجابيات هذا التطبيق.
- ٢ - من خلال ما تراه اليوم من تقليدٍ للغرب فيما يضر، شارك زملائك في ذكر بعض من ذلك التقليد مبيناً حكمها وعقوبتها شرعاً.

تمهيد :

بين عدوان الماضي والحاضر :

منذ أن ظهر الإسلام وأعداء هذا الدين داخل العالم الإسلامي وخارجه يعملون على هدم الإسلام، وإبادة أهله. ففي العصور الإسلامية الماضية تعرضت أمتنا الإسلامية لفتك الصليبيين والمغول والمجوس وغيرهم من الأمم الوثنية. وفي العصر الحاضر ليس أشد على أمتنا وأحبث من عدوان الاستعمار وصنيعته الصهيونية. وكما تنتشر اليوم بيننا مبادئ ضالة، وعقائد فاسدة كذلك عمل أعداؤنا الداخليون في العصور الإسلامية الماضية على تفتيت الدولة الإسلامية، وإضعاف هيبة الخلافة.

سبل العدوان الداخلي على المسلمين في الماضي :

ولكي يصل أعداؤنا الداخليون في العصور الإسلامية إلى تحقيق مآربهم الشريرة، فقد سلكوا سبلاً عدة. أبرزها :

- ١ - تقسيم المسلمين إلى فرق متناحرة فيما بينها من ناحية، وثائرة على سلطة الدولة (الخلافة) من ناحية أخرى. مثال ذلك : فرق السبئية، والخوارج، والقرامطة، والزنج.
- ٢ - إحياء دعوات الجاهلية الفاسدة، وتزيينها للناس كالعصبية القبلية، والزندقة، والشعوذية.

أولاً : الفرق والطوائف :

نشأة الفرق والطوائف وتطورها :

يرتبط نشوء الفرق الدينية عموماً في تاريخ الإسلام بمسألة الخلافة؛ لذلك يصعب أن نجد فرقة دينية لم تحدد موقفها من هذه المسألة، بل إن المسلمين لم يختلفوا في قضية كما اختلفوا وتفرقوا حول مسألة الخلافة، فلا غرو أن أصبحت هذه المسألة من مواطن الخلاف، وقد أفضى هذا الخلاف فيما بعد إلى ظهور طوائف نُسبت إلى الإسلام وهو بريء منها.

كان الرسول ﷺ إذا قام يصلي من الليل استفتح صلاته بقوله: (اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون أهدني لما أختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم) صحيح مسلم (١/٥٣٤ ح/٧٧٠)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسَتْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة الأنعام آية (١٥٩)].

وقال الرسول ﷺ: (افتقرت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين

فرقة^(١)). ومن أبرز هذه الطوائف التي ظهرت في التاريخ الإسلامي: السبئية والخوارج، والباطنية. وجدير بالذكر أن العلماء المسلمين تصدوا لمثل هذه الطوائف وحاربوها بالحجة والبرهان، وحذروا الأمة من أخطارها.

نماذج من الضرق والطوائف :

١. السبئية^(٢):

ينتسب أتباع هذه الفرقة إلى عبد الله بن سبأ، وهو يهوديٌّ من صنعاء اليمن أظهر الإسلام في خلافة عثمان رضي الله عنه، وكما سبق أن درست فقد تنقل بين البصرة والكوفة وبلاد الشام يحرض الناس على الخليفة عثمان رضي الله عنه، ويؤلبهم عليه، فانتهى به المطاف إلى مصر حيث استقر بها، ثم سار مع أتباعه إلى المدينة، ودبروا مؤامرة قتلوا بها عثمان رضي الله عنه. ثم أخذ بعدها ينادي بأفكار منحرفة لهدم الإسلام، منها قوله بتأليه علي بن أبي طالب رضي الله عنه بعد توليه الخلافة، فقام علي رضي الله عنه بإحراق الذين يقولون بهذه المقولة، أما ابن سبأ نفسه فقد نجا، ولجأ إلى المدائن.

٢. الخوارج :

هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه بسبب قبوله التحكيم مع معاوية رضي الله عنه عقب النزاع الذي وقع بينهما، وقد تبلور مذهبهم بعد ذلك في عدة أفكار ومبادئ من أهمها: التبرؤ من عثمان وعلي رضي الله عنهما، والخروج على الإمام إذا خالف الإسلام من وجهة نظرهم، وتكفير فاعل الكبيرة وتخليده في النار.

وقد حاربهم علي رضي الله عنه في معركة النهروان بين واسط وبغداد، وقتل خلق كثير منهم، حين بدأوا يستبيحون دماء المسلمين الأبرياء الذين لم ينضموا إليهم أو خالفوهم الرأي.

* هل انتقم الخوارج لهزيمتهم؟ ولماذا؟

وقد دبر الخوارج مؤامرة للفتك بعلي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، ولكن هذه المؤامرة لم تسفر إلا عن استشهاد علي رضي الله عنه.

(١) سنن أبي داود ج (٤ / ١٩٨ ح ٤٥٩٦).

(٢) وتكتب أيضاً السبائية كما في بعض المراجع الإسلامية.

* من قاتل علي رضي الله عنه ؟ ومتى كان ذلك ؟

هذا وقد أسرف الخوارج في التنكيل بالمسلمين، وأزهقوا آلافاً من الأرواح، ثم شغلوا جيوش الدولة في أيام الأمويين والعباسيين، فأوقفوا نشاطها، وأتاحوا لجيوش الأعداء أن تهدد العالم الإسلامي وأن تزحف على أطرافه. وكانت ثورات الخوارج المتكررة على الدولة الأموية سبباً قوياً من أسباب سقوطها.

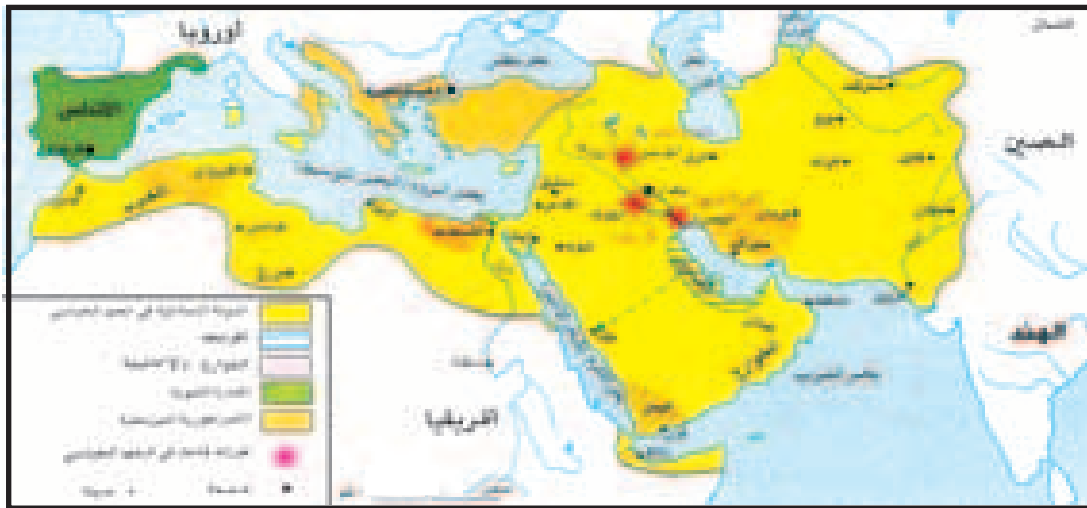
٣. الباطنية :

هم الذين يفسرون الشعائر الدينية والأحكام العملية على أنها رموز وأسرار. فالعامة من الناس هم الذين يقفون أمام الظواهر ويقتنعون بها، أما أهل الباطن فهم الذين ينفذون إلى المعاني الخفية المستورة التي هي من شأن العلم الحق عندهم (علم الباطن) وقد لُقّبوا بالباطنية؛ لدعواهم أن لكل تنزيل تأويلاً، وأن لكل ظاهر باطناً^(١) وأن الظواهر بمنزلة القشور، أما البواطن فهي بمنزلة اللب المطلوب. ويعد ميمون بن ديسان

القدّاح الفارسي، ومحمد بن الحسين الملقب بذيذان من أوائل مؤسسي الباطنية. وكان بداية ظهور الدعوة الباطنية في خلافة المأمون، ثم انتشرت في زمن المعتصم. ومن دعاة هذا المذهب: بابك الخرمي، وحمدان بن قرمط وغيرهما كثير، وهؤلاء أشغلوا الدولة الإسلامية وبخاصة الخلافة العباسية بما قاموا به من فتن، واضطرابات، وعدوان على المسلمين. وبعض هذه الدعوات قد انقرض وزال كالقرامطة، والزنج، والخرمية. وبعضها مدت له أسباب البقاء حتى عصرنا الحاضر. انظر الخريطة في الشكل (١).

مفاهيم

القرامطة : حركة باطنية هدامة تنسب إلى شخص اسمه حمدان بن الأشعث، ويلقب بقرمط لقصر قامته. وقد اعتمدت هذه الحركة على التنظيم السري العسكري؛ للقضاء على الدولة الإسلامية.
الزنج : جماعة من الأفارقة السود سكنوا البصرة في القرن الثالث الهجري، وظهرت على يد علي بن محمد في عهد الخليفة العباسي المعتمد.



شكل (١) خريطة توضح مواقع الفرق الدينية المنحرفة.

(١) يقصد بالظواهر ما جاء به محمد ﷺ ويسمى بالتنزيل، ويقصد بالباطن علم التأويل.

ثانياً : العصبية القبلية والشعبوية والزندقة :

تمثل هذه الاتجاهات أو النزعات المناوئة للإسلام جانباً آخر من جوانب العدوان الداخلي على العالم الإسلامي في العصور الإسلامية الماضية. فلنوضح طبيعة كل منها، وما ترتب عليها من آثار.

العصبية القبلية :

ألغى الإسلام كل أنواع العصبية، والتفاخر بالأرض أو النسب، والتي تُسمّى بالقبلية الجاهلية. يقول الله تعالى:

﴿ يَتَأَيَّمُ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ ۗ

إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۗ ﴾ [سورة الحجرات آية (١٣)].

ويقول الرسول ﷺ: (ليدعن رجال فخرهم بأقوام إنما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونوا أهون على الله من الجعلان التي تدفن بأنفها التين) (١).

ويعلن الرسول ﷺ أنه ليس من الإسلام في شيء من دعا إلى عصبية: (ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية) (٢) ويصف العصبية بأقبح وصف داعياً إلى تركها، والتخلي عنها بقوله: (دعوها فإنها منتنة) (٣).

ومع أن العناصر الحاكمة على الإسلام في عهد النبي ﷺ حاولت أن تثير العصبية القبلية بين الأوس والخزرج، إلا أن تلك المؤامرات باءت بالفشل، وقامت المؤاخاة الحقيقية بين المسلمين على نحو لم يعرف له التاريخ نظيراً، واستمرت هذه الروح القبلية خامدة طوال عهد الخلفاء الراشدين، بيد أن الوضع قد تغير في أيام الأمويين فقد بُعثت روح العصبية بين القبائل العربية، أو بين القيسية والكلبية عقب وفاة يزيد بن معاوية رضي الله عنه، واستفحلت بعد عمر بن عبد العزيز لتدك أساس الدولة الأموية وتقضي عليها.

الشعبوية (٤) :

مال الأمويون في حكمهم إلى العنصر العربي، وصار كثير من العرب، وبخاصة رؤساء القبائل والأعراب يفاخرون بنسبهم ونقاوة دمهم، وأنهم أفضل من الموالي، بل إن العرب احتقروا طائفة المولدين، وسموا ابن العربي من الأمة (الهجين). وكان الحجاج بن يوسف الثقفي أحد أركان الدولة الأموية، يُنفذ سياسة فيها عصبية عربية قومية، فقد أمر ألا يؤم الكوفة إلا عربي. وكان يقابل العصبية العربية عصبية أخرى من الموالي، وبخاصة الفرس الذين أخذوا يفخرون على العرب بمجدهم القديم، وعزهم التالد، وأنهم أهل الحضارة العظيمة.

(١) أخرجه الإمام أحمد برقم ١٠٥٥٥ . (٢) أخرجه أبو داود برقم ٥١١٦، وعلى المعلم أن يضرب أمثلة من واقع اليوم لما شابه ذلك.
(٣) من حديث جابر بن عبد الله في صحيح البخاري برقم ١٤٩٢ . (٤) هي قلب محاسن العرب إلى مساوئ، والتشهير بهم، وإنكار المفاهيم الأساسية للإسلام.

ولكن هذه النزعة التي صدها الأمويون صدها عنيفاً، وعاقبوا عليها بشدة تحولت من فخر ظاهر إلى دعوة سرية اختفت وراء الدعوة العباسية. وهكذا وُلِدَت الشعوبية، غير أن الشعوبية لم تكن نزعة كل الموالي تماماً كما لم تكن العصبية العربية نزعة كل العرب أبان الحكم الأموي، فالمساواة كانت سائدة في الأوساط الدينية والعلمية، فالعالم يشرف بعلمه سواء كان عربياً أو من الموالي، ومن سادة التابعين من كانوا موالي، والناس منحوهم من الإجلال ما منحوا العرب، لا تفاضل بينهم إلا بالدين والعلم. وقد بلغت الشعوبية أوجها في القرن الثالث الهجري، حيث لقي العرب فيها من العجم عنتاً شديداً. ولم تقف الشعوبية عند حد قلب محاسن العرب مساوئ، والتشهير بهم، بل دفع المقت بهؤلاء الشعوبيين إلى محاولة إفساد الدين بالزندقة.

* لماذا كثر العجم في عهد الدولة العباسية؟

* ما السبب في رأيك في تعنت العجم؟

الزندقة :

مفاهيم

الزندقة : لفظ أعجمي معرب أُخذ من كلام الفرس ويطلق على كل إنسان يتشكك في الدين، أو يجحد شيئاً مما ورد فيه، أو يتهاون أو يستهزئ به .

حركة معادية للعروبة والإسلام على حد سواء، ظهرت في آخريات العصر الأموي، واشتد خطرها كدعوة فاسدة ومناوئة للإسلام في العصر العباسي الأول. وكانت كلمة الزندقة أو الزنديق تشمل الملاحدة، وأتباع الديانات المجوسية، وأصحاب التهتك والمجون. وقد عمل على نشر الزندقة نفرٌ من مثقفي الفرس الذين كانوا يضمرون العداة للإسلام، ويتألمون لزوال مجدهم ويعملون على نشر المعتقدات المجوسية كالوثنية^(١)، والإباحية، ثم يتظاهرون بالإسلام تُقية أو توصلاً إلى إضلال المسلمين، وهدم دينهم وسلطانهم.

(١) الوثنية تطلق على مختلف العقائد التي لا تفرد الله سبحانه بالتوحيد، وتنسب إلى عبادة الأوثان من أحجار وأصنام.

أسئلة التقويم

- س ١ - عدد أبرز سبل العدوان الداخلي على العالم الإسلامي في الماضي .
- س ٢ - أكمل الجمل الناقصة فيما يلي :
- أ - ينتسب أتباع السبئية إلى وقد كان من صنعاء، وهو الذي حرّض الناس على
- ب - كانت ثورات المتكررة على الدولة الأموية سبباً قوياً من أسباب سقوطها .
- ج - من أوائل مؤسسي الباطنية و.....
- س ٣ - ما المعنى التاريخي لكل من :
الخوارج - الباطنية - الزندقة .
- س ٤ - مما درست من أفكار ومعتقدات الفرق المنحرفة لخص أهم آثارها على العالم الإسلامي .
- س ٥ - ما المدلول التاريخي للعبارات التالية :
أ - حركة معادية للإسلام والعروبة على حدٍ سواء .
ب - حركة معادية للعروبة وتفخر على العرب بالحضارة العظيمة .
- س ٦ - ارسم خريطة امتداد العالم الإسلامي في العصر العباسي مبيناً أهم مناطق انتشار الفرق الدينية فيها .
- س ٧ - ما الفرق بين معنى الفرق الدينية المنحرفة ومعنى الدعوات المناوئة للإسلام؟
- س ٨ - بين الحكم الشرعي للعصبية القبلية، وعقوبة ذلك بعد البحث في فتاوى كبار علمائنا .
- س ٩ - تتبع تطور العصبية العربية إلى الشعوبية، وماذا يعني ذلك التطور؟

نشأمة فتاوى

- ١ - تعاون مع زملائك في البحث عن قصة محاكمة الإفشين في المراجع الموثقة، ثم لخصها واسردها على زملائك في الفصل . مبيناً آثارها، ورأيك فيها .
- ٢ - عرّف زملائك عبر الإذاعة المدرسية بالعصبية القبلية وآثارها . والفرقة الناجية التي ورد ذكرها في حديث النبي ﷺ .

تمهيد :

فقد العالم الإسلامي وحدثه السياسية في العصور الإسلامية التي دامت طوال ستة قرون ونصف، بعد تقويض المغول للخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. وفي القرن العاشر الهجري بسط العثمانيون حكمهم على كثير من الأراضي الإسلامية، وبخاصة العربية منها (من العراق حتى مراكش، ومن سلسلة جبال القفقاس حتى المحيط الهندي)، واستمرت الخلافة العثمانية قائمة حتى عام ١٣٤٣هـ. حين ألغاه مصطفى كمال أتاتورك وأبعد الإسلام عن الدولة، وحوّل تركيا إلى دولة علمانية. (سيأتي الحديث عن العلمانية في الدرس القادم). وهكذا عاشت شعوب إسلامية من شتى الأجناس والقوميات تحت ظل وحدة الخلافة العثمانية مدة ٤٠٠ عام. وبضياع الخلافة الإسلامية خسر المسلمون انتماءهم لدولة واحدة، ووجد الناس أنفسهم مواطنين في عدد من الدول التي تحاول إيجاد جذور لها في ضمير الشعب وولائه. وصاحب انهيار نظام الخلافة الإسلامية انحلال اجتماعي وثقافي مواز له^(١)، حيث دُمّرت الأساليب التقليدية التي نظمت شؤون الناس لقرون، وسُخر من القيم الإسلامية، ثم أهملت في معظم المجتمعات الإسلامية الجديدة، وقامت محلها مجموعة من المؤسسات والمقاييس الوضعية المستوردة من الغرب. ومنذ أواخر عهد الدولة العثمانية كان دعاة من مشارب مختلفة قد أخذوا بالترويج لدعوات نابية عن الإسلام تماماً كما حصل في تاريخنا الأول وإن اختلفت الأساليب، ولكن غايات العدوان تبقى واحدة. وهذه الدعوات الفاسدة نوعان : دينية منحرفة كالقاديانية، والبهائية. وغير دينية أو علمانية كالقومية، والاشتراكية وغيرهما.

أولاً : الدعوات الدينية المنحرفة :

القاديانية :

وتعرف أيضاً بالأحمدية نسبة إلى مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني (١٢٢٥ / ١٣٢٦هـ). والقاديانية فرقة باطنية ظهرت في إقليم البنجاب في شبه القارة الهندية في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري، وأعلن الميرزا غلام دعوته في عام (١٣٠٩هـ). مدعياً أنه خاتم الأنبياء، وأنه المسيح الموعود، ووضع عدة كتب

(١) يربط المعلم ذلك بعوامل الضعف والانحلال التي سبق دراستها.

ورسائل في شرح دعوته أبرزها اثنان : (براهين أحمد) و (فتح الإسلام) ، وكان نور الدين البيهقري ساعده الأيمن في دعوته الضالة . حث القادياني المسلمين على الإيمان به ، والانخراط في صفوف دعوته وألغى الجهاد ، وحرّم الثورة على الإنجليز ، بل دعا الناس إلى ضرورة مساعدة الإنجليز ، والتعاون معهم ، وكان الإنجليز قد قمعوا بمبتهى القسوة ثورةً إسلاميةً كبرى نشبت في الهند عام ١٢٧٤ هـ ، وكان الميرزا غلام يفاخر بأن أسرته أبلت بلاءً حسناً في تلك الثورة ، ووقفت إلى جانب الإنجليز ، وأمدتهم بالسلاح والرجال .

* أبدأ حكم الإسلام حول تصرف الميرزا غلام .

لذا فقد بذل الإنجليز كل دعم ممكن لهذه الحركة الخارجة على تعاليم الإسلام ، وعلى الرغم من فضائح القاديانية ، ومروقها من الدين الإسلامي واتهام أنصارها بابتزاز أموال الناس ، وانغماسهم في الترف والفجور ، فإن أتباعها تحت تأثير الجهل والدجل في ازدياد مستمر .

دور العلماء المسلمين في التصدي للقاديانية :

لما اشتد خطب هذه الحركة ، وسيطر القاديانيون على شؤون الحياة العامة في باكستان ، عقد كبار العلماء المسلمين ورؤساء الجمعيات الدينية مؤتمراً في كراتشي عام ١٣٧٣ هـ ، وطالبوا الحكومة أن تضع حداً للمد القادياني على مرافق الدولة ، وأن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها ، وقامت ثورة شعبية واسعة في البلاد دفاعاً عن الإسلام ، تمخضت عن إضعاف الحركة القاديانية كثيراً ، وأقصتها عن الحياة العامة والمجتمع الإسلامي وانتهت بإقالة ظفر الله خان (القادياني) عن الوزارة . وفي شهر ربيع الأول عام ١٣٩٤ هـ ، انعقد مؤتمر كبير لرابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة حضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة ، وخروجها عن الإسلام ، وطالب المسلمين بمقاومة خطرها ، لكن القاديانية لاتزال قوة في الداخل ، ودعاية في الخارج ، وخطراً على الفكر الإسلامي ووحدته في العالم الإسلامي .

أبرز آراء القاديانية :

- ١ - الاعتقاد أن الميرزا غلام هو المسيح الموعود ، وأنه خاتم النبيين .
- ٢ - إلغاء مبدأ الجهاد في الإسلام .
- ٣ - تكفير سائر المسلمين الذين لا يؤمنون بالقاديانية .
- ٤ - استمرار النبوة ودوام الوحي .
- ٥ - إلغاء الحج إلى مكة وتحويله إلى قاديان .

إن قاديان هي اليوم إحدى المعاقل الكبرى لنشر الزيف والانحراف والبدع باسم الدين، ومن داخل البلاد الإسلامية وهكذا تصبح الحركة القاديانية في عصرنا الحاضر قوة هدم، وإفساد داخلي في العالم الإسلامي. ومعظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند، وباكستان، وقليل منهم في فلسطين المحتلة^(١) والعالم العربي، ولهم نشاط كبير كدعاة في إفريقيا وبعض الدول الغربية^(٢) بدعم من الدول الاستعمارية.

*** ما السبب من وجهة نظرك في استمرار هذه الدعوة؟ وما الذي تقترحه لمحاربتها؟**

البهائية :

مفاهيم

الماسونية : منظمة يهودية سرية هدامة، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية، والفساد، وتتستر تحت شعارات خداعة : (حرية - إخاء - مساواة - إنسانية).

هي فرقة من فرق الباطنية الهدامة في العصر الحديث، وهي امتداد للحركة (البابية) التي ظهرت في إيران في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري، والتي كانت تعتمد أساساً على رعاية الاستعمار الإنجليزي والروسي، ومكائدهم بهدف

إفساد العقيدة الإسلامية، وتفكيك وحدة المسلمين، أما البهائية فتتمثل الطور الثاني للحركة البابية، وكانت أيضاً على صلة عريقة بالمستعمرين الإنجليز، والروس، وباليهودية وواجهتها الماسونية العالمية. انتقلت الدعوة البابية بعد إعدام الميرزا محمد الشيرازي مؤسس البابية الذي ادعى النبوة، وأنكر القيامة - عياداً بالله -، إلى أخوين من الأتباع هما : البهاء حسين علي المازندراني (١٢٣٣ هـ. / ١٣٠٩ هـ). وأخوه المخالف له يحيى بن صباح أزل المازندراني، فالبهاء - كما زعموا - هو الذي يظهر صفات الله، وهو المتصف بها من دون الله - عياداً بالله - فبهاء الله - بزعمهم - هو الرب الذي بشرت به كل الديانات وهو المشرع الأعلى الذي تنبأت بظهوره البوذية، والبرهمية، واليهودية، والنصرانية، والإسلام. فهو مصدر أفعال الله، وهو فاعلها من دون الله، وهو المعنى بالقيامة، وبالساعة الكبرى، وهو وجه الله، وهو جمال الله البهي الأبهي - تعال الله عما يقولون - وهو في البشارات التي سبقت في كل الأديان. وكما أن الإسلام نسخ الديانات السابقة فالبهائية نسخت الإسلام، وكل الأديان - بادعائهم - كانت ناقصة وبدائية، وإنما جاءت لتكتمل بدين البهاء الكامل.

* كيف ترد على هذه الافتراءات؟

كان الأخوان معاً في إيران من اتباع المذهب الشيعي، ثم انتقلا معاً إلى العراق، ثم إلى القسطنطينية وأدرنة، وفي سنة ١٢٨٥ هـ، قررت السلطة العثمانية نفي البهائيين إلى عكا، فأبى يحيى أن يبقى في عشرة البهلاء، وتمرد عليه. وهكذا ذهب البهائيون إلى عكا التي لا يزال مركزهم فيها حتى اليوم، وأما يحيى المازندراني فأرسل إلى قبرص، ومن هناك ادعى يحيى أن كتاب (الإيقان) - كتاب البهائيين - من إنشائه باللغة الفارسية بينما ادعاه البهاء

(١) للقاديانية علاقات وطيدة مع دولة الاحتلال الصهيوني.

(٢) يوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانيون.

لنفسه وقال : بل هو من وحيي وتنزيلي .

*** ماذا يعني ذلك من وجهة نظرك ؟**

وتقطن الغالبية العظمى من البهائيين اليوم في إيران، وقليل منهم في العراق، وسوريا ومصر ، وفلسطين، ومقرهم الرئيس في بعض الدول الغربية^(١).

أبرز آراء البهائية :

- ١ - تحريم الجهاد، وقبول طاعة الإنجليز .
 - ٢ - البهائية ناسخة لجميع الديانات .
 - ٣ - رفض اللغة العربية، والبحث عن لغة جديدة حتى يتحد العالم لغوياً كما يتحد دينياً عن طريق البهائية .
 - ٤ - إنكار معجزات الأنبياء والجنة والنار .
 - ٥ - موافقة اليهود والنصارى بالقول بصلب المسيح عليه السلام .
 - ٦ - إقرار الربا، ومبدأ الاختلاط بين الرجال والنساء، والخروج عن آداب الإسلام، وتحريم الحجاب .
 - ٨ - مخالفة موقف الإسلام في تحريف اليهود للتورا، والنصارى للإنجيل .
- وهكذا يتضح أن البابية والبهائية والقاديانية تُمثّل قوَى ضالّة دخيلة في العالم الإسلامي^(٢) ؛ تهدف إلى ضربه من الداخل وإضعافه، فهي ركائز استعمارية في بلادنا الإسلامية، ومن معوقات النهضة الحقيقية . ولكن يبقى الإسلام قوياً خالداً - بإذن الله - كما وعد سبحانه وتعالى في قوله : ﴿ **لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ** وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾ [سورة الأنفال: آية (٨)] .

ثانياً : الدعوات العلمانية :

القومية :

القومية اسم جديد للعصبية القبلية^(٣) التي عرفت أمم كثيرة في الماضي، إنها تعني أن لكل شعب مجموعة من الخصائص النفسية والثقافية، كتشابه العادات، والأخلاق، واللغة، والتاريخ تجعله مختلفاً عن بقية شعوب الأرض .

(١) يقدر عدد البهائيين بالولايات المتحدة الأمريكية حوالي مليوني بهائي . (٢) صدرت الفتاوى من مجمع الفقه الإسلامي بمكة ودار الإفتاء المصرية بخروج البهائية عن شريعة الإسلام، وتكفير أتباعها . (٣) يسترجع المعلم من الطلاب معنى العصبية القبلية التي سبق دراستها .

نشأتها :

نشأ مفهوم القومية هذا في خضم حوادث الثورة الفرنسية (١٢٠٤هـ / ١٢١٤هـ)^(١)؛ لذلك فقد تميز تاريخ القومية - رغم حداثة عهده نسبياً - بالشحناء، والبغضاء بين الأمم، وإشعال نيران الحروب بينها وتصديق كيانات الدول الكبرى منها.

*** كم سنة استمرت الثورة الفرنسية؟**

آثارها :

في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي - ألهبت القومية شعور الأمم الأوروبية على نحو لم يكن مألوفاً من قبل؛ مما جعل المفكرين يصفون ذلك القرن بأنه عصر القوميات، ومن ذلك الشعور اندفعت الأمم الأوروبية تتسابق فيما بينها بشكل جنوني من أجل اقتسام إفريقيا واستعمارها^(٢). وحين انتهى ذلك القرن لم يبق من إفريقيا غير خاضع للاستعمار سوى عُشر مساحة القارة.

في القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي تسببت القومية في إشعال حربين عالميتين، الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣-١٣٣٧هـ. / ١٩١٤-١٩١٨م). والحرب العالمية الثانية (١٣٥٨-١٣٦٥هـ. / ١٩٣٩-١٩٤٥م). التي أهلكت أكثر من ٥٥ مليوناً من البشر ناهيك عن الخراب المادي الفظيع، وأفواج المشردين والمشوهين^(٣).

كانت القومية سبباً في إقامة أبشع نظامين (قوميين متطرفين) في العالم في هذا القرن: النظام النازي في ألمانيا (١٣٥٢-١٣٦٥هـ. / ١٩٣٣-١٩٤٥م). والنظام الفاشي في إيطاليا (١٣٤١-١٣٦٣هـ. / ١٩٢٢-١٩٤٣م).

مفاهيم

النظام النازي والنظام الفاشي : أنظمة قومية تعلن أحقية دولها (ألمانيا، وإيطاليا) في العودة للقوة بعد انهزامهم في الحرب العالمية الأولى. وعدم تحقيق لأمانها من هذه الحرب. الطورانية : حركة قومية ظهرت بين الأتراك العثمانيين، اشتقت اسمها من (توران) أي بلاد تورة باعتبار أنها مهد الشعوب التركية من شرقية وغربية.

الطورانية :

كان يهود سالونيك وراء بروز قادة (الاتحاد والترقي) وقد نشروا بينهم النزعة الطورانية، والدعوة إلى إحياء جاهليتها القديمة، وآدابها، وثقافتها، وبالمقابل النظر إلى الإسلام الذي انتشر على أيدي العرب، وشريعته، وثقافته، ولغته على أنه غريب وطارئ على القومية التركية. وقد أكملت العناصر اليهودية مؤامراتها بأن دفعت جماعة الاتحاد والترقي إلى تبني سياسة التتريك. (أي دمج العناصر التي تشكل الدولة العثمانية في القومية التركية، وفرض اللغة التركية عليها).

(١) يعطي المعلم الطلاب فكرة مبسطة عن حوادث الثورة الفرنسية. (٢) يربط المعلم ذلك بالكشوف الجغرافية.

(٣) يعرض المعلم بعض الصور أو الأفلام الوثائقية عن آثار هاتين الحربين والأسلحة المستخدمة فيهما.

القومية العربية :

تعريفها :

هي حركة سياسية فكرية متعصبة تدعو إلى تمجيد العرب، وإقامة دولة موحدة لهم على أساس من رابطة الدم والقربى، واللغة، والتاريخ وإحلالها محل رابطة الدين، وهي صدى للفكر القومي الذي سبق وأن ظهر في أوروبا.

نشأتها :

بدأت في أواخر القرن الثالث عشر الهجري وأوائل القرن الرابع عشر الهجري كرد فعل للفكر القومي التركي الطوراني، في حركة سرية، ثم علنية، ثم سياسية واضحة المعالم في المؤتمر الأول الذي عقد في باريس عام ١٣٣١هـ. وقد نشطت الدعوة إلى الفكر القومي في أيام الدولة العثمانية. يصفها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - بأنها (دعوة جاهلية إلحادية تهدف إلى محارب الإسلام والتخلص من أحكامه وتعاليمه). ويقول عنها: (وقد أحدثها الغربيون من النصارى لمحاربة الإسلام والقضاء عليه في داره بزخرف من القول.. فاعتنقها كثير من العرب من أعداء الإسلام، واعتربها كثير من الأغمار ومن قلدتهم من الجهال، وفرح بذلك أرباب الإلحاد وخصوم الإسلام في كل مكان) ويقول عنها أيضاً: (هي دعوة باطلة وخطأ عظيم ومكر ظاهر وجاهلية نكراء وكيد سافر للإسلام وأهله)^(١).
وجدير بالذكر أن من أشهر مفكريها ومنظريها من الكُتّاب العرب ساطع الحصري.

ارتباطها بالاستعمار :

شجعت عدد من الدول الأجنبية على احتلال البلاد العربية على ظهور القومية العربية في صورتها العلمانية. فقامت بدفع العرب للثورة على الأتراك في الحرب العالمية الأولى، ودعمتهم مادياً وأديباً. وكان لورانس البريطاني الرأس المحرك لتلك الثورة التي قام بها العرب على الدولة العثمانية بالتعاون مع الحلفاء الذين كافؤوا العرب على ذلك بإعلان الإنجليز لوعده بلفور المشؤوم (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م). ثم تقسيم بلدانهم، ووضعها تحت الحماية البريطانية والفرنسية.

* ما موقف الإسلام من القومية^(٢)؟

الاشتراكية والشيوعية :

تعريف الاشتراكية والشيوعية :

هي عقيدة سياسية واجتماعية واقتصادية تعتبر أن الإنسان جاء إلى هذه الحياة بمحض الصدفة، وليس لوجوده غاية، وبذلك تصبح الحياة عبثاً، وقد نادى بها في العصر الحاضر مفكرون كثيرون، أبرزهم رجل يهودي ألماني

(١) الشيخ عبد العزيز بن باز، نقد القومية العربية على ضوء الإسلام والواقع. (٢) استعن بكتاب الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - نقد القومية العربية .

الأصل هو كارل ماركس (١٢٣٤-١٣٠١هـ/١٨١٨-١٨٨٣م). عندما دعا إلى نظام اقتصادي يقوم على إلغاء ملكية رأس المال، وسيطرة الدولة على جميع مرافق الإنتاج. وحث العمال على اتباع شتى الأساليب من دس، وكذب، وغدر وتآمر، وإعلان ثورة على أصحاب الأعمال؛ لسحقهم وإقامة المجتمع الاشتراكي. حارب ماركس الدين بشدة، ووصفه بأنه أفيون الشعوب^(١)، وزعم أن الحياة الإنسانية تندرج وفق قوانين وضعية ثابتة لا تتغير (حتمية)، وأنكر وجود نواميس سماوية.

أبرز مبادئ الاشتراكية والشيوعية :

- ١ - إنكار الخالق سبحانه وتعالى وسائر الديانات.
- ٢ - الاعتقاد بأنه لا آخرة، ولا عقاب، ولا ثواب في غير هذه الحياة.
- ٣ - الاعتماد على الغدر، والخيانة، والاضغاثات لإزاحة الخصوم وإن كانوا من أعضاء الحزب.
- ٤ - دكتاتورية الطبقة الكادحة، أي أن العمال هم الذين يجب أن يتولوا قيادة المجتمع وحكمه.
- ٥ - التفسير المادي للتاريخ (الظروف المادية وحدها بمنأى عن الأخلاق. والتربية تقرر نوع النظام الذي يسود في مجتمع ما).

٦ - حتمية الصراع الطبقي من أجل تغيير المجتمع، وإلغاء الملكية الفردية لجميع وسائل الإنتاج. وهكذا فإن الاشتراكية قد رفضت القيم والفضائل الروحية، وحولت الإنسان إلى عبدٍ ذليلٍ للآلة بمقدور الدولة أن تسحق كرامته متى ما أرادت، إذ لا سلطان ولا رقيب عليها، كما ألغت غريزة التملك الطبيعية في الأفراد فأخمدت الحافز الأصيل عند الإنسان للمنافسة والعمل، واستغلت ما بين الفقراء والأغنياء من خلافات، فحولته إلى صراع دموي، ولجأت إلى إبعاد خصومها عن مرافق الحياة العامة، وإزهاق أرواحهم.

انهيار الشيوعية :

إنراء

هناك من الدعوات العلمانية ما كان له أثر فعال في ضرب المسلمين وحضاراتهم من الداخل، بل كانت سبباً في تكريس الاستعمار الأجنبي مثل :
الدعوة إلى العامية : تمثل لوناً من ألوان التخريب الثقافي والهدم الداخلي لحضارتنا الإسلامية، لمحاولة الغربين قطع صلة المسلمين بلغة القرآن الكريم ؛ بحرمان اللغة العربية من حماية الدين لها واتهامها بالعجز والقصور عن خدمة الأمة ورقبها.

بما أن هذا المذهب الفكري الشيوعي كان يحمل عوامل هدامة في المبادئ التي قام عليها، والتي تتصادم مع فطرة الله التي فطر الناس عليها، فقد أعلن كبار المسؤولين^(٢) في الاتحاد السوفيتي قبل تفككه أن كثيراً من المبادئ الماركسية لم تعد صالحة للبقاء، وتسببت في تدهور الوضع الاقتصادي، وزيادة التنافس الذي أدى في النهاية إلى تفكك الاتحاد السوفيتي. لقد انهارت الشيوعية؛ لمجموعة من الأسباب العقدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ولوضوح عيوبها، واستحالة تطبيقها، ولم يمض على ظهورها إلا سبعون عاماً ونيف.

(١) الأفيون : نوع من المخدرات، ويعني بذلك أن الدين ومنها الدين الإسلامي عائقاً للتطور.

(٢) أمثال الرئيس السوفيتي السابق جورباتشوف .

أسئلة التقويم

- س ١ - انسب الفرق التالية إلى مؤسسها :
القاديانية - البابية.
- س ٢ - صوب الكلمات الخاطئة التي تحتها خط في العبارات التالية :
أ - من أبرز كتب الميرزا غلام كتاب الإيقان وبراھين أحمد.
ب - قرر العثمانيون نفي البهائيين إلى إيران عام ١٢٣٣ هـ.
- س ٣ - أجب بكلمة «نعم» أو «لا» معللاً إجابتك في كلا الحالتين :
أ - بذل الإنجليز كل دعم ممكن للحركة القاديانية.
ب - من آراء البهائية إلغاء الحج إلى مكة.
ج - تم إقالة ظفر الله خان عن الوزارة في باكستان.
- س ٤ - ما موقفك من العلاقة التي تربط هذه الدعوات بدولة الإحتلال الصهيوني؟
- س ٥ - ما المفهوم التاريخي لكل من :
الطورانية - الشيوعية - القومية العربية.
- س ٦ - من هو الذي :
أ - تبنى سياسة التتريك.
ب - نادى بالشيوعية في العصر الحاضر.
- س ٧ - استنتج خصائص الفكرة القومية وآثارها من خلال دراستك.
- س ٨ - لخص ما يأتي :
أ - أهداف القاديانية والبهائية.
ب - آثار القومية.
- س ٩ - تتبع تطور القومية العربية مبيناً أهم أسبابها ونتائجها.
- س ١٠ - انتقد آراء البهائية مستعيناً بالأدلة إن أمكن.
- س ١١ - بالرجوع إلى مناطق انتشار القاديانية والبهائية. حدد هذه المواقع على خريطة صماء للعالم بألوان تدل عليها في مفتاح الخريطة.

س١٢ - بين ما يأتي :

أ- أسباب انهيار الشيوعية.

ب- الآثار التي ترتبت على سياسة التتريك.

س١٣ - صغ بأسلوبك ما تعرفه عن موقف الإسلام من القومية.

س١٤ - أبد رأيك حول :

أ- الدعوات الدينية المنحرفة.

ب- مبادئ الاشتراكية والشيوعية.

نشأما فقامي

١- تعاون مع زملائك في البحث في المراجع الموثقة في أحد المواضيع التالية^(١) :

أ- دور الطورانية والقومية العربية في انهيار الخلافة العثمانية.

ب- دور الاستعمار في ترويج المبادئ والدعوات الهدامة.

٢- بمعرفتك لأسباب انهيار الشيوعية. عرّف زملائك عبر الإذاعة المدرسية بأهم ما يثبت صلاحية

الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان.

(١) يقسم المعلم الطلاب إلى ثلاث مجموعات لكل مجموعة بحث يقرأه أحدهم في حصة المراجعة.

الباب الثاني

موبات العهوان الفارمجا

علا العالم الإسلامجا

الفصل الأول : العدوان الصليبي والمغولي
على العالم الإسلامي في
العصور الماضية.

- * الحروب الصليبية أوهجمات الأوروبيين
الغربيين على الشرق الإسلامي.
- * الحروب الصليبية في الأندلس.
- * العدوان المغولي على العالم الإسلامي.

الفصل الثاني : العدوان الخارجي على العالم
الإسلامي في العصر الحديث.

- * الاستعمار الصليبي في البلاد الإسلامية.
- * الاستشراق.
- * التنصير.
- * الغزو الشيوعي للبلاد الإسلامية.



العدوان الصليبي والمغولي على العالم الإسلامي في العصور الماضية

حالة العالم الإسلامي قبل العدوان الصليبي والمغولي :

بدأت الخلافة الإسلامية تفقد هيبتها خلال القرن الثالث الهجري، بعد قرنين من التوسع والنفوذ السياسي، ولم يلبث الخلفاء المسلمون بعد عصر المعتصم العباسي أن أصبحوا أداة طيعة في أيدي أمراء الأتراك الذين استكثروا منهم الخليفة المعتصم، ومن جاء بعده من الخلفاء. ولعل ضعف الخلافة الإسلامية ومن ثم ضعف العالم الإسلامي آنذاك يرجع لعدة أسباب أهمها :

١ - كثرة الخلافات الدينية، والمذهبية، والثورات والحركات المناهضة للخلافة العباسية.

*** اذكر بعضاً منها حسبما تقدم بيانه .**

٢ - كثرة الحركات الانفصالية التي قامت في جسم الدولة الإسلامية، والتي أدت إلى ظهور دويلات مستقلة على حساب الخلافة.

٣ - انقسام المسلمين المؤلم، وكثرة الصراعات بين الدويلات الإسلامية، ومن أمثلة الدول المستقلة آنذاك : الدولة الإخشيدية في مصر وبلاد الشام، والدولة الحمدانية في شمال بلاد الشام والجزيرة الفراتية، والدولة السامانية في منطقتي فارس وماوراء النهر والدولة الغزنوية في بلاد الهند، والدولة الزيدية في اليمن وغيرها. وهكذا فقد حفزت أوضاع العالم الإسلامي المتردية في تلك الفترة الصليبيين لشن عدوانهم على البلاد الإسلامية، كما مهد ذلك السبيل للمغول لاجتياح أقاليم بلاد ما وراء النهر وخراسان، و فارس، و العراق وبلاد الشام.

مصادر العدوان الخارجي على العالم الإسلامي في العصر الماضي :

جاء العدوان الخارجي على العالم الإسلامي في العصر الماضي من أربع قوى، الثلاث الأولى منها نصرانية والرابعة وثنية. وهي كالتالي :

١ - الإمبراطورية البيزنطية.

٢ - الممالك الأوروبية.

٣ - الإمارات الإسبانية.

٤ - قبائل المغول الوثنية.

و يهمننا الآن أن نتحدث عن كل من هذه القوى :

الإمبراطورية البيزنطية واعتداءاتها على الدولة العباسية :

إن الانحلال الذي أصاب الخلافة العباسية، و التفكك الذي اعترى وحدة الدولة الإسلامية، قد مكّن الدولة البيزنطية في القرن الرابع الهجري من التوسع على حساب المسلمين في أطراف آسيا الصغرى و الشام، و استطاعت الجيوش البيزنطية من استعادة بعض المدن من المسلمين مثل : ملطية، و ديار بكر، و مرعش، و طرطوس و قليقلية و حلب، و أنطاكية، و كذلك جزيرة كريت، كما واصلت جيوش البيزنطيين اعتداءاتها على المسلمين فاستردت قبرص منهم. وهكذا فقد شكّل البيزنطيون خطورة اجتاحت بعض الأراضي الإسلامية قبل قدوم الصليبيين الغربيين.

الحروب الصليبية :

أ - تعريف الحروب الصليبية :

هي الهجمات العدوانية التي شنتها أوروبا على البلدان الإسلامية في الشرق خلال قرنين من الزمن منذ أواخر القرن الخامس الهجري و حتى أواخر القرن السابع الهجري أي (٤٩٠ - ٦٩٠ هـ) تقريباً. و شملت الحروب الصليبية مساحةً واسعةً من العالم الإسلامي شملت بلاد الشام، و مصر، و العراق، و آسيا الصغرى كما شملت الحروب الصليبية أيضاً الهجمات العدوانية التي شنّها النصارى من الإسبان و الأوروبيين على المسلمين في الأندلس و المغرب في الغرب الإسلامي.

ب - أسباب الحروب الصليبية :

* تعصّب النصارى الأوروبيين ضد الإسلام و المسلمين.
* عداء النصارى الأوربيين للمسلمين؛ نتيجةً لتعاظم نفوذ المسلمين و انتشار الإسلام. قال تعالى :
﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَىٰ اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَلَئِنَّ آتِبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وِئَالٍ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [سورة البقرة: آية (١٢٠)].
قال تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [سورة البقرة: آية (٢١٧)].

* انتصار السلاجقة في موقعة ملاذكرد بأرمينية سنة ٤٦٣ هـ. و اجتياحهم الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى.

* رغبة البابا بسط نفوذه على الكنيستين الشرقية (الأوثوذكسية) و الغربية (الكاثوليكية).

أولاً : الحروب الصليبية على الشرق الإسلامي :

كان الاستعداد للحروب الصليبية قد بدأ حين تولى عرش الأمبراطورية البيزنطية سنة ٤٧٤هـ. (الكسيوس كومنين) الذي طلب النجدة من البابا^(١) أربان الثاني والغرب اللاتيني؛ لإنقاذ الإمبراطورية، وأهلها والنصرانية وكنائسها قبل فوات الأوان، فدعا البابا أربان الثاني الأوروبيين إلى تخليص الأراضي المقدسة من المسلمين، وهو الذي كان يطمع إلى بسط هيمنته الروحية على الكنيستين الشرقية والغربية، وإلى طرد المسلمين من الأراضي المقدسة مستجيباً لنداء الإمبراطور، ثم وضع الخطط للحرب الصليبية.

حملة بطرس الناسك :

أثارت دعوة البابا أربان الثاني حركة شعبية كبيرة ترتبط في التاريخ عادة باسم (بطرس الناسك) ولما وصلت جموع المتطوعين الصليبيين القسطنطينية، رأى الإمبراطور أن يتقي شرهم، فساعدهم على السير إلى آسيا الصغرى، وحققوا بعض الانتصارات المحلية على السلاجقة؛ مما جعلهم يغترون بقوتهم، ويتمادون في الإغارة على أراضي السلاجقة ثم انتهز الصليبيون - وكان عددهم ٢٥٠٠٠ رجلاً تقريباً معظمهم من المشاة المعدمين - فرصة ذهاب بطرس الناسك إلى القسطنطينية لمقابلة الإمبراطور، وقرروا الزحف على نيقية [٤٨٩هـ]. حيث قابلهم السلاجقة المسلمون، وأفنوا غالبيتهم، إذ لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف شخص. وهكذا أخفقت هذه الحملة العامة التي قادها بطرس الناسك ووالتر المفلس، كما أخفقت حملات مشابهة لها قبل أن تصل للقسطنطينية. وكانت هذه الحملات بمثابة الطلائع للحملات الصليبية المنظمة التي قادها الأمراء الأوروبيون. انظر الخريطة في الشكل (٢) وإليك خلاصة لهذه الحملات :



شكل (٢) : الحملات الصليبية

(١) البابا : رأس السلطة الدينية في الكنيسة الكاثوليكية في العالم.

الحملة الصليبية الأولى سنة (٤٩١ هـ - ١٠٩٧ م) :

نظم البابا بنفسه هذه الحملة، وعهد الزعامة إلى عدد من القادة المهرة، وأغلبهم من فرنسا، وقد بلغ عدد الحملة مليوناً من الرجال، والنساء، والأطفال، والخدم، أما المحاربون فقد بلغ عددهم حوالي ٢٠٠,٠٠٠ مقاتل تحركت جموع الصليبيين في سنة ٤٨٩ هـ. من أنحاء أوروبا، ثم اتجهت نحو القسطنطينية، ونزلت آسيا الصغرى، ثم دخلت نيقية بعد حصار دام خمسين يوماً رغم الجهود الجبارة التي بذلها السلطان السلجوقي (قليج أرسلان) في الدفاع عن المدينة، ثم زحف الصليبيون عبر وسط آسيا الصغرى واستولوا على عدد من المدن حتى وصلوا إلى أنطاكية وشرعوا في حصارها وبعد حصار دام أكثر من ثمانية أشهر دخلوها عنوة سنة (٤٩١ هـ). ومثلوا بأهلها أشنع تمثيل، وقتلوا منهم عشرة آلاف مسلم كما تم للصليبيين الاستيلاء على الرها، ثم زحفوا بعد سيطرتهم على أنطاكية إلى بيت المقدس، وبعد حصار دام نيفاً^(١) وأربعين يوماً، اقتحم الصليبيون المدينة سنة (٤٩٢ هـ).

وقاموا بمذبحة وحشية رهيبة، فلم يتركوا مسلماً في الطرقات، أو البيوت، أو المساجد إلا قتلوه^(٢) واستباحوا دمه دون أن يفرقوا بين رجل وامرأة وطفل. وبهذا كوّن الصليبيون لهم في بلاد الشام ثلاث إمارات ومملكة.

انظر الخريطة في الشكل (٣) .

بين الحملتين الصليبية الأولى والثانية :



شكل (٣) : الإمارات الصليبية

لما كان سبب نجاح الحملة الصليبية الأولى هو انقسام المسلمين، وتفككهم، وتناحرهم؛ لذا كان السبيل الوحيد للتغلب على هذه السليبات هو توحيد الجبهة الإسلامية تحت زعامة واحدة تستطيع الصمود أمام الغزو الصليبي والعمل على القضاء عليه، وقد بدأ ذلك يتحقق بظهور آل زنكي في الموصل، وحلب، وحمّة، وبعلبك، حيث أخذ عماد الدين زنكي يسدّد الضربات للصليبيين، حتى استعاد إمارة الرها سنة ٥٣٩ هـ. ثم تابع ابنه نور الدين محمود سياسة أبيه، فعمل على توسيع مملكته باسترداد أراضي المسلمين من الصليبيين.

(١) نيفاً : الزيادة من واحد إلى ثلاثة.

(٢) بلغ عدد القتلى أكثر من سبعين ألف مسلم كما أشارت إلى ذلك بعض المصادر.

الحملة الصليبية الثانية سنة (٥٤٢ - ٥٤٣هـ) :

سبب قيامها : استرداد المسلمين للرها الذي أحدث استياءً شديداً في الغرب الأوروبي .
أحداث الحملة : سار صوب فلسطين في سنة (٥٤٢هـ) أكبر جيش في أوروبا الغربية يقوده كونراد الثالث إمبراطور ألمانيا، ولويس السابع ملك فرنسا، وقد غيرت هذه الحملة هدفها من الرها إلى دمشق ولكنها لم تتمكن من اقتحام دمشق، و أرغم موقف المسلمين المتناسك ونجدة الزنكيين لدمشق قواد هذه الحملة لترك دمشق والعودة إلى بلادهم بعد أن منوا بفشل ذريع وهكذا انتهت هذه الحملة.

صلاح الدين ومعركة حطين واسترداد القدس :

وصول صلاح الدين إلى الحكم :

أدت هزيمة الصليبيين في حملتهم الثانية إلى تحفز نور الدين لمواصلة هجومه على الإمارات الصليبية، فانتصر في عدة معارك، ثم أرسل أحد قاداته الأكراد وهو أسد الدين شيركوه إلى مصر، فأحرز بدوره انتصارات حربية كبيرة وعينه العاضد لدين الله (آخر الحكام العبديين) وزيراً له، ولما مات شيركوه تولى مكانه ابن أخيه صلاح الدين فأصبح وزيراً للعاضد، ثم ما لبث أن أزال صلاح الدين الدولة العبديية سنة (٥٦٧هـ) بتشجيع ومؤازرة من الخلافة العباسية والدولة الزنكية. كما بسط نفوذه على مصر، والنوبة، والحجاز، واليمن. وبعد وفاة نور الدين، وكثرة المشاكل من الزنكيين والتي أدت إلى ضعف الجبهة الإسلامية، اضطر صلاح الدين أن يعلن قيام دولته في مصر والشام سنة ٥٧٠هـ.

سياسة صلاح الدين مع الصليبيين :

اتجه صلاح الدين بعد ذلك إلى مهادنة الصليبيين^(١)، وأظهر في سياسته معهم درجة من المسالمة، لكن الصليبيين قابلوا ذلك بالتحدي، وبروح متعصبة، ودأبوا على نقض معاهدتهم مع المسلمين.

معركة حطين :

بدأ صلاح الدين بتعبئة قواته استعداداً لحرب شاملة مع الصليبيين، ثم زحف على طبرية ودخلها فثارت ثائرة الصليبيين، وساروا بقواتهم نحو حطين الواقعة بالقرب من طبرية، والتحم الفريقان المتحاربين سنة ٥٨٣هـ. واستمات المسلمون في القتال حتى قضوا على معظم الصليبيين، وسبق الأسرى إلى معسكر المسلمين، وأحسن صلاح الدين استقبال الأمراء الصليبيين.

(١) ليتمكن من إكمال استعداداته، وتوحيد الجبهة الإسلامية ضد الصليبيين.

نتائج حطين :

كانت حطين أعظم من مجرد نصر حربي أحرزه المسلمون، فقد كانت في حقيقة أمرها بشيراً بنجاح المسلمين في القضاء على أكبر حركة استعمارية شهدتها العالم في العصور الإسلامية. وهكذا غدت بلاد الشام بعد موقعة حطين تحت سيطرة صلاح الدين، فشرع يفتح البلاد والمعازل الصليبية تتساقط الواحدة تلو الأخرى. فاستولى على عكا، والناصرية، وقيسارية، وحيفا، ويافا، ويبروت، وجبيل، والرملة، وعسقلان وغير ذلك من القلاع ومدن فلسطين الداخلية، ولم يبق أمام صلاح الدين سوى بيت المقدس ففتحها يوم الجمعة ٢٧ رجب سنة ٥٨٣هـ الموافق ١٢ / ١٠ / ١١٨٧م. واحترم المسلمون مقدسات الصليبيين وعاملوا النصارى بالحسنى بخلاف ما فعله الصليبيون بالمسلمين تماماً عندما احتلوا المدينة.

*** قارن بين معاملة المسلمين للنصارى ومعاملة النصارى للمسلمين عند فتح المدينة.**

الحملة الصليبية الثالثة سنة (٥٨٥ - ٥٨٨ هـ) :

هاج الأوروبيون؛ لاستعادة بيت المقدس، وطرد الصليبيين منها، فنظموا الحملة الصليبية الثالثة التي تعد أقوى الحملات من حيث الإعداد والتنظيم، إذ كانت بقيادة ثلاثة من ملوكهم وهم فردريك بربروسا إمبراطور ألمانيا (الذي لم يدخل فلسطين إذ غرق وهو يعبر نهراً بالقرب من أنطاكيا)، وريتشارد الأول الملقب بقلب الأسد ملك إنجلترا، وفيلب أغسطس ملك فرنسا. ولما بلغت الجيوش الأوروبية عكا أحكمت عليها الحصار حتى اضطرتها إلى التسليم سنة (٥٨٧هـ) غير أن الصليبيين لم يحققوا انتصارات مهمة أخرى، وخاف ريتشارد من الهزيمة فيما لو هاجم القدس؛ لقوة المدافعين عنها، كما أن أحوال إنجلترا الداخلية اضطرت له للعودة إلى بلاده، ومن ثم انسحب إلى الرملة.

صلح الرملة :

دارت مفاوضات بين ريتشارد وبين صلاح الدين انتهت بعقد صلح الرملة سنة (٥٨٨هـ) ومدته ثلاث سنوات وثلاثة أشهر.

شروط صلح الرملة :

* السماح للصليبيين بالاحتفاظ بالمنطقة الساحلية من صور إلى يافا.
* السماح للحجاج النصارى بزيارة بيت المقدس عزلاً من السلاح دون أخذ ضريبة منهم.
وبعد ذلك عاد ريتشارد إلى وطنه. أما البطل المجاهد صلاح الدين فقد مات بدمشق بعد صلح الرملة أوائل سنة ٥٨٩هـ بعد أن أسدى خدمات جليلة للإسلام، تغمده الله برحمته الواسعة، وأسكنه فسيح جناته.

الحملة الصليبية الرابعة سنة (٦٠٠ - ٦٠١ هـ) :

يصف المؤرخون الغربيون هذه الحملة عادة بالخسة والدناءة؛ لأن المحاربين الصليبيين الذين استجابوا لدعوة البابا لاسترجاع بيت المقدس من المسلمين، انحرفوا عن أهداف الحملة التي كان هدفها مصر، فلم يحاربوا المسلمين بل توجهوا نحو القسطنطينية النصرانية، واعتدوا على إخوانهم النصارى، ونهبوا ما فيها، واقتسموا المدينة فيما بينهم، وبذلك انتهت هذه الحملة.

الحملة الصليبية الخامسة سنة (٦١٥ - ٦١٨ هـ) :

توجهت هذه الحملة إلى مصر، حيث أدرك الصليبيون منذ القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي أهمية مصر في الاستيلاء على بلاد الشام. **كيف يمكن ذلك؟** واستطاع الصليبيون الاستيلاء على دمياط بعد حصار دام تسعة أشهر. وقد تصادف في تلك الأثناء أن بدأ جنكيز خان المغولي بالزحف على العالم الإسلامي واستولى على مملكة خوارزم. وصار موقف المسلمين في بلاد الشام ومصر صعباً للغاية، وتوجه الصليبيون إلى الدلتا، فخرجت قوات الملك الكامل الأيوبي لملاقاتهم، وقطع المصريون جسور النيل فأغرقوا الأرض بالماء، وعجز الصليبيون عن مواصلة الزحف بعد أن أصبحوا مهددين بالجوع والهلاك، فطلبوا الصلح وانسحبوا من مصر سنة (٦١٨ هـ).

الحملة الصليبية السادسة سنة (٦٢٦ - ٦٢٧ هـ) :

تعد هذه الحملة تكملة للحملة الخامسة؛ ذلك أن الإمبراطور الألماني فردريك الثاني لم يتجه إلى فلسطين إلا بعد أن ضغط عليه البابا، فلما بلغ الإمبراطور فردريك عكا، أخذ يفاوض السلطان الكامل الأيوبي، ويستعطفه في شأن بيت المقدس، ونجح في عقد اتفاقية يافا بين الطرفين سنة ٦٢٦ هـ، وجعلت مدتها عشر سنوات أعطت بمقتضاها الصليبيين بيت المقدس، وبيت لحم والناصرة، وصيدا في حين يبقى المسجد الأقصى والصخرة المشرفة وقرى القدس للمسلمين. وقد هاجم المسلمون هذه الاتفاقية، وعدوها خسارة، وبكوا على ضياع بيت المقدس، وتفريط الملك الكامل فيه بهذه السهولة.

إثراء

كان فردريك الثاني يتذلل للسلطان الكامل حتى ذكر أنه كان يبكي بكاءً مراراً في مراحل المفاوضات ويقول فيها: (أنا مملوكك، وعتيقك وليس لي عمّا تأمره خروج، وأنت تعلم أنني أكبر ملوك البحر، وقد علم البابا والملوك باهتمامي وطلوعي فإن رجعت خائباً انكسرت حرمتي بينهم، وهذه القدس أصل اعتقادهم وفخرهم. فإن رأى السلطان أن يُنعم علي بقبضة البلد والزيارة فيكون صدقة منه، ويرتفع رأسي بين ملوك البحر).

الحملة الصليبية السابعة سنة (٦٤٦-٦٤٨هـ) :

أسبابها :

استطاع الملك الصالح أيوب بن الكامل الذي حكم مصر سنة (٦٣٧هـ) أن يقضي على الخلافات الداخلية في البيت الأيوبي، وأن يستعيد بيت المقدس سنة (٦٤٢هـ) كما احتل الملك الصالح بعد ذلك حصن طبرية، وعسقلان من الصليبيين، وقد فزعت أوروبا لهذه الانتصارات الإسلامية؛ فقام ملك فرنسا لويس التاسع بتجهيز حملة صليبية سابعة.

أحداثها :

استطاعت الحملة الاستيلاء على دمياط سنة (٦٤٧هـ) ثم واصل الصليبيون زحفهم نحو القاهرة، وبالرغم من وفاة الملك الصالح أيوب في ذلك الوقت، إلا أن القوات المصرية بقيادة الظاهر بيبرس أنزلت ضربة قاصمة بالصليبيين في المنصورة حتى أصبحت البيوت والأزقة مقابر لعدد كبير منهم.

النتائج :

أصبح الجيش الصليبي بين أسير وقتيل، وحمل ملكهم لويس التاسع أسيراً إلى المنصورة، ثم افتدى نفسه بتسليم دمياط للمسلمين، ودفع مبلغ كبير من المال للمسلمين، وتعهد ألا يقصد شواطئ المسلمين مرة أخرى وانسحب الجيش الصليبي من دمياط خائباً.

الحملة الصليبية الثامنة سنة (٦٦٨-٦٦٩هـ) :

نكث لويس التاسع بوعدته، وذهب بعد طرده من مصر إلى الشام، وقضى بها عدة سنوات عمل فيها جاهداً لتصفية الخلافات بين الأمراء الصليبيين، كما أرسل بمبعوثيه إلى التتار؛ لتكوين تحالف مشترك ضد المسلمين، غير أن مساعيه لم تأت بنتائج عملية، فعاد إلى بلاده، ثم رجع في سنة ٦٦٨هـ، وتولى قيادة الحملة الصليبية الثامنة، ولكن هذه الحملة توجهت ضد الحفصيين في تونس، وانتهى أمرها إلى الفشل. انظر الخريطة في الشكل (٢).

ومات الملك لويس التاسع بالطاعون هو ومعظم جيشه.

نهاية العدوان الصليبي على الشرق الإسلامي :

اضطلع المماليك بتصفية النفوذ الصليبي في بلاد الشام وبخاصة منذ أن اعتلى الظاهر بيبرس عرش مصر سنة ٦٥٨هـ واستعاد قيسارية، ويافا، وأنطاكية وغيرها، وقام أتباعه بالضغط على الصليبيين، فاستولى المسلمون على عكا آخر معقل للصليبيين في الشام سنة ٦٩٠هـ. / ١٢٩١م. بعد أن حاصروها حصاراً شديداً، ثم استسلمت صور وبيروت، وصيدا وغيرها للمسلمين. وبذلك ينتهي العدوان الصليبي الغربي على الشرق الإسلامي في العصور الإسلامية بعد أن دام قرابة قرنين من الزمان (٤٩٠ - ٦٩٠هـ).



أسباب ضعف المسلمين في الأندلس أمام الصليبيين :

* العصبية القبلية، والصراع الرهيب بين العرب والبربر التي أوهنت القوة الإسلامية في الأندلس .
* الانقسام والتمزق بين المسلمين والذي بلغ ذروته زمن ملوك الطوائف في القرن الخامس الهجري، حيث تكونت ست وعشرون دويلة.

* استعانة المسلمين في الأندلس في ثوراتهم وحروبهم ضد بعضهم بالنصارى .
* عدم سيطرة المسلمين في الأندلس سيطرة تامة على جميع أنحاء شبه جزيرة إيبيريا، فقد ظلت بعض الجهات وبخاصة في الشمال الغربي خارجة عن النفوذ الإسلامي، فقامت فيها أربع دويلات إسبانية هي : ليون ، ونافار، وبرشلونة، وقشتالة، ومن هذه الوحدات انبعث الخطر الذي هدد المسلمين في الأندلس، وكانت مملكة ليون قد تزعمت مناهضة المسلمين في الأندلس منذ القرن الثالث الهجري، و في منتصف القرن الخامس الهجري ظهرت زعامة قشتاله في حرب المسلمين، حيث استطاعت في زمن ملكها ألفونسو السادس أن تنتزع مدينة طليطلة من المسلمين سنة ٤٧٨هـ.

اتحاد المسلمين في المغرب والأندلس ضد النصارى :

استنجد ملوك الطوائف^(١) في الأندلس بالمرابطين في شمال إفريقيا، وهم أقرب قوة إسلامية يمكن أن تدفع خطر النصارى عن مسلمي الأندلس، فعبروا إلى الأندلس بزعامة يوسف بن تاشفين، وهزموا ألفونسو السادس في موقعة الزلاقة سنة ٤٧٩هـ. ثم قفل يوسف بن تاشفين راجعاً إلى شمال إفريقيا، غير أنه عاد إلى الأندلس حين تجدد الخطر الإسباني على المسلمين؛ ليشن حرباً على ملوك الطوائف المسلمين^(٢) فضلاً عن النصارى وسيطر على ما بقي من الأندلس الإسلامية، وعندما زالت دولة المرابطين. وحلّت محلها دولة الموحدين في شمال إفريقيا والأندلس وسحقت جيشاً بقيادة ألفونسو الثامن في وقعة الأرك. وقد دفعت هذه الانتصارات الإسلامية بالبابا أن يدعو لتوحيد الجبهة ضد مسلمي الأندلس. وظهرت آثار هذه الدعوة في اتحاد أرغون وقشتاله وانتصار الإسبان على المسلمين في وقعة العقاب سنة ٦٠٩هـ. وتوالت انتصارات الإسبان حتى سقطت بلنسية، وقرطبة، وإشبيلية، وقادس خلال القرن السابع الهجري، بحيث لم يبق للمسلمين في القرن الثامن الهجري سوى إمارة غرناطة، والتي احتفظت باستقلالها حتى نهاية القرن التاسع الهجري.

(١) الذي استنجد بهم هو أحد ملوك بني عباد في إشبيلية وهو المعتمد بن عباد.

(٢) لأنه كان ينوي في هذه المرة الاستقرار بإسبانيا، والقضاء على نفوذ الطوائف.

* ما السبب في احتفاظ غرناطة باستقلالها؟

وكلما اشتد الضغط الإسباني عليها كانت تستنجد بدولة بني مرين في المغرب باعتبارها أقوى دولة إسلامية معاصرة لها، و لكن لم يلبث ملوك قشتاله وأرغون أن استولوا على غرناطة نهائياً في سنة ٨٩٧هـ. وبذلك زال آخر معقل للمسلمين في إسبانيا، ثم قامت محاكم التفتيش الإسبانية بإكراه من تبقى من المسلمين في الأندلس على اعتناق النصرانية من غير اكتراث لما نصت عليه شروط الاستسلام.

* استنتج هذه الشروط.

غير أن جموعاً غفيرة من مسلمي الأندلس غادرت بلادها إلى بلاد المغرب العربي، حيث ازدهرت حضارتها على أيديهم.

* ما رأيك بموقف المسلمين من النصارى الإسبان؟

ثالثاً: العدوان المغولي على العالم الإسلامي :



تمهيد :

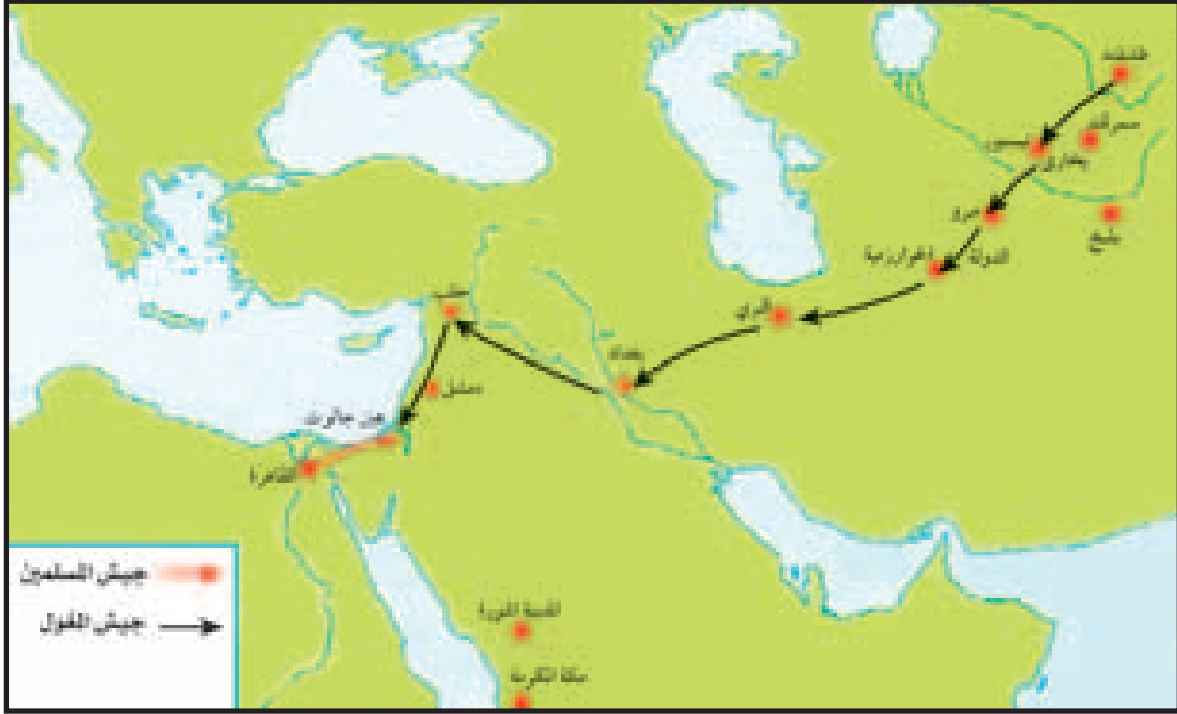
بدأ المغول^(١) باكتساح البلاد الإسلامية، و إنزال الدمار فيها مع بداية الحملة الصليبية الخامسة.

* متى كانت هذه الحملة؟ و ما نتائجها؟

فقد اجتاحت جحافلهم المخربة بقيادة جنكيز خان^(٢) بلاد خوارزم واستولت خلال السنوات من ٦١٦-٦٢٠هـ على أقاليم ومدن كثيرة من أراضي الدولة الخوارزمية في إقليم ماوراء النهر (بخارى، و سمرقند) وخراسان (نيسابور و مرو، بلخ، هراه) وإقليم خوارزم و غزنة و فرغانه وغيرها و خربوا هذه المراكز الإسلامية التي كانت تعج بالحضارة والرقي والتقدم كما قتلوا معظم السكان . انظر الخريطة في الشكل (٤). وقد هدأت هذه الغارة المخربة بعض الوقت بوفاة جنكيز خان؛ بسبب خلاف وقع بين أبنائه على وراثة العرش، ولم يلبث المغول أن استأنفوا هجومهم على العالم الإسلامي حين تولى حكم الدولة المغولية منكو خان حفيد جنكيز خان، الذي أوفد أخاه هولاكو إلى غرب آسيا للسيطرة على إيران، والعراق، وبلاد الشام، ومصر، وبلاد الروم والأرمن.

(١) وثنون أشداء الشكيمة، كانوا يقطنون تركستان الشرقية ومنغوليا الحالية.

(٢) إن الاسم الحقيقي لجنكيز خان (وهذا لقب معناه الإمبراطور الأعظم أو أعظم الحكام أو إمبراطور البشر) هو تيموجين بن باطور، ويعد أكبر محارب مخرب عرفه التاريخ.



شكل (٤): سير المغول على العالم الإسلامي.

سقوط بغداد ومهاجمة المدن الشامية :

استعد هولاءكوللاستيلاء على بلاد الخلافة العباسية، وسار إليها في جحافلها، واشتركت نسبة كبيرة من النصارى في جيشه، وفي طريقه قضى على طائفة الاسماعيلية في قلعة الموت سنة ٦٥٤هـ، ثم تحرك إلى بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. فدمرها تدميراً ذريعاً، وقضى على الخلافة العباسية بعد أن قتل الخليفة^(١) وبعض أهل بيته، وجمعاً غفيراً من العلماء، وأهل السنة وعامتهم حتى قُدر عدد ضحايا بغداد بثمانمائة ألف من السكان. وبعد أن فرغ المغول من نهب المدينة أشعلوا النيران في جوامعها ومدارسها، ومكتباتها، وأتلفوا الكتب بإحراقها وأوبرمها في دجلة. وكان لسقوط بغداد والخلافة العباسية دويٌّ هائل ومخيف في أنحاء العالم الإسلامي. ثم واصل المغول هجومهم على شمال العراق وبلاد الشام، ففي سنة ٦٥٨هـ استولى هولاءكو على آمد ونصيبين، وحرّان، والرها وبعد حصار دام أسبوعاً دخل المغول حلب. وهكذا سقطت هذه القلعة الإسلامية العتيقة التي كانت قد صمدت بوجه قادة الصليبيين من قبل، ثم خضعت دمشق وغيرها من المدن الشامية للمغول.

(١) الخليفة هو: المستعصم وقد كان للمؤامرات التي يدبرها الباطنية دور في تسهيل مهمة المغول.

معركة عين جالوت ونهاية الخطر المغولي :

كان هدف هولاكو بعد الاستيلاء على العراق وبلاد الشام، الزحف نحو مصر والسيطرة عليها وتدميرها، فعقد السلطان المملوكي سيف الدين قطز اجتماعاً مع أمراء المماليك، وتمّ الاتفاق على الاتحاد ومواجهة المغول، وفي رمضان سنة ٦٥٨ هـ - ١٢٦٠ م. التقى الجيش المصري بقيادة سيف الدين قطز والأمير بيبرس البندقداري بجيش المغول بقيادة كتبغا في عين جالوت. ارجع للخريطة في الشكل (٤). وأظهر قطز شجاعة كبيرة، وتكبّد المغول خسائر جسيمة؛ مما أسفر عن هزيمة المغول لأول مرة في تاريخهم، وأصدر قطز أمره بقطع رأس كتبغا حيث طيف به في البلاد.

وتعد معركة عين جالوت من المواقع الفاصلة في التاريخ البشري؛ لأنها أنقذت الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية من الدمار. ومع ذلك فقد شعرت البابوية وبقايا الصليبيين بخيبة أمل بعد انتصار المسلمين؛ لانقطاع الرجاء في التحالف مع المغول ضد المسلمين. ثم إن الإسلام عاد فانتصر مرة أخرى؛ لأن غالبية سكان دولة إيلخانات^(١) إيران كانوا مسلمين، فأثر ذلك على ملكهم غازان سنة (٦٩٤ هـ) حيث أسلم وحسن إسلامه. وبذلك زال الخطر المغولي عن الإسلام.

(١) إيلخان (إمبراطور) ومعناها الخان الكبير، وهو لقب هولاكو بعد انتصاراته، وصار وراثياً في نسبه .

أسئلة التقويم

- س ١ - أكمل الفراغات التالية بما يناسبها :
- أ - ملك فرنسا الذي وقع في الأسر في المنصورة بمصر هو
- ب - استعاد المسلمون بيت المقدس سنة ٥٨٣ هـ بقيادة
- ج - كانت الحملة الصليبية الرابعة تهدف لاحتلال مصر ولكنها اتجهت نحو
- د - القائد المغولي الذي هُزم في معركة عين جالوت هو
- س ٢ - بين سبب ما يأتي :
- أ - وصف الحملة الصليبية الرابعة بالخشة و الدناءة.
- ب - أهمية مصر في الاستيلاء على بلاد الشام.
- ج - انقضاء الخطر المغولي على الإسلام.
- س ٣ - كم قرناً من الزمان استمرت الحروب الصليبية؟ وما الذي يعدُّ استمراراً لها في الوقت الحاضر؟
- س ٤ - تخير البديل المناسب من بين البدائل التي تلي كل عبارة فيما يأتي .
- أ - الإمارة التي نجح الصليبيون في الاستيلاء عليها سنة ٤٩١ هـ. ونجح المسلمون في استردادها سنة ٥٣٩ هـ.
- هي : ١- طرابلس. ٢- أنطاكية. ٣- الرها. ٤- بيت المقدس.
- ب - الحملة الصليبية التي كان يقودها ثلاثة من ملوك أوروبا هي الحملة :
- ١- الأولى . ٢- الثانية. ٣- الثالثة. ٤- الخامسة.
- ج - اتجهت الحملات الصليبية الثلاث الأولى إلى :
- ١- بلاد الشام. ٢- العراق . ٣- مصر. ٤- تونس.
- د - القائد الذي استرد إمارة الرها من الصليبيين هو :
- ١ - عماد الدين زنكي. ٢ - صلاح الدين. ٣ - الأشرف خليل. ٤ - نور الدين محمود.
- س ٥ - كيف كان زوال الحكم الإسلامي في الأندلس؟
- س ٦ - صحح ما تحته خط في العبارات التالية :
- أ - حدثت معركة حطين سنة ٤٧٩ هـ.
- ب - استولى الأيوبيون على عكا آخر معقل صليبي في الشام.
- ج - اتجهت الحملة الصليبية السابعة إلى القسطنطينية.
- د - بدأت الحملات الصليبية نحو الشرق الإسلامي سنة ٥٨١ هـ.
- س ٧ - ابرز السبب الرئيس في فشل الحملة الصليبية الثانية وذلك بالرجوع إلى سبب نجاح الحملة الصليبية الأولى.
- س ٨ - قارن بين معركة حطين وعين جالوت من خلال عرض نتائج كل منهما.

س٩ - أبد رأيك بمواقف و جهود القادة المسلمين ضد الصليبيين.

س١٠ - اقرأ الحوار التالي الذي دار بين قائد المغول «كتبغا» وبين سلطان المماليك في مصر «قطز» بعد أن وقع كتبغا أسيراً في يدي قطز، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه :

كتبغا : لا بد من الموت هنا ؛ لأن الموت مع العزة والكرامة خير من الهروب مع الذلة والمهانة.
قطز : بعد أن سفكت الدم بغير حق، وغلبت الأبطال العظماء بالوعود الكاذبة، وأسقطت الأسر القديمة بالقول الزائف، ها أنت أيضاً قد وقعت أخيراً في الشبك.

كتبغا : إني إن هلكت على يديك ، فإنني أعلم أن الله لا أنت هو الذي أراد قتلي. فلا تنخدع بهذا النصر المؤقت، لأنه لا يكاد يصل إلى هولاءكو خان خبر موتي، حتى يغلي غضبه كالبحر المضطرب فتطأ أرجل الخيل المغولية أرض البلاد ابتداءً من أذربيجان إلى أبواب مصر.

المرجع :

كتاب مؤرخ المغول الكبير، للدكتور فؤاد الصياد.

أ - ضع عنواناً للحوار السابق.

ب - هات حقيقة تاريخية واحدة استوعبتها من الحوار.

ج - ماذا تعرف عن هولاءكو؟

د - هل كان النصر مؤقتاً كما أشار كتبغا في الحوار؟ دلل تاريخياً.

هـ - كيف وقع كتبغا في الأسر؟

نشأمة فتاوى

١- املأ المربعات التالية بالأسماء الصحيحة التي تدل عليها المعلومات التاريخية التالية :

أ - قائد مغولي تولى حكم الدولة المغولية بعد جنكيز خان.

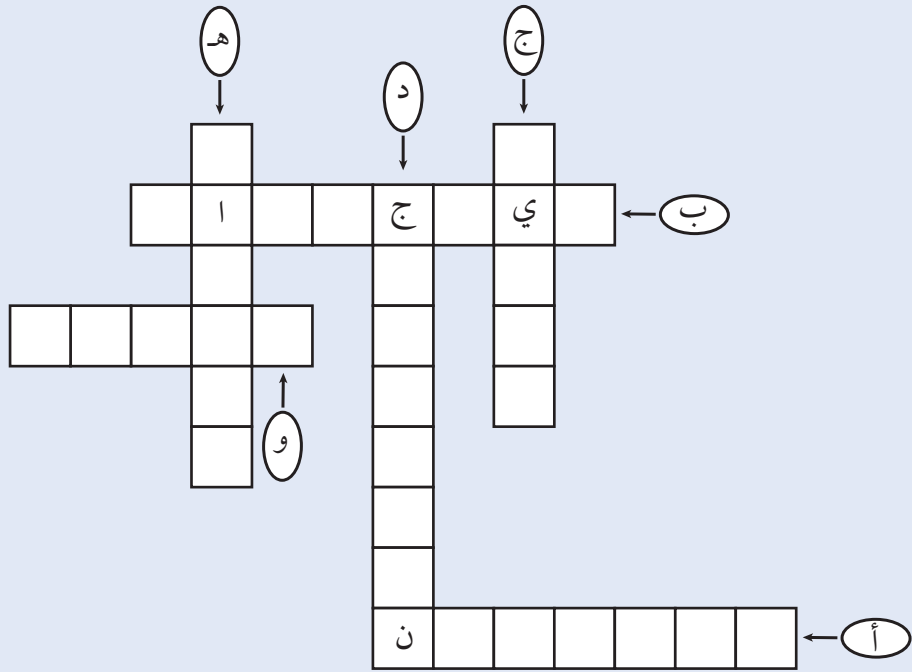
ب - معركة أوقفت زحف المغول في الشرق.

ج - قائد تميز في عين جالوت.

د - مؤسس دولة المغول.

هـ - دمر بغداد سنة ٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م.

و - أول قائد مغولي اعتنق الإسلام.



٢- استعن بمعلوماتك، ثم حدّد على الخريطة ما يأتي :

- أ- موقعي حطين وعين جالوت دالاً على ذلك بالرمز (▲).
- ب- الإمارات الصليبية في الشرق بعد الحملة الأولى بالرمز (■).
- ج- الإمارات الصليبية في الشرق بعد معركة حطين بالرمز (×).
- د- ضع مفتاحاً لهذه الخريطة.

تمهيد :

طلائع العدوان الخارجي :

بدأت طلائع العدوان الخارجي على العالم الإسلامي منذ الحروب الصليبية، ومع أن هذه الحروب بفضل الله ثم بفضل تكاتف المسلمين وتضامنهم اختُتِمت بالفشل، إلا أن الغرب لم يلق السلاح أبداً، بل كان يتحين الفرص ليهجم على ديار المسلمين، ويبطش بأهلها؛ إرضاءً لحقده الصليبي الدفين.

وقد افتتح الغرب أعماله العدوانية على البلاد الإسلامية في العصر الحديث بالقضاء على الحكم الإسلامي في الأندلس، ومهاجمة بلدان المغرب العربي، واحتلال مدنه، بل إن الحقد الصليبي قد دفع بالبرتغاليين إلى التحالف مع الأبحاش في أوائل القرن العاشر الهجري؛ لغزوة تمهيداً لاحتلال الحرمين الشريفين^(١)، وكانت أعمال الإسبان والبرتغاليين هي طلائع الاستعمار الغربي الحديث وبالذات في العالم الإسلامي. وفي تلك الفترة ظهر العثمانيون المسلمون على مسرح الأحداث العالمية كقوة دولية أخذ يُحسب لها ألف حساب، وبخاصة منذ أن دخل مجاهدوها القسطنطينية. **بقيادة من؟ ومتى؟** وصيروها داراً للإسلام (إسلامبول)، وأزالوا من الوجود الدولة البيزنطية، واستنجد المسلمون في البلاد العربية بإخوانهم العثمانيين؛ ليدفعوا عنهم كيد الأوروبيين المعتدين من إسبان وبرتغاليين؛ فهبَّ العثمانيون إلى نصرته إخوانهم في العقيدة، وراحت أساطيلهم وجيوشهم تسدد ضرباتها القاصمة للبحرية الإسبانية على شواطئ المغرب العربي، وتدمر قواعد البرتغاليين في البحار العربية وتطاردهم حتى شواطئ الهند، ولم يقف العثمانيون عند ذلك الحد، بل اندفعت جيوشهم الغازية إلى قلب أوروبا، فاستولت على عدة بلدان في شرقي أوروبا ووسطها حتى حاصرت العاصمة النمساوية (فيينا).

وهكذا استطاعت الدولة العثمانية في أيام مجدها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي أن تقهر الغرب الصليبي، وترغمه على أن يتخذ موقفاً دفاعياً من المسلمين بعد أن ظل مهاجماً لعدة قرون، إلا أنه بعد ارتداد العثمانيين عن فينا وانهزامهم في معركة ليبانتو البحرية، توالى التحالفات الأوروبية الصليبية ضد الدولة العثمانية، وقد أدى ذلك إلى انكماش هذه الدولة المسلمة، وفقدانها للكثير من ممتلكاتها في البر والبحر، حتى كان العدوان

(١) يبرز المعلم أهمية الحرمين الشريفين منذ القدم وتعهد الله تعالى بحمايتهما.

الفرنسي المسلح بقيادة نابليون بونابرت على مصر سنة ١٢١٣هـ / ١٧٩٨م. فكان ذلك إيذاناً بتغلغل الأوروبيين في البلاد الإسلامية على نطاق واسع، حيث أعطت الحملة الفرنسية على مصر زخماً جديداً للعدوان الصليبي على العالم الإسلامي في العصر الحديث بقصد تدمير مقوماته الحضارية، واستعباد أهله فتحالف على ذلك أعداء الإسلام التقليديين من صليبيين، ويهود، ومشركين، ووثنيين، وملاحدة، فالاستعمار الغربي أو الصليبي إذن هو أحد أشكال العدوان على الأمة الإسلامية في العصر الحديث، ومن صورته الخطيرة الأخرى الشيوعية والصهيونية، والاستشراق، والتنصير، وجميع أشكال العدوان هذه متداخلة فيما بينها ومتشابكة، ومن ثم ينبغي النظر إليها على هذا الأساس عندما يراد فهمها على حقيقتها. وغرضنا من معالجة كل منها على انفراد ما هو إلا تيسير للدرس.

أولاً: الاستعمار الصليبي في البلاد الإسلامية :

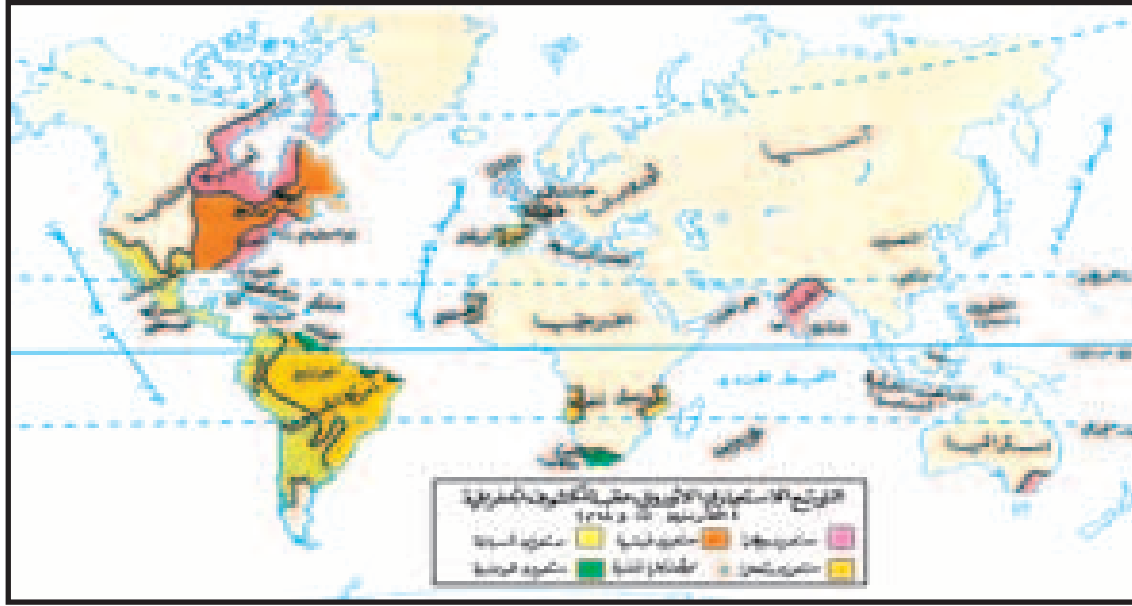
تعريف الاستعمار :

هي في الأصل كلمة تعني القيام بالتوطن في الأرض، وتعميرها، وتحقيق الرخاء للناس، لكنها عُرفت على أرض الواقع باستعباد الشعوب، واستغلال ثرواتها، وتسخير إمكانياتها لخدمة الدول الغالبة القوية (الأجنبية)، سواء من الناحية العقدية أو السياسية أو الاقتصادية أو الاستراتيجية. وللاستعمار صور متعددة أوضحها الاحتلال العسكري المباشر. ولذلك فهو حركة ممقوتة من الناحية الأخلاقية، وقد ظهر الاستعمار الأوروبي الحديث نتيجةً لحركة الكشوف الجغرافية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي **كيف ذلك؟**
انظر الخريطة في الشكل (٥).

مفاهيم

الانقلاب الصناعي : مصطلح يشير إلى التغير الذي حدث في حياة الناس في الغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين؛ بسبب الانتقال التدريجي من الصناعة اليدوية إلى الصناعة الآلية. وتسمى (بالثورة الصناعية).

ثم تعاضم المد الاستعماري في القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي من جراء الانقلاب الصناعي الذي بدأ في أوروبا الغربية وبالذات في إنجلترا، فقد أصيبت الدول الصناعية في القرن الماضي بحُمى الاستعمار، ومن ثم اشتد التنافس فيما بينها للحصول على خيرات البلدان الإفريقية.



شكل (٥): التوسع الاستعماري الأوروبي عقب الكشوف الجغرافية.

هدف الاستعمار:

كانت البلاد الإسلامية هدفاً للاستعمار الأوروبي، بل إن العمليات الأولى لهذا الاستعمار شملت - كما أشرنا - بلدان المغرب العربي الإسلامي، حيث قام الإسبان والبرتغاليون، وهم رواد الاستعمار الأوروبي الحديث بالاستيلاء على عدد من مدنه وموانئه في القرن التاسع الهجري، وبداية القرن العاشر الهجري، وكان هدف المستعمرين الأوروبيين من السيطرة على العالم الإسلامي هو نهب خيرات بلادهم، وسرقة آثار حضاراتهم، ومخطوطاتهم ونفائس كتبهم مما تزخر به متاحف الغرب وجامعاته في الوقت الحاضر.

أشكال الاستعمار:

اتخذت الحركة الاستعمارية أشكالاً وأساليب عديدة من أهمها:

الهجرة والاستيطان:

ويعد من أقدم أشكال الاستعمار وأشدها على شعوب البلاد المستعمرة، حيث شجعت الدول الاستعمارية شعوبها على الهجرة للمناطق التي يتم استعمارها؛ ليحلوا محل سكانها الأصليين كما حدث بالنسبة لشعب فلسطين منذ الحرب العالمية الأولى وما بعدها، وما حدث في الجزائر حينما استعمرها الفرنسيون، وما قامت به إيطاليا في ليبيا.

التمييز العنصري :

هو شكل استعماري يمارسه المستعمر على غيره من الأجناس المستعمرة بسبب اللون أو العقيدة أو الجنس. ويسيطر المستعمر على جميع مظاهر الحياة في البلاد، ويحرم منها سكانها الأصليين، كما حدث في جنوب إفريقيا «في السابق» وفلسطين المحتلة، حيث يمارس الصهاينة هذه السياسة العنصرية على سكان الأرض المحتلة.

الاحتلال العسكري :

وفيه تستخدم الدول الاستعمارية القوة العسكرية المباشرة ضد هذه البلدان، وتتولى من خلالها الإشراف التام على المناطق التي تستعمرها من جميع النواحي. ومن أمثلته : احتلال فرنسا للجزائر سنة ١٢٤٦ هـ. واحتلال بريطانيا لمصر سنة ١٣٠٠ هـ.

الحماية :

عملت الكثير من الدول الاستعمارية على فرض حمايتها على البلاد المستعمرة، وبموجب ذلك تحتفظ البلاد باستقلالها الداخلي، وتصبح الدولة الاستعمارية صاحبة الكلمة في أمور الأمن، والخارجية، والدفاع. من أمثلتها الحماية البريطانية على عدن سنة ١٢٥٥ هـ. ومصر سنة ١٣٣٣ هـ. والحماية الفرنسية على تونس سنة ١٣٠١ هـ.

الانتداب :

نظام ظهر بعد الحرب العالمية الأولى فرضته عصبة الأمم على عدد من الشعوب بحجة عدم مقدرتها على إدارة شؤونها، وعهدت بذلك إلى عدد من الدول الاستعمارية مثل : الانتداب البريطاني على العراق، وفلسطين، والانتداب الفرنسي على سورية، ولبنان سنة ١٣٣٩ هـ.

الوصاية :

وهو نظام أقرته هيئة الأمم بعد الحرب العالمية الثانية على بعض الشعوب التي كانت خاضعة للاستعمار، بحجة أن مستواها لم يصل إلى مرحلة حكم نفسها بنفسها؛ لذلك فهي محتاجة لمن يدير شؤونها، ويرتقي بمستواها ومن أمثلتها : الوصاية الدولية على ليبيا والصومال.

الاستعمار الثقافي :

وهو من أخطر أشكال الاستعمار؛ لأنه يهاجم روح الأمة، ومعتقداتها، وقيمها، وعاداتها إذ قامت الدول الاستعمارية باستغلال المدارس ومراكز التنصير الديني التي أنشأتها في المناطق المستعمرة؛ من أجل السيطرة على البلاد ثقافياً. وقد تخرج في هذه المراكز جماعة تأثرت بثقافة المستعمر وتقاليده، وأخذت تعمل لمصلحته.

وهناك أشكال أخرى عديدة للاستعمار منها الاتفاقيات التجارية، واستثمار رؤس الأموال، والامتيازات الأجنبية والتهديد والوعيد حيث سيطرت الدول الاستعمارية على بعض البلدان من خلال تلك الحجج.

أساليب الاستعمار لضرب الدولة العثمانية :

* زرع الأفكار القومية بين رعاياها.
* تشجيع الحركات الانفصالية وبخاصة في شعوب البلقان ، وإمدادها بالمال والسلاح .
* مساندة الحركات الهدامة المناهضة للإسلام مثل : القوميات العرقية [القومية العربية، والقومية الطورانية التركية وغيرها] ، والعلمانية التي تدعو إلى فصل الدين عن الحياة، وحركة تحرر المرأة وغيرها.
وقد شجع الاستعمار اليهود على الانضمام للحركات السرية المناوئة للخلافة العثمانية، حيث تغلغل عدد كبير من يهود سالونيك وغيرها في جمعية الاتحاد والترقي التي أطاحت بحكم السلطان عبد الحميد الثاني الذي كان يدعو لوحدة المسلمين في العالم، وكان قد رفض عرض مالي كبير قدمه اليهود له مقابل التخلي عن فلسطين، بل إن هذه الجمعية العلمانية قد نجحت بعد تخطيط دقيق في إلغاء الخلافة الإسلامية في تركيا سنة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٤م كما أن الحلفاء عقدوا خلال الحرب العالمية الأولى اتفاقيات سرية فيما بينهم ضد كل من الأتراك والعرب؛ لأن الجميع مسلمون. ومن أهمها اتفاقية سايكس بيكو، على تقسيم أملاك الدولة العثمانية في العراق، وبلاد الشام بعد خروج الحلفاء منتصرين من الحرب، ثم تلا ذلك وعد بلفور الظالم (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) . حيث اقتطع الاستعمار البريطاني فلسطين العربية الإسلامية؛ ليهبها هدية ليهود العالم.

مفاهيم

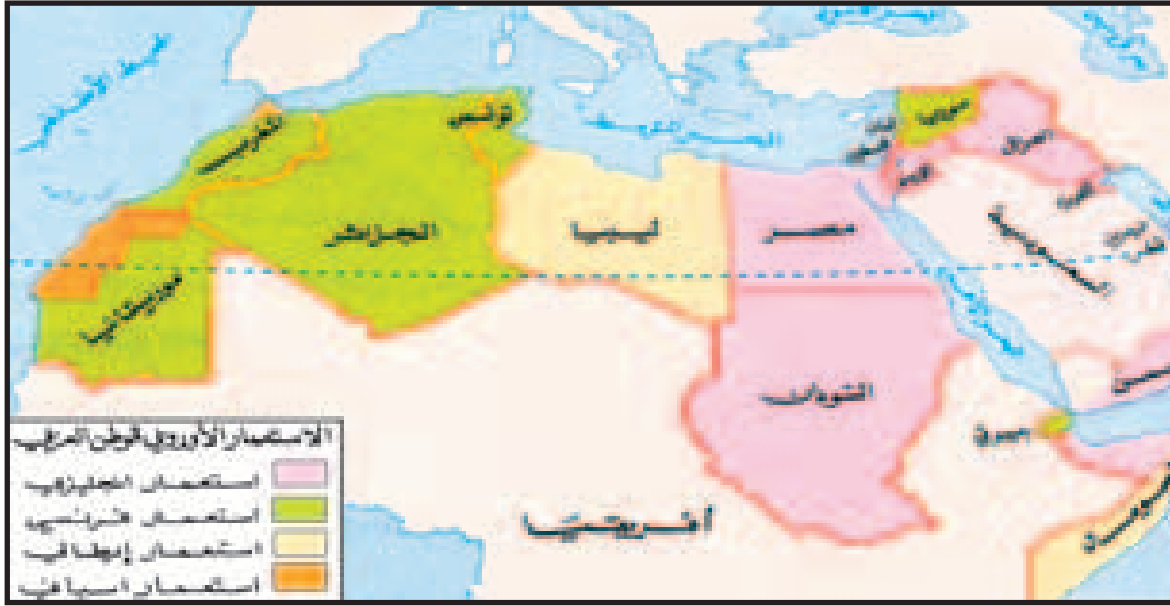
سايكس بيكو: معاهدة عقدت خلال الحرب العالمية الأولى في سنة ١٣٣٥هـ / ١٩١٦م. نتيجة محادثة سرية دارت بين ممثل بريطانيا مارك سايكس وممثل فرنسا جورج بيكو.

* **ما رأيك بمواقف السلطان عبد الحميد الثاني مبرراً قولك؟**

الاستعمار الغربي للبلاد العربية والإسلامية :

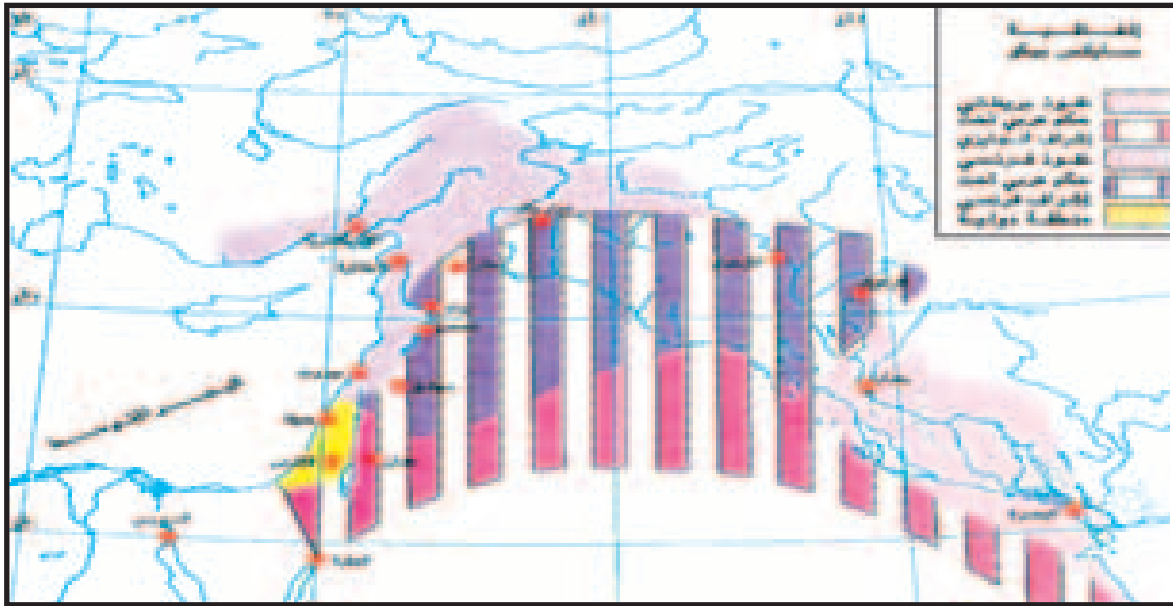
أ) الدول العربية المستعمرة :

انتهز الاستعمار الأوروبي ما بلغته الدولة العثمانية من ضعف شديد في القرن الثالث عشر الهجري، فسلك سبيل السطو المباشر على الولايات التي تقطع صلاتها بالعثمانيين، وتشق طريقها منفردة، فاستولت فرنسا على الجزائر سنة ١٢٤٦هـ. وتونس سنة ١٢٩٩هـ. ومراكش سنة ١٣٣٠هـ.
واستولت إنجلترا على عدن سنة ١٢٥٥هـ. ومصر سنة ١٢٩٩هـ. والسودان سنة ١٣١٦هـ. وقبرص سنة ١٢٩٦هـ. أما إيطاليا فقد استولت على ليبيا سنة ١٣٣٠هـ. انظر الخريطة في الشكل (٦).



شكل (٦): الاستعمار الأوروبي للوطن العربي.

وعلى إثر انهزام الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى نفذ الإنجليز والفرنسيون اتفاقية (سايكس-بيكو) فاستولوا على العراق وبلاد الشام حيث فرض نظام الانتداب الاستعماري على بلدان الهلال الخصيب، فسيطرت إنجلترا على العراق، والأردن، وفلسطين، بينما سيطر الفرنسيون على سورية، ولبنان. انظر الخريطة في الشكل (٧).



شكل (٧): اتفاقية سايكس بيكو.

أما أكثر بلدان الخليج العربي والجنوب فقد بدأ الاستعمار البريطاني يتسلل إليها منذ أوائل القرن الثالث عشر الهجري، وكان أول ما احتله الإنجليز في هذه المنطقة جزيرة بريم عند مدخل مضيق باب المندب سنة ١٢١٤ هـ.

ثم وسَّعوا دائرة نفوذهم الاستعماري، فأرغموا أكثر أمراء الخليج العربي والجنوب على عقد معاهدات تربط إماراتهم بالتاج البريطاني، وفرضت بريطانيا حمايتها على عدن سنة ١٢٥٥ هـ. ومسقط والبحرين سنة ١٢٨٠ هـ. والكويت سنة ١٣١٧ هـ. كما رُبطت بقية الإمارات العربية بمعاهدات مع بريطانيا، أما الأراضي السعودية، واليمن فلم تخضع للنفوذ الاستعماري الغربي؛ إذ كانت ترابط فيهما القوات العثمانية، ثم لم يلبث صقر الجزيرة العربية الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود طيب الله ثراه أن بدأ في سنة ١٣١٩ هـ. مسيرته البطولية في استعادة أرض آبائه وأجداده، وإقامة الدولة السعودية الحالية.

ب) الدول الإسلامية المستعمرة في آسيا :

نجد أن الاستعمار الأوروبي بدأ يتغلغل إلى الهند، وإندونيسيا، وشبه جزيرة الهند الصينية في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي (عصر الكشوف الجغرافية)، فقد سيطر البرتغاليون على (جوا) في الهند، وشمل أذاهم كل سفن المسلمين في بحر العرب وفي أوائل القرن الحادي عشر الهجري، ظهر الهولنديون في تلك المناطق، واحتلوا جاكرتا وأنشؤوا فيها مركزاً للشركة الهولندية المتحدة للتجارة، وفي ذلك الوقت دخل الإنجليز بحار آسيا شركاءً للهولنديين أولاً ثم مستقلين بأنفسهم بعد ذلك، وقد نشطت شركة الهند الشرقية البريطانية التي تأسست

إثراء

تأسست شركة الهند الشرقية البريطانية سنة ١٦٠٠ م. فأنشأت جيشاً صغيراً من الجنود المحترفين وبحلول القرن الثامن عشر الميلادي أصبحت الشركة البريطانية على درجة كبيرة من القوة، حيث أمنت عدداً كبيراً من السفن المسلحة؛ لحماية التجارة في المحيط الهندي.

في سنة ١٠٠٩ هـ. في تثبيت أقدام المستعمرين الإنجليز في بلاد الهند بالتعاون مع الهندوس الوثنيين ضد دولة المغول الإسلامية، ولما كان المسلمون هم الذين قاموا بأكبر نصيب في مقاومة التدخل البريطاني في الهند، فإن حكام الهند من الإنجليز جعلوا محاربة الإسلام من قواعد سياستهم في تلك البلاد.

*** هل تعتقد أن هذا هو سبب محاربتهم للمسلمين؟**

تمكن الإنجليز من القضاء على قوة البرتغاليين في شبه جزيرة الملايو، وجعلوها مستعمرة بريطانية مركزها سنغافورة، أما الفرنسيون فقد تمكنوا من الاستيلاء على كل شبه جزيرة الهند الصينية. وهكذا تقوّض ذلك الجناح الشرقي للعالم الإسلامي، وأفلت شمس حضارته، وعات المستعمرون الصليبيون في أقطاره فساداً.

موقف الاستعمار الغربي من حركات المقاومة الإسلامية :

كان المستعمرون الغربيون يوغلون في معاملاتهم الوحشية ضد المسلمين، كلما ثاروا في وجوههم، ومع ذلك فقد كانت حركات المقاومة الإسلامية تتصاعد يوماً بعد يوم، مثل : حركات المجاهدين في فلسطين والجزائر وليبيا، وغيرها، حتى استطاعت هذه الحركات الجهادية أن تحقق الاستقلال لدولها، وتطرد المستعمر من أراضيها فيما عدا فلسطين فلا تزال تنتظر الخلاص والحرية والاستقلال ولن يتحقق لها إلا بالعودة الصادقة إلى دين الله القوي.

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: آية (٧)].

* كيف تكون نصره الله؟

آثار الاستعمار الغربي في البلاد الإسلامية :

- يمكن إجمال المساوئ أو الأضرار التي ألحقها هذا الاستعمار بأوطان المسلمين بما يأتي :
- ١- تمزيق الوحدة الإسلامية، ونشر التفرقة بين أبناء البلاد الواحدة مثل : إثارة النعرات الدينية والمذهبية بين الطوائف المختلفة.
 - ٢- نشر العادات الاجتماعية الضارة والمحرمة شرعاً كالمخدرات، والمسكرات، وألعاب الميسر والقمار، وضروب التسلية الخبيثة الأخرى.
 - ٣- تشجيع الآداب والفنون الخليعة؛ لإماتة ضمائر المسلمين، وغزوهم فكرياً، وتهديم أخلاقهم .
 - ٤- توجيه وسائل الإعلام كالصحف، والتلفزة، والإذاعة، والسينما ، ووسائل الاتصال الحديثة كشبكات المعلومات مثل (الإنترنت) ووجهة غير إسلامية بدس المفاهيم المنحرفة، ومهاجمة قادة الإسلام تحت قناع التمدن والموضوعية العلمية.
 - ٥- تفرغ التعليم من محتواه الإسلامي، وتوجيهه علمانياً؛ ليباعدوا بين المسلمين وأمور دينهم.
 - ٦- استنزاف ثروات البلاد (المعدنية، والزراعية، والحيوانية) حيث تنبع للشركات الاستعمارية بأثمان بخسة.
 - ٧- العمل على إبقاء المسلمين في حالة من الجهل بأحوال مجتمعاتهم الإسلامية في الشرق والغرب؛ حتى لا يدرك المسلمون مدى قوتهم البشرية والمادية في العالم، ولا ينتبهوا إلى أهمية وحدتهم وتضامنهم. وهكذا فإن خروج الاستعمار من البلاد لايعني بالضرورة زوال آثاره السيئة؛ لأنه يحاول عن طريق الغزو الفكري (الاستعمار الثقافي) أن يبقى تأثيره الاستعماري، ولكن بصورة غير مباشرة ، ومن هنا كان ظهور ما يسمى بالاستعمار الجديد.



أولاً: تعريف الاستشراق :

هو عناية الأكاديميين الغربيين بالأمم الشرقية وبخاصة في البلاد العربية والإسلامية، وذلك بدراسة تاريخها وتراثها الفكري والحضاري (٢).

ثانياً: نشأة الاستشراق :

يرتبط الاستشراق من حيث نشأته (٣) التاريخية بأعمال الكنيسة إبان الحروب الصليبية في العصور الوسطى الأولى، فقد حثَّ البابا المفكرين النصارى على دراسة الثقافة الإسلامية؛ ليتمكن من توجيه حملات معادية للإسلام، فترجم القرآن الكريم محرّفاً إلى اللاتينية في سنة ٥٣٨هـ - ١١٤٣م. وقامت حملات كثيرة ضد الإسلام ألفت بمعظم اللغات الأوروبية (٤) على أساس تلك الترجمة المحرّفة، وارتبطت الدوافع البشرية بالدوافع الاقتصادية في توسيع أعمال حركة الاستشراق في العصر الحديث؛ لتكون قوة للنشاط الصليبي التخريبي في البلاد الإسلامية، و مما يضاعف من الخطر الجديد؛ وجود مواقع كثيرة على الشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت)؛ تنشر معلومات خاطئة عن الإسلام، بسبب تقنية الاتصالات الحديثة التي لا يمكن حجبها، وعلى هذا فليس هناك حل سوى استخدام السلاح نفسه للرد عليها من خلال تلك الشبكة، وكذلك إنشاء قنوات فضائية إسلامية تجعل همها الأكبر هو الدفاع عن قضايا الإسلام والمسلمين.

ثالثاً: أهداف المستشرقين في البلاد الإسلامية :

إن الأهداف الحقيقية التي يرمي إليها المستشرقون من دراستهم لتاريخ المسلمين وحضارتهم وواقعهم هي:

- * زعزعة المثل العليا للإسلام في نفوس أبنائه.
- * إثبات تفوق الحضارة الغربية و عظمتها.
- * العمل على إظهار أية دعوة إلى التمسك بالإسلام بمظهر الرجعية والتأخر.
- * العمل على هزيمة المسلمين روحياً وفكرياً، وذلك بالقضاء على روح الاعتزاز بالإسلام في نفس المسلم، وإذابة شخصيته الإسلامية؛ ليصبح غريباً في مجتمعه، علمانياً في تفكيره. فالمستعمر لم يتوقف عن تأمره على العالم الإسلامي بعد رحيله عسكرياً، بل بقي كغزو فكريٍّ يسعى إلى طمس الهوية الإسلامية، والسعي الدائم لترشيح البديل الاستعماري للحضارة والتقدم.

(١) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.

(٢) بعض المستشرقين رأى الحقيقة فأسلم، وخدم العقيدة الإسلامية، وأثر في محدثهم.

(٣) بعض المؤرخين يرجعه إلى أيام الدولة الأموية في القرن الثاني الهجري.

(٤) بلغ ما ألفوه عن الشرق منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين الميلادي ستين ألف كتاب، وللمستشرقين اليوم من المجلات والدوريات عدد هائل يزيد على ثلاثمائة مجلة بمختلف اللغات.

رابعاً : سبل المستشرقين لتحقيق أهدافهم :

سلك المستشرقون للوصول إلى أهدافهم أحد أمرين :

الأول : الانتساب لمؤسسات دينية يعملون لها منسجمين مع مخططات التنصير^(١).

الثاني : العمل مع دول استعمارية لتزويدها بمعلومات مفيدة تخص البلاد المستعمرة^(٢) وأهلها. فكان هؤلاء المستشرقون رواداً للدول المستعمرة إلى الشرق الأوسط، فتعرّفوا على أحواله، ومشكلاته، وبذلك مكّنوا دولهم من التغلغل في أقطاره، والسيطرة عليها.

خامساً : أساليب المستشرقين في محاربة الإسلام :

تتلخص أساليب المستشرقين في محاربة الإسلام و الإساءة إليه في :

- ١ - القول بأن القرآن الكريم من وضع محمد ﷺ، وأنه لم ينزل من عند الله.
- ٢ - الطعن في السنة النبوية الشريفة.
- ٣ - تحريفهم للنصوص الإسلامية في كثيرٍ من الأحيان تحريفاً مقصوداً، أو إساءتهم فهم العبارات حين لا يجدون مجالاً للتحريف.
- ٤ - تهوينهم من شأن الحضارة الإسلامية، وتشكيكهم في آثارهم الباقية.
- ٥ - اتهام الإسلام بالتخلف والجمود.
- ٦ - تقلييلهم من عظماء المسلمين وتحقير أعمالهم في خدمة أمتهم، وبالمقابل إبرازهم للفرق الدينية المنحرفة والاشادة بزعمائها وأعمالهم.
- ٧ - سوء الظن برجال المسلمين، وعلمائهم، وقادتهم.
- ٨ - تزيفهم للإسلام وحقائقه بنقلهم من المصادر - في عملية انتقائية - ما يدعم هذا التزييف المتعمد ويروجه. ومن الملاحظ أن المستشرقين لا يتناولون قضايا العقيدة الإسلامية، ولا قضايا التكافل الاجتماعي في الإسلام ولا التنظيمات الاقتصادية والمالية وما فيها من محاربة الفقر الذي تشكو منه البشرية في مناطق كثيرة، بل إنهم يركّزون على أهمية القوانين الوضعية، وتطبيقها على المسلمين بدلاً من الشريعة الإسلامية.

سادساً : أسباب تحقيق المستشرقين لأهدافهم :

- * وجود عدد من المسلمين من ضعاف الإيمان والنفوس والذين تأثروا بأقوال هؤلاء المستشرقين وافتراءاتهم.
- * الضعف السياسي الذي أصاب المسلمين، والخلافات والمنازعات بين الطوائف والفرق المختلفة، التي أفقدتهم الثقة بأنفسهم وبما لديهم من تراث.

(١) سيأتي التحدث عن التنصير في الدرس الذي يليه.

(٢) أصبحت حركة الاستشراق اليوم مسخرة لخدمة الدول الاستعمارية.

* اقتباس نظم التعليم الغربي، والتأثر الشديد بأخلاق الغربيين واتجاهاتهم على حساب الشخصية الإسلامية المستقلة.

*** اذكر ما يدل من القرآن الكريم على تحريم ذلك في ديننا الحنيف^(١).**

* تعمد خصوم الإسلام إصاق كل خطأ يقع فيه المسلم بالإسلام^(٢)، مع أن سبب ذلك الخطأ هو ترك المسلم

دينه و التخلي عن مثله العليا.

ثالثاً: التنصير^(٣):

تعريف التنصير:

هو في ظاهره عملية نشر الدين النصراني المحرف بين الشعوب عموماً والإسلامية خصوصاً، ولهذا فهو لون من ألوان الغزو الحضاري الغربي للشعوب الإسلامية، ومن دوافعه كسر شوكة المسلمين، وإحكام السيطرة عليهم بعد فشل الحروب الصليبية^(٤).

*** اقرأ الوثيقة التالية، ثم أجب عما يليها من أسئلة :**

وثيقة

قال صموئيل زويمر رئيس جمعيات التنصير في مؤتمر القدس للمنصرين المنعقد في عام ١٣٥٤هـ / ١٩٣٥ م :
((مهمة التبشير (التنصير) التي ندبتكم الدول النصرانية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست في إدخال المسلمين في النصرانية، فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، بل إن مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام، ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، ومن ثم لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها)).

- ١- ما الهدف الحقيقي من التنصير؟
- ٢- ما نظرة المنصرين للمسلمين؟
- ٣- استخرج من الوثيقة ما يدل على خوف المنصرين من تمسك المسلمين بدينهم.
- ٤- علل : حرص المنصرين على إبعاد المسلمين عن دينهم.
- ٥- هل نجح المنصرون في تحقيق هدفهم على الشباب المسلم؟ برهن على إجابتك.

وبهذا يكون النشء الإسلامي مطبّقاً لما أراد له الاستعمار، يهتم بصغائر الأمور وتوافهها، ويحب الراحة والكسل، ويسعى للحصول على الشهوات بأي أسلوب؛ لتكون هدفه في الحياة.

(١) يوضح المعلم أن عدم الالتزام بنهي الإسلام عن ذلك هو الذي سبب تدهور المسلم وضعفه.

(٢) يضرب المعلم أمثلة مما يشبه ذلك في الوقت الحاضر.

(٣) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.

(٤) أول من تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية : النصراني ريمون لول، حيث تعلم اللغة العربية بكل مشقة، وأخذ يناقش علماء المسلمين.

نشأة التنصير:

دخل المنصرون إفريقيا منذ القرن التاسع الهجري، أثناء الكشوف البرتغالية، ثم امتدت إلى الدول الإسلامية الأخرى حتى الوقت الحاضر بأساليب مختلفة.

ميادين التنصير الرئيسية:

استخدم المنصرون ميادين مختلفة وأهم تلك الميادين.

أولاً: ميدان السياسة:

اتبع المنصرون سبلاً مختلفة في ميدان السياسة منها:

- * إثارة الفتن والقتال بين الأقليات القومية، والطوائف الدينية، ومن ذلك الفتنة في سورية أيام العثمانيين سنة ١٢٧٧ هـ. والآشوريين ضد العراقيين بعد الحرب العالمية الأولى، والفرعونية في مصر.
- * التشكيك والظعن في الشخصيات القيادية في العالم الإسلامي.
- * مساندة الدعوات المناوئة للإسلام، فالمنصرون في بلاد الشام كانوا قوة فعّالة في بعث حركة القومية العربية لتكون بمنأى عن الدين الإسلامي.

* التواطؤ مع عناصر المعارضة في البلاد؛ للقيام بانقلابات عسكرية.

* التمهيد لعمليات الغزو الاستعماري، إذ يعتمد المنصرون على إثارة القلاقل في البلاد، فتدخل السلطة ضدهم، فيثير المنصرون بدورهم الرأي العام في دولهم من أجل التدخل لإنقاذهم، فمن ذلك تدخل روسيا القيصرية في عهد كاترين الثانية لحماية رعاياها النصارى في الدولة العثمانية، ونشوب الحرب بين البلدين في القرن الثامن عشر الميلادي.

ثانياً: ميدان الطب:

أما ميدان الطب فقد انتشرت المستشفيات والمستوصفات في الأقطار الإسلامية، وزودت بالأطباء الذين يتخذون من مهنة الطب قناعاً يخفون وراءه نواياهم الحقيقية بتقديم الخدمات الطبية؛ بهدف استغلال هذه المهنة في التنصير. قالت المنصرة آيد هاريس: (يجب على الطبيب أن يتنهنز الفرصة ليصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم).

ثالثاً: ميدان التعليم:

يتفق معظم المنصرين على أن التعليم هو أفضل ميادينهم في تحويل أبناء المسلمين إلى أتباع للنصارى؛ لذلك فقد ارتبطت أكثر المدارس الأجنبية في البلاد العربية بالإرساليات التنصيرية من أجل ذلك يقول المنصرون اليسوعيون^(١): إن المنصر الأول هو المدرسة والكتب المدرسية التي يضعها المنصرون تُستخدم عادة للظعن في الإسلام، وتشويه تاريخ المسلمين واتهامهم بالتعصب الأعمى، وبأن الإسلام لم ينتشر إلا بحد السيف، ومدارس

(١) نسبة إلى اليسوع (عيسى بن مريم عليه السلام).

البنات التنصيرية مهمة جداً عند المنصرين ولا سيما المدارس الداخلية منها؛ لأنها تجعل الصلة الشخصية بالطالبات أوثق، ولأنها تنتزعهن من المؤثرات الدينية للبيت الإسلامي. وتحرص المدارس والكليات التنصيرية على أن تقدم لخريجها كل دعم ممكن من أجل تبوء المناصب القيادية.

- * ما رأيك باتهام المنصرين للإسلام بأنه لم ينتشر إلا بحد السيف؟ برهن على إجابتك.
- * ما أنواع الدعم الذي تعتقد أن يحرص المنصرون على تقديمه لخريجي المدارس والكليات التنصيرية، والذي يضمن استمرارهم في نفس العمل؟
- * ماذا تقول لمن يحرص من المسلمين على الالتحاق بمثل هذه المدارس أو الكليات طمعاً بما تقدمه من مغريات، وجهلاً منه بخطورة ذلك؟

إثراء

- للاستعمار علاقة مباشرة بالتنصير؛ لأنهما يتفقان على الكيد للإسلام والمسلمين، فالاستعمار بآلاته العسكرية وقوته المادية فتح الباب للإرساليات التنصيرية.

- المدارس والجامعات التنصيرية في العالم الإسلامي، عملت على إعداد الكوادر القيادية؛ لتقوم بدور خطير بدون الحاجة إلى التدخل المباشر من الاستعمار، وهي أعظم خدمة قدمها التنصير للاستعمار.

رابعاً: الميدان الاجتماعي:

تعرضت معظم البلاد الإسلامية للأعمال التنصيرية^(١) العدوانية عن طريق:

- * بيوت الطلبة من الذكور والإناث.
- * إيجاد الأندية والمكتبات التنصيرية.
- * إنشاء الملاجئ للأيتام، وكبار السن، واللقطاء.
- * تحديد النسل بين المسلمين، والعمل على إفساد المرأة.
- * البث المباشر عن طريق الإذاعة، والتلفاز، ووسائل الاتصال الحديثة^(٢) التي تعتمد على المسلسلات والبرامج الترفيحية، والثقافية، والرياضية، والدينية الساخرة من أجل خدمة أهدافهم.
- * تشجيع انتشار المجلات الخليعة والكتب العابثة.
- * الأنشطة الاجتماعية الإنسانية، والإغائية الموجهة لمنكوبي الفتن والحروب.
- * الأعمال الترفيحية.
- * زيارة المسجونين والمرضى، وتقديم الهدايا لهم.

ولعل أكثر هذه البلدان تضرراً هي إندونيسيا، ففي هذه البلاد المسلمة يذل المنصرون الكاثوليك جهوداً مركزة من أجل تنصير أعداد كبيرة من السكان، والقضاء على الإسلام، وهذا ما أوضحه الكولونيل الإندونيسي المسلم بسطامي حاكم كاليمانتن الجنوبية في سنة ١٣٨٣ هـ. إذ أبدى تخوفه من الأخطار المقبلة على الإسلام، ومنها خطة مدبرة سرية قال: إنها تستهدف إزالة الإسلام شيئاً فشيئاً، حتى يتم زواله في نصف قرن، ومن ثم ناشد هذا الحاكم الإندونيسي المسلمين أن يأخذوا حذرهم، وينفروا جميعاً للدفاع عن دينهم.

(١) حث المؤتمر السادس لمجلس الكنائس العالمي سنة ١٤٠١ هـ / ١٩٨٠ م. المنعقد في كاليفورنيا على ضرورة زيادة البعثات التنصيرية بين مسلمي الشرق الأوسط خاصة في دول الخليج.

(٢) يحذر المعلم الطلاب من دقة أساليب تنفيذ هذه الحملات لأهدافها، حيث بدأت تغيير الأساليب من أجل المحافظة على الصداقة بين العالمين النصراني والإسلامي.



أ - تعريف الشيوعية (٢) :

حركة ثورية تتنكر لكل القيم الروحية، وترمي إلى إزالة الفوارق الطبقية، وإقامة مجتمع العمال، وامتلاكهم لكل وسائل الإنتاج، وقد ظهرت هذه الحركة في أوروبا في القرن الثالث عشر الهجري. انظر الخريطة في الشكل (٨).
ووضع فلسفتها اليهودي الألماني كارل ماركس بالتعاون مع زميله الألماني فردريك إنجلز والشيوعية تدعو إلى الإلحاد، ومحاربة الأديان. لماذا؟



شكل (٨) : أوروبا السياسية.

١ - في روسيا :

بعد قيام الثورة البلشفية الشيوعية في روسيا سنة ١٣٣٦ هـ / ١٩١٧ م. لأسباب اقتصادية وسياسية، أصدر لينين زعيم الشيوعية أوامره إلى الجيش بالزحف على الأقاليم الإسلامية، وقام الروس بتجزئة تركستان الإسلامية إلى ست قوميات، أقاموا حولها جمهوريات فيدرالية هي: قازاخستان، وأزبكستان، وقيرغيزيا، وتركمانيستان،

(١) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.

(٢) يربط المعلم هذا الدرس مع ما تم دراسته عن الشيوعية.

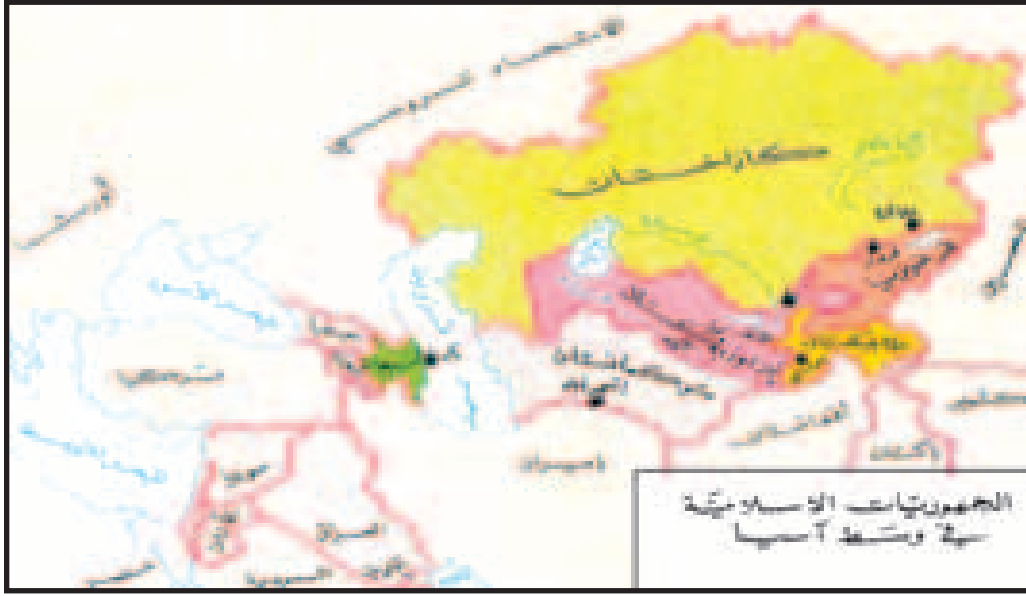
مفاهيم

البشفة : بمعنى الأعضاء الغالبية، وضدها المنشفيك الأعضاء الأقلية.
فيدرالية : نظام سياسي يعترف بوجود حكومة مركزية للدولة، إلى جانب حكومات أخرى ذات استقلال ذاتي.

إثراء

نتيجة للتطورات التي حدثت في نظام الحكم في دول أوروبا بين الحربين العالميتين قامت دول ذات نظم ديكتاتورية عسكرية، فظهرت الشيوعية في روسيا، والنازية في ألمانيا، والفاشية في إيطاليا، وحكومة أتاتورك العلمانية في تركيا.

وأذربيجان، وطاجكستان. انظر الخريطة في الشكل (١٠). فالتركتستان من البلدان الإسلامية التي كانت قد اصطبغت بالعربية في وقت مبكر، وقد خدم عدد من رجالها الحضارة الإسلامية بعلمهم ومؤلفاتهم كالبخاري والترمذي والنسائي والزمخشري وغيرهم.



شكل (١٠): الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا.

* ما سبب تركيز الروس على أراضي المسلمين؟

ويعتمد الاقتصاد الشيوعي في روسيا على أراضي المسلمين وما فيها من خيرات إلى حد كبير، وتشكل الأراضي التي كان يقطنها المسلمون في الاتحاد السوفيتي آنذاك^(١) ربع مساحة البلاد، كما أن نسبة المسلمين تبلغ ربع عدد السكان في البلاد (٤٠ مليون مسلم من مجموع ١٦٠ مليون نسمة في سنة ١٣٨٦ هـ). بيد أن الأقاليم التي كانت في الأصل إسلامية وانساح فيها الروس، إنما تزيد مساحتها على القارة الأوروبية كلها، وتشمل الجناح الشمالي الشرقي من العالم الإسلامي. ثم انهارت الشيوعية، ونالت الدول الإسلامية استقلالها ما عدا مجموعة من القوميات التي لاتزال تتبع اتحاد روسيا في الوقت الحاضر.

(١) تفكك إلى جمهوريات هي روسيا الاتحادية، وروسيا البيضاء، وأوكرانيا، وكازاخستان، وأرمينيا، وأذربيجان، وطاجكستان، ومولدافيا، واستونيا، وليتوانيا، ولاتفيا، وجورجيا، وغرغيزيا.

أسئلة التقويم

- س ١ - ما المدلول التاريخي للمفاهيم التالية :
- الاستعمار، الانتداب، الاستعمار الثقافي، الاستشراق، الشيوعية.
- س ٢ - بين بالرسم الدول العربية التي احتلها الاستعمار الصليبي .
- س ٣ - عدد ما يأتي :
- أ - أشكال الاستعمار الجديد للوطن العربي .
- ب - أساليب الحملات التنصيرية في المجال الاجتماعي .
- س ٤ - ضع خطأً تحت الإجابة الصحيحة فيما يأتي :
- أ - الذي وضع فلسفة الشيوعية (أنور خوجة - كارل ماركس - لينين).
- ب - قام الشيوعيون بتجزئة تركستان الإسلامية إلى (ست - سبع - ثمان) قوميات .
- س ٥ - فسّر ما يأتي تاريخياً :
- أ - ازدياد التنافس الاستعماري على الوطن العربي بعد الحرب العالمية الأولى .
- ب - المدرسة أهم وأفضل ميدان يستغل للتنصير .
- ج - استخدام مهنة الطب في التنصير .
- س ٦ - متى ظهرت الشيوعية؟ وكيف كانت نهايتها؟
- س ٧ - قارن بين : الاستشراق والتنصير من حيث السبل التي سلكها كل منهم لتحقيق أغراضهم .
- س ٨ - أعط أمثلة من الوطن العربي على كل شكل من أشكال الاستعمار الآتية :
- الانتداب ، الحماية ، الوصاية ، الاستيطان .
- س ٩ - يُعدُّ التنصير منفذاً لمخططات وأهداف المستشرقين، أورد أحد أهداف المستشرقين، ثم ابرز باختصار لما يدل عليها من تنفيذ في مهمة التنصير .
- س ١٠ - ما الحدث الذي تزامنت معه حركة الاستعمار الأوروبي؟ ومتى بلغت الحركة ذروتها؟
- س ١١ - ما الآثار التي نتجت عن الآتي :
- أ - التشكيك والطعن في الشخصيات القيادية في العالم الإسلامي .
- ب - انتشار المجلات الخليعة والكتب والوسائل العابثة .
- س ١٢ - ما أقوى هدف للاستعمار في رأيك .
- س ١٣ - ما العلاقة بين كل من :
- أ - الاستعمار والبترول .
- ب - الاستعمار والتنصير .

س ١٤ - حلّ العبارة التالية تاريخياً :

[ارتبطت الدوافع البشرية للاستشراق بالدوافع الاقتصادية؛ مما أدى إلى توسيع أعمال حركة الاستشراق في العصر الحديث].

س ١٥ - وضح كيف أصابت الأمة أضرار بالغة من جراء أعمال المستشرقين التي تنم عن أهدافهم وأساليبهم.

نشاط ففام

تخير القيام بأحد الأنشطة التالية :

١- [يسعى المنصرون ليخرجوا المسلم من الإسلام باسم الحب، أو التأثير عليه بالأموال، والأدلة العقلية القاصرة حتى أصبحت الشهوات هدفه في هذه الحياة].

من خلال العبارة السابقة قم بإعداد ندوة تتضمن ما يلي :

أ- أسباب اتجاه معظم الشباب المسلم اليوم لدواعي الكسل والراحة.

ب- طرق العلاج النبوي لهذا الفتور، مع توضيح التدرج فيه.

ج- أسباب اعتزاز المسلم بدينه، والثقة فيه.

الباب الثالث
ماض العالم الإسلامي



الموضع الراهن للعالم الإسلامي :

إن حاضر العالم الإسلامي اليوم لا يقارن بماضيه يوم أن أقام المسلمون حضارتهم، ونشروا نور الإيمان والعلم وتقدموا في مختلف جوانب الحياة.

فالعالم الإسلامي اليوم يمر بمرحلة تاريخية دقيقة، فقد تخلّصت معظم بلدانه من السيطرة الاستعمارية، ونالت استقلالها السياسي، في حين لازالت بعض بلدانه تعيش تحت نير الاحتلال مثل : فلسطين، كما أن حركات الجهاد الإسلامي ضد القوى الاستعمارية قد تباينت من حيث مداها وأبعادها التاريخية وآثارها النهائية في البلدان الإسلامية التي خضعت للسيطرة الاستعمارية. وبالرغم من قيام الدعوات الإصلاحية في معظم بلدان العالم الإسلامي إلا أن مقاومة الدين الإسلامي، والعمل على إبادة المسلمين أينما وجدوا، ظل هدف المغرضين الحاقدين على هذا الدين الذي يأبى الله تعالى إلا أن ينتشر بمبادئه السمحة.

قال تعالى : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ

الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة : آية (٣٢)]

وبالرغم من حصول أكثر بلاد المسلمين اليوم على استقلالها السياسي وامتلاكها لمعظم إمكانات التقدم الحضاري، إلا أنها لم تتخلص من السيطرة الاستعمارية التي بقيت حتى بعد رحيل المستعمر، وإنما اكتفت بقشور التحرير ولم تنفذ إلى اللب، وذلك من خلال بقاء السيطرة الفكرية والاقتصادية التي تعد آثارها ومشكلاتها من أخطر الآثار على وحدة المسلمين، وقوتهم، مما أدى إلى هدم مقومات معظم الحياة الإسلامية التي كانت سبباً في نهضة المسلمين الأوائل. وقد كان من بوادر الأمل للتصدي لمثل هذه الأطماع والتحرر من تلك السيطرة هو ظهور العديد من الهيئات الإسلامية التي تستهدف العمل من أجل تعميق التعاون بين الشعوب الإسلامية، وتعزيز التمسك بتعاليم الدين الإسلامي وتوحيد كلمة المسلمين في دول العالم المختلفة والعمل على النهوض بالعالم الإسلامي والمحافظة على كيانه.

التضامن الإسلامي والدعوة له :

يشكّل العالم الإسلامي كتلة واحدة، تربط بين أجزائه وشعوبه عقيدة واحدة هي الإسلام فالله تعالى يقول في كتابه الكريم : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [سورة الأنبياء : آية (٩٢)].

(١) غير مقرر على قسم العلوم الشرعية والعربية.

فمن المعلوم أنه لا يتم أمر العباد فيما بينهم، ولا تنتظم مصالحهم، ولا تجتمع كلمتهم، ولا يهاهم عدوهم إلا بالتضامن الإسلامي الذي حقيقته التعاون على البر والتقوى، والتكافل، والتعاطف، والتناصح والتواصي بالحق والصبر عليه. قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [سورة المائدة: آية رقم (٢)]

وقد نصت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على أن التضامن الإسلامي بين المسلمين أفراداً وجماعات، حكومات وشعوباً، من أهم المهمات والواجبات التي لا بد منها لصالح الجميع، وإقامة دينهم، وحل مشاكلهم وتوحيد صفوفهم، وجمع كلمتهم ضد عدوهم المشترك. والتضامن ورد بمعان كثيرة تدل عليه، ومما يدخل فيه تحقيق المصالح المشتركة الدينية والدينية، وتسهيل التعاون بين المسلمين في كل ما يحفظ الحق، ويقيم العدل وينشر الأمن والسلام في كل مكان، كما يدخل فيه أيضاً الإصلاح بين المسلمين، وحل النزاع المسلح بينهم وقاتل الطائفة الباغية عملاً بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبَغَىٰ حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ ت فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: آية (٩)].

ويدخل في التضامن أيضاً تبادل التمثيل السياسي، أو ما يقوم مقامه بين الحكومات الإسلامية، وتوجيه وسائل الإعلام إلى مافيه مصلحة الجميع، وسعادتهم بإعداد الفرد لأن يكون صالحاً مصلحاً باذلاً النفع لإخوانه، ولهذا أمر الله المؤمنين بالتمسك بالإسلام والعمل بما فيه والدعوة إلى ذلك، والاجتماع عليه في قوله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران: آية (١٠٣)].

حتى يكون هدف المسلمين جميعاً ومركز قوتهم؛ وبذلك تجتمع كلمتهم، ويتحد هدفهم فيكونون ملجأ لكل مسلم في أطراف الدنيا، وقلعة منيعة، وحصناً ضد أعدائهم. وبهذا الاجتماع وهذا الاتحاد وهذا التضامن تعظم هيبتهم في قلوب أعدائهم، ويستحقون النصر والتأييد من الله عز وجل كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ نَصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [سورة محمد: آية (٧)].

الدعوة لعقد مؤتمر قمة إسلامي :

دعا الملك فيصل - رحمه الله - الزعماء المسلمين لتدارس مافيه خير بلادهم من منتصف الستينيات، إلا أن هذه الدعوة اصطدمت أول الأمر بمعارضة من بعض الدول العربية، وقد كان آدم عثمان رئيس جمهورية الصومال حينذاك أول رئيس دولة إسلامية يُثني لعقد مؤتمر قمة إسلامي؛ لتبادل الرأي في مشروع التضامن الإسلامي، والذي قال عنه الملك فيصل: (إن الدعوة ليست تكتلاً عدوانياً ضد أحد، وإنما يجب أن توجه إلى كل ملوك ورؤساء الدول الإسلامية لحضور مؤتمر القمة الإسلامي الذي ينظر في إخراج دعوة التضامن الإسلامي إلى حيز الوجود دون تمييز

١ - من أقوال الملك فيصل في دعوته للتضامن الإسلامي : (إن جوهر الدعوة هو تحقيق التعاون والتضامن والترابط؛ للنهوض بأممتنا، وإصلاح أوطاننا أكثر مما كانت حاجتنا إلى ذلك في أي وقت مضى).
٢ - من أقواله عن القوى الاستعمارية : (إنها تفعل ذلك؛ لأنها تعلم إن الإسلام دين الإخاء، ودين السلام، ودين المساواة، ولأن الأطماع الاستعمارية تريد أن تتغلب على الشعوب، وأن تحكمها بشتى الطرق).

بينهم بسبب النظم السياسية أو الاجتماعية التي يسرون عليها في بلادهم). وبناءً عليه فقد عُقد خلال موسم الحج سنة ١٣٨٤هـ. في مكة المكرمة مؤتمر إسلامي عام، افتتحه الملك فيصل بخطاب رسمي أيد فيه اقتراح الرئيس الصومالي في الدعوة لمؤتمر القمة الإسلامي، وقد أيد المؤتمر دعوة الملك فيصل بعقد مؤتمر قمة إسلامي؛ للفائدة التي تعود منه على العالم الإسلامي. والتمس المؤتمر من جلالتة أن يواصل العمل لتحقيق

هذا الهدف الإسلامي الكبير. ثم أوضح المؤتمر في بقية مقرراته أهمية دعوة التضامن الإسلامي بجوانبها المختلفة الإسلامية والإنسانية، وحدد وسائل التنفيذ لكل جانب وجاءت البيانات المشتركة التي وقعها ملوك ورؤساء هذه الدول مؤكدة، ومدعمة لدعوة التضامن الإسلامي بجوانبها المتعددة، بل وحثمتها في هذا العصر المليء بالأخطار والتكتلات التي تهدد أمة الإسلام، والتي اتضحت مع ازدياد الخطر الاستعماري والصهيوني على البلاد العربية وهزيمتها في سنة ١٩٦٧م. من قبل الكيان الصهيوني؛ مما جعل الدول العربية تطالب بتنفيذ دعوة الملك فيصل بقيام هذا التجمع؛ لمواجهة تلك الأخطار.

وتحقيقاً لفكرة التضامن الإسلامي قام الملك فيصل بزيارة عدد من الدول العربية والإسلامية.

أصل فكرة التضامن الإسلامي :

إن دعوة الملك فيصل للتضامن الإسلامي ليست جديدة على الإسلام والمسلمين، وإنما هي تستمد أصولها وجذورها من تعاليم الإسلام، فالتعاون والتضامن والتكافل من أسس الإسلام لقوله تعالى :

﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران : آية (١٠٣)].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [سورة الأنبياء : آية (٩٢)].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [سورة الحجرات : آية (١٣)].

وبناءً على هذه الأسس استقبلت دعوة الفيصل بالترحاب، وحققت نجاحاً باهراً، وإجماعاً حاسماً في مدى عامين فقط منذ أن نادى بها.

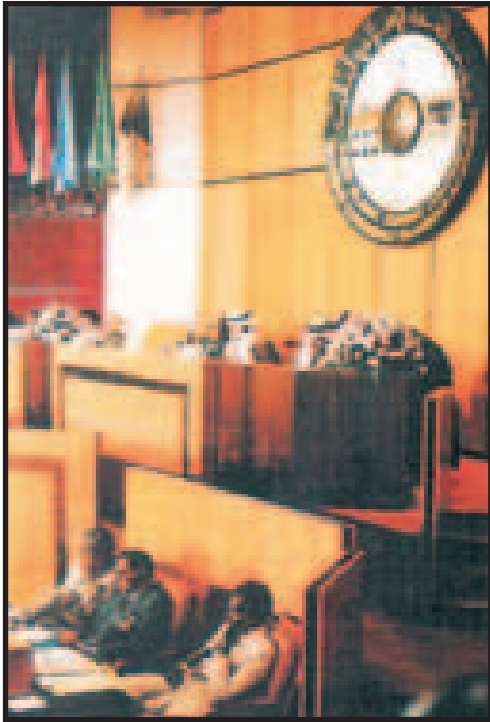
* هل يمكن أن تكون دعوة الفيصل للتضامن الإسلامي دعوة سلفية ولكن بثوبٍ جديد؟

فحقق بذلك أمنية سلفه الملك عبد العزيز - يرحمه الله - الذي كان يعمل على أن تظل الجزيرة العربية مهبط الإسلام، ومبعث النور بعد أن تأسست على نصره هذا الدين على يد الأمير محمد بن سعود، والمجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وقد تابع الملك خالد بن عبد العزيز - يرحمه الله - خطة سلفه فواصل دعوة التضامن الإسلامي، فقد جاء في البيان الذي أعلنه عقب مبايعته مباشرة :

(وإن من أهم الركائز التي قامت عليها سياستنا الخارجية هي دعوة التضامن الإسلامي؛ لرفع شأن المسلمين في أقصى أقطارها، وتقوية أواصر التعاون بينهم . وحكومتنا إذ تحرص على مواصلة السير في هذا الاتجاه بذات القوة وبنفس الاندفاع، فإنها تؤكد ما أعلنه صاحب دعوة التضامن الإسلامي زعيمنا الراحل).

وتابع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز - رحمه الله - جهوده في سبيل دعوة التضامن الإسلامي، فقد جاء في أكثر من بيان وجهه للشعب السعودي بأنه يؤكد على الاستمرار على نهج سلفه الصالح في اتخاذ الإسلام منطلقاً للسياسة الداخلية والخارجية للمملكة، وقد أعلن عن أهمية العمل والتعاون من أجل وحدة الصف ورأب الصدع، ونبذ الخلافات؛ لتحقيق أهداف الأمتين العربية والإسلامية، وتجنبهما الأخطار المحدقة بهما. وسار خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على هذا النهج مقتدياً بسلفه.

قيام منظمة المؤتمر الإسلامي :



قامت فكرة إنشاء المنظمة على أساس تجميع المسلمين؛ لتكون رابطاً يجمعهم، ويوجّه جهودهم في شتى الميادين، ومقره جدة. وكان حادث إحراق المسجد الأقصى الذي أقدم عليه الصهاينة سنة ١٩٦٩م. السبب المباشر لعقد مؤتمر القمة «للدول الإسلامية»، حيث أقر اجتماع وزراء خارجية الدول العربية في الاجتماع الذي عُقد في القاهرة الاقتراح السعودي لعقد اجتماع قمة تُدعى إليه الدول الإسلامية كافة. وبالفعل عقد أول مؤتمر قمة لرؤساء الدول الإسلامية في الرباط في ١٢ رجب ١٣٨٩هـ. وتلاه مؤتمران لوزراء خارجية الدول الإسلامية، أولهما في جدة، وثانيهما في كراتشي في سنة ١٣٩٠هـ. واختيرت جدة كمقر دائم للمنظمة حتى تحرير القدس. انظر الصورة في الشكل (١١). وفي سنة ١٣٩٢هـ. صدر

شكل (١١): مؤتمر القمة الإسلامي الثالث الذي عقد في جدة.

ميثاق المؤتمر الإسلامي، وأعلن عن قيام منظمة المؤتمر الإسلامي.

وقد استمر تتابع عقد مؤتمرات القمة الإسلامية، والتي منها المؤتمر الخامس الذي عقد بالكويت سنة ١٩٨٧م. ومؤتمر القمة الثامن في طهران سنة ١٩٩٧م. وينعقد المؤتمر الإسلامي مرة كل سنة أو عندما تتطلب الحاجة.

أهداف منظمة المؤتمر الإسلامي :

أولاً : على مستوى العالم الإسلامي :

ترسيخ العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين، والمحافظة على القيم الإسلامية، وتعزيز ودعم التعاون بين دول المنظمة، والعمل على تحرير الأماكن المقدسة، ودعم كفاح الشعب الفلسطيني وكافة الشعوب الإسلامية من أجل استقلالها وحريتها.

ثانياً : على المستوى العالمي :

دعم السلام والأمن الدوليين، وتنسيق التعاون بين المنظمة والمنظمات الأخرى، ومحاربة التفرقة العنصرية والاستعمار واستغلال الدول المتقدمة، والقضاء على الفقر.

إنجازات المنظمة :

حققت المنظمة إنجازات عديدة منها :

- * دعم الشعوب الإسلامية، ومناصرتها مادياً وسياسياً ضد الاستعمار والصهيونية.
- * تأسيس المنظمات، والوكالات، والمراكز والمؤسسات الإسلامية المختلفة مثل : المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (الإيسيسكو)، ومقرها الرباط.
- * وكالة الأنباء الإسلامية الدولية، ومقرها جدة.
- * مركز البحوث للتاريخ والفن والثقافة الإسلامية، ومقرها مدينة إستانبول.
- * المؤسسة الإسلامية للعلوم والتكنولوجيا والتنمية، ومقرها جدة.

دور المملكة العربية السعودية في إبراز فكرة التضامن الإسلامي

للمملكة دور رئيس في إبراز فكرة التضامن الإسلامي فهي صاحبة الفكرة حيث دعا إليها الملك فيصل - يرحمه الله - وتجشم في سبيل ذلك الصعاب، وأنفقت المملكة بسخاء جاعلةً نصب عينها إعلاء كلمة الله، وتوحيد الصف الإسلامي؛ للوقوف سداً منيعاً في وجه كل من تسول له نفسه النيل من الإسلام والمسلمين. ولعل الشواهد التي مرت بنا تبين بوضوح دور المملكة سواء ما كان خاصاً بالرحلات، أو المشاركات في المؤتمرات والندوات، ويتضح ذلك في الدور الذي اضطلعت به المملكة في تأسيس رابطة العالم الإسلامي، وجهودها في إنجاح مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط والمؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة. وفيما يلي استعراض لكل منها.

أ - رابطة العالم الإسلامي :

وهي منظمة إسلامية شعبية عالمية غير حكومية، تتمثل فيها كافة الشعوب الإسلامية في أنحاء العالم، تهدف إلى نشر الدعوة الإسلامية، وشرح مبادئ الإسلام وتعاليمه السامية، وتتصدى لمحاولات صرف الناس عن دينهم

الحنيف عن طريق التيارات المنحرفة، ونشر الأفكار الغربية التي تتنافى مع قيم الدين الإسلامي. وتعمل الرابطة على الدفاع عن قضايا العالم الإسلامي، والتعاون من أجل حل مشاكل المسلمين. تأسست في مكة المكرمة، وصدر نظام تأسيسها في رجب ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م. ووضع لها نظام تناول أهدافها، وتنظيمها الإداري. وتحقيقاً لما تصبو إليه الرابطة من أهداف اتخذت الوسائل الآتية :

- * الدعوة إلى تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية في البلاد التي تدين بالإسلام.
- * نشر لغة القرآن الكريم، حتى تكون لغة التفاهم بين الشعوب المسلمة.
- * استثمار موسم الحج في التوعية بدين الإسلام عن طريق الندوات التي تنظمها الرابطة.
- * إنشاء المدارس والمعاهد الإسلامية في كافة أرجاء الدول الإسلامية.
- * تشجيع الدعاة الإسلاميين في كافة أنحاء العالم على نشر الإسلام، ودعمهم مادياً، وتجهيزهم بالإمكانات اللازمة التي تساعدهم على أداء مهمتهم.
- * توزيع الكتب والمجلات الإسلامية مجاناً؛ للمساهمة في نشر الثقافة الإسلامية بمختلف اللغات.
- * دعم كافة المنظمات والمؤسسات الإسلامية التي لها صلة بالرابطة، وتنسيق الجهود والعمل الإسلامي معها لخدمة الدعوة الإسلامية.
- * دراسة مشكلات الأقليات الإسلامية وتقديم المساعدات لهم.
- * العمل على تنقية وسائل الإعلام الإسلامي عموماً مما قد يلصق بها من دعوات غريبة عن روح الإسلام. وينضوي تحت لواء الرابطة كل من :
- ١ - هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية التي تأسست سنة ١٣٩٩ هـ.
- ٢ - هيئة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة المطهرة في سنة ١٤٠٤ هـ بمكة المكرمة^(١).
- ٣ - مؤسسة مكة المكرمة الحديثة لرعاية أيتام العالم الإسلامي والتي أسست سنة ١٤٠٧ هـ.

ب - مؤتمر القمة الإسلامي بالرباط :

على إثر ما أقدمت عليه إسرائيل من عمل همجي بإشعال الحريق في المسجد الأقصى في مدينة القدس أولى القبلتين سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م. تعالت صيحات العالم الإسلامي تنادي بعقد مؤتمر قمة إسلامي فكان مؤتمر الرباط أول مؤتمر قمة إسلامي، وقد عقد سنة ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م. وحضره ملوك ورؤساء خمس وعشرين دولة عربية وإسلامية، وقد تمخض المؤتمر عن (إعلان) مؤتمر القمة الإسلامي، فكان بمثابة أول خطوة عملية في طريق بلورة دعوة التضامن الإسلامي، وتضمن هذا الإعلان من بين ما تضمن مايلي :

- * التعاون الوثيق في الميادين الاقتصادية والعلمية والدينية وهي من تعاليم الإسلام.
- * الالتزام بتسوية المشكلات بالطرق السلمية؛ مما يؤكد مساهمتها في تدعيم السلام والأمن الدوليين.

(١) يعرض المعلم على الطلاب أنشطة هذه الهيئات عن طريق الصور والمطويات.

* التنديد بحادث الاعتداء على المسجد الأقصى الشريف سنة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. والمطالبة بجلاء القوات الإسرائيلية عن القدس ومن كافة الأراضي التي احتلتها في سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م. وعودة القدس إلى وضعها السابق قبل سنة ١٩٦٧م.

* مساندة الشعب الفلسطيني، وتأييده في نضاله من أجل استرجاع حقوقه المغتصبة، وتحرير وطنه، والعودة إلى أرضه.

ج - المؤتمر الإسلامي لوزراء خارجية الدول الإسلامية في جدة :

كان قد تم الاتفاق بين زعماء وملوك العالم الإسلامي الذين اشتركوا في مؤتمر الرباط السالف الذكر على أن يعقد وزراء خارجية الدول التي شاركت في مؤتمر الرباط اجتماعاً لهم بجدة في شهر محرم ١٣٩٠هـ. لبحث موضوعين :

أولهما : نتائج العمل المشترك الذي قامت به الدول المشتركة في مؤتمر القمة الإسلامي على الصعيد الدولي.

ثانيهما : إقامة أمانة دائمة يكون من جملة واجباتها الاتصال مع الحكومات الممثلة في المؤتمر، والتنسيق بين أعمالها.

وقد عقد مؤتمر وزراء الخارجية الإسلامي بجدة في محرم ١٣٩٠هـ. حضره وزراء سبع عشرة دولة إسلامية بصفة أعضاء كاملي العضوية، كما شهدته الكاميرون، وجامعة الدول العربية، ومنظمة التحرير الفلسطينية كأعضاء مراقبين. وقد اتخذ المؤتمر عدة قرارات منها :

* إدانة المؤتمر لدولة اليهود؛ لرفضها الانسحاب من الأراضي المحتلة، ورفضها إلغاء الإجراءات التي اتخذتها والتي تهدف إلى ضم القدس، وتغيير وضعها.

* أكد المؤتمر على الإعلان الذي اتخذته مؤتمر القمة الإسلامي في الرباط، برفض كل حل للمشكلة الفلسطينية يحرم مدينة القدس من التمتع بوضعها السابق قبل سنة ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م.

* أكد حق الشعب الفلسطيني في الكفاح من أجل تحرير وطنه، واستعادة حقوقه.

* دعا الدول الأعضاء إلى مساندة الشعب الفلسطيني سياسياً، ومادياً، ومعنوياً في كفاحه للتحرير، وتسهيل إقامة تمثيل لحركة التحرير الفلسطينية في البلاد الإسلامية.

أسئلة التقويم

س ١ - ما المقصود بما يلي :

التضامن الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي.

س ٢ - ضع إشارة (✓) نهاية العبارة الصحيحة وإشارة (X) نهاية العبارة الخاطئة :

- أ - تأسست هيئة الإغاثة الإسلامية سنة ١٣٩٩ م. ()
ب - منظمة المؤتمر الإسلامي منظمة إسلامية تتعامل مع المنظمات الدولية الأخرى. ()
ج - ينعقد المؤتمر الإسلامي مرة كل خمس سنوات. ()

س ٣ - فسّر ما يلي :

أ - انعقاد مؤتمر مكة المكرمة سنة ١٣٨٤ هـ.

ب - رحلات الملك فيصل - رحمه الله ..

ج - نشاط هيئات التنصير في الدول الفقيرة.

س ٤ - ما السبب المباشر لإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي؟ وما أهدافها؟

س ٥ - لماذا دعا الملك فيصل - رحمه الله - إلى عقد مؤتمر قمة إسلامي؟ وما دورك تجاه هذه الفكرة؟

س ٦ - قارن بين مؤتمر القمة الإسلامي بالرباط ومؤتمر القمة الإسلامي في جدة من حيث :

الزمان - أسباب انعقاده - أهم القرارات.

س ٧ - اذكر أسماء بعض الهيئات الخيرية الإسلامية في المملكة العربية السعودية .

س ٨ - ما السبب في رأيك بعدم انتهاء المشكلة الفلسطينية رغم الاهتمام الواضح بها من خلال المؤتمرات الإسلامية.

س ٩ - لماذا تعد مشكلة الأمية عائقاً يحول دون تقدم دول العالم الإسلامي؟

س ١٠ - اشرح بإيجاز فكرة التضامن الإسلامي .

س ١١ - دلل بالأمثلة على ما تقوم به المملكة العربية السعودية من جهد في مساندة دول العالم الإسلامي .

س ١٢ - وضح كيف :

أ - تحقق رابطة العالم الإسلامي أهدافها.

ب - يمكن للعالم الإسلامي أن ينهض من جديد.

نشاط قراءتي

اجمع بعض الصور والأخبار من الصحف المحلية حول :

أ- نشاط رابطة العالم الإسلامي.

ب- جهود المملكة في المساهمة في حل مشكلات العالم الإسلامي.

ج- أكمل البيانات الناقصة في الجدول التالي حسب المثال الأول «مستعيناً بقراءاتك الخارجية في

مكتبة المدرسة» :

اسم البلد المستضيف للمؤتمر	مكان انعقاده	تاريخ انعقاد المؤتمر الإسلامي
المغرب	الرباط	١٩٦٩ م
.....	١٩٧٠ م
.....	لاهور	١٩٧٤ م
السعودية	١٩٨١ م
.....	الكويت	١٩٨٧ م
.....	١٩٩١ م
.....	٢٠٠٢ م

المصادر والمراجع

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - السنة المطهرة .
- ٣ - ابن حبان، محمد بن خلف، أخبار القضاة ، الجزء الثاني، مكتبة المدائن، الرياض .
- ٤ - ابن باز، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله، نقد القومية على ضوء الإسلام والواقع .
- ٥ - ابن كثير، أبو الفداء الدمشقي : البداية والنهاية، تدقيق أحمد أبو ملح وأخرون، ط ٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ . ١٩٨٧م .
- ٦ - أبو خليل ، د/ شوقي : أطلس التاريخ العربي الإسلامي، دمشق، سوريا، دار الفكر .
- ٧ - أبو حرب، محمد : المعجم المدرسي، سوريا، دمشق، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م .
- ٨ - أبو عليّة، د. عبد الفتاح حسن : القدس دراسة تاريخية حول المسجد الأقصى والقدس الشريف، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م .
- ٩ - أنيس، د. إبراهيم وآخرون : المعجم الوسيط المجلد الأول والثاني، ط ٢، دار الفكر .
- ١٠ - البلاذري، أحمد بن يحيى : فتوح البلدان، ط ١، بيروت، مكتبة الهلال، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١١ - الحموي، للشيخ الإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله : معجم البلدان، الطبعة الأولى، بيروت لبنان، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ / ١٩٩٠م .
- ١٢ - الحنبلي، عثمان بن بشر النجدي : عنوان المجد في تاريخ نجد، الجزء الأول، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة .
- ١٣ - الخصوصي، بدر الدين عباس : دراسات في تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، ط ٢، ج ١، الكويت منشورات ذات السلاسل، ١٩٨٤م .
- ١٤ - الحيارى، السيد محمد أحمد يس : المختصر من سيرة الخلفاء الراشدين ، جدة، المدينة للصحافة والطباعة والنشر ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- ١٥ - الزركلي، خير الدين : الأعلام قاموس تراجم، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين .
- ١٦ - السيوطي، نصيف الحافظ جلال الدين : تاريخ الخلفاء، بيروت، دار الفكر، ١٣٩٤هـ / ١٩٧٤م .
- ١٧ - العمري، عبد العزيز بن إبراهيم : الفتوحات الإسلامية عبر العصور دراسة تاريخية لحركة الجهاد الإسلامي من عصر الرسول ﷺ حتى آخر العصر العثماني، ط ٢، دار أشبيليا للنشر والتوزيع .
- ١٨ - الميداني : محمود عصام : الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، مراجعة د. عبد الرحمن حميدة، ط ٢، دمشق، دار دمشق للنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ / ١٩٨٧م .
- ١٩ - الندوي، أبو الحسن علي الحسين: السيرة النبوية، ط ٨، جدة، دار الشروق للنشر والتوزيع، ١٤٠٩هـ / ١٤١٠هـ .
- ٢٠ - بدوي، د/ أحمد زكي : معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان .
- ٢١ - جريشة، د/ علي محمد : الزبيق، د. محمد شريف : أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، القاهرة، دار النصر للطباعة الإسلامية، دار اللاعتصام ١٩٧٨م .
- ٢٢ - جريشه، د. علي : حاضر العالم الإسلامي، ط ٣، جدة، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .
- ٢٣ - جودة، د. جودة حسنين : هارون، علي أحمد : جغرافية الدولة الإسلامي، منشأة المعارف، ١٩٨٤م .
- ٢٤ - شاعر، محمود محمد : التاريخ الإسلامي، ط ٣، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٩٨٥م .
- ٢٥ - عبد الرحيم، د/ عبد الرحيم عبد الرحمن : تاريخ العرب الحديث والمعاصر، ط ٣، قطر، الدوحة، دار المتنبي ١٩٨٢م .
- ٢٦ - عسيري، أحمد معمور : موجز التاريخ الإسلامي، الدمام، مكتبة الملك فهد الوطنية، سنة ١٩٩٦م .

- ٢٧- غربال، محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة، المجلد الأول والثاني، دار الجليل، الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، ١٤١٦هـ. / ١٩٩٥م.
- ٢٨- قدورة، د/ زاهية: تاريخ العرب الحديث، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ١٤٠٥هـ. / ١٩٨٥م.
- ٢٩- قدورة، د/ زاهية: تاريخ العرب الحديث، شبه الجزيرة العربية كياناتها السياسية، بيروت، دار النهضة العربية.
- ٣٠- كامل، عبد العزيز بن مصطفى: كتاب المتدى قبل الكارثة. نذير. ونفير، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر، مؤسسة صلاح السليم ١٤٢١هـ.
- ٣١- مؤنس، د/ حسين: أطلس تاريخ الإسلام، القاهرة، جميع التجهيزات الفنية بالزهراء للإعلام العربي، ١٤٠٧هـ. / ١٩٨٧م.
- ٣٢- نصر الله، راجي: ملف الانتفاضة، شبرا، القاهرة، دار الاعتصام، دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٩٨٩م.
- ٣٣- الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، ط ١، المملكة العربية السعودية.
- ٣٤- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف وتخطيط ومراجعة الجهني د/ مانع بن حماد، المجلد الأول والثاني، ط ٣، الرياض، الناشر دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٤١٨هـ.
- ٣٥- مجلة المستقبل الإسلامي، العدد ١١٢، شعبان، عام ١٤٢١هـ. / نوفمبر ٢٠٠٠م.
- ٣٦- مجلة المعرفة، العدد ٦٦، رمضان، ١٤٢١هـ. / ديسمبر ٢٠٠٠م.
- ٣٧- لفتانت كولونيل أرنولدت ويلسون: تاريخ الخليج، تقديم، الرايت أونورابول: آي. إس. أيدي.
- ترجمة محمد أمين عبد الله، سلطنة عمان، وزارة التراث القومي والثقافي، مطابع سجل العرب، ١٤٠٢هـ. / ١٩١٨م.